

آراء العلماء في الترتيب المصحفي وحقيقت دعوى إعادة ترتيب المصحف حسب النزول

١. رياض عميراوي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

ملخص:

يعد القرآن الكريم معجزة المعجزات في بلاغته وأسلوبه وطريقة تناوله للقضايا المبتوثة في ثناياه، لا سيما في ترابط وتناسب آياته وترتيب سورته وأجزائه التي اتخذها المستشرقون مدخلا للتشكيك في توقيفية هذا الترتيب الرباني المتناسق والمتناغم، مما حدا بي إلى عرض هذه الدعوى ومناقشتها قصد دحضها وبيان بطلانها خدمة للقرآن الكريم وبيان لإعجازه الخالد وإثباتا لصحة ترتيب آياته وسوره.

Abstract:

When i flicked over some of the orientalists' books and read about their doubts concerning the holy book «the Quran » and how they shook the tranquility of Muslims towards their book, I realized that it is worth clarifying that such ideas are dangerous and affect Muslims' beliefs.

In the present article I have tried to make it clear to muslims showing the dangers such claims entail. I also warned Muslims to be careful and do not follow what harms our religion which is our guide towards success in this life and the hereafter.

المبحث الأول: آراء العلماء في ترتيب المصحف

المطلب الأول: الإجماع على ترتيب الآيات

أولاً: نقل إجماع الأمة

أجمعت الأمة الإسلامية على أن ترتيب الآيات في سورها على ما هو عليه المصحف اليوم توقيفي بأمر من النبي ﷺ، فقد كانت الآيات تنزل عليه، وجبريل يدلّه على مواضعها، ويبلغها رسول الله ﷺ صحابته، ويأمر كتاب الوحي بنسخها في مواضعها، وكان جبريل يعارضه بالقرآن في رمضان كل عام مرة، حتى عارضه في السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ مرتين مرتباً الآيات كما هي عليه الآن، وقد حفظه الصحابة بعده وأجمعوا على هذا الترتيب¹.

ولقد نقل غير واحد من العلماء الإجماع في ذلك، فلقد جاء في البرهان للزركشي قوله: «فأما الآيات في كل سورة، ووضع البسمة في أوائلها، فترتيبها توقيفي بلا شك، ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تعكيسها»²، ومن نقل الإجماع أيضاً حول هذه المسألة أبو جعفر بن الزبير الغرناطي، حيث قال: «ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم، وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين»³.

¹ - محمد أحمد القاسمي: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، ط1، 1979م، مصر، ص244.

² - الزركشي البرهان في علوم القرآن، دار النشر بيروت، (د، ط)، ج1، ص256.

³ - ابن الزبير الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني، طبعة وزارة الأوقاف المغربية، سنة: (1410هـ/1990م)، ص182.

فالإجماع والنصوص المترادفة كلها على أن ترتيب الآيات توقيفي، لا شبهة في ذلك، قال مكّي¹ وغيره: ترتيب الآيات في السور بأمر النبي ﷺ، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بدون بسملة، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: «ترتيب الآيات أمر واجب، وحكم لازم، فقد كان الرسول بأمر من جبريل ﷺ يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا»²، ويقول السيوطي: «والذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه، ولم ينسخه، ولا رفع تلاوته بعد نزوله، هو الذي بين الدفتين، الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيئا، ولا زيد فيه، وأن ترتيبه، ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى، ورتبه عليه رسوله من أي السور، لم يقدم من ذلك مؤخر ولم يؤخر مقدم، وأن الأمة ضبطت على النبي ﷺ ترتيب أي كل سورة وموضعها وعرفت موقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءات، وذات التلاوة، وأنه يمكن أن يكون الرسول ﷺ قد رتب سورته، وأن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده، ولم يتول ذلك بنفسه»³.

ثانيا: أدلة هذا الإجماع:

وأما الروايات التي تعضد هذا الإجماع الذي ينص على أن هذا الترتيب توقيفي، فهي من الكثرة بما كان، فلقد قال زيد: «كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من

¹ - هو مكّي بن أبي طالب حمش بن محمد بن مختار، أبو سمر القيسي، كان من أهل التبصر في علوم القرآن والعربية، حسن الفهم، كثير التأليف في علوم القرآن، محسنا لذلك، توفي سنة: 473هـ، انظر ابن بشكوال، الصلة: ق2، ص631.

² - جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: فؤاد أحمد زمولي، دار الكتاب العربي، 2004م، بيروت، ص163.

³ - السيوطي، الإتقان، (مصدر سابق)، ص163.

الرفاع»¹، وأخرج أحمد وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، عن ابن عباس قال: «قلت لعثمان: ما حملك على أن عمدت إلى الأنفال، وهي من الثاني، وإلى برآة وهي من المثني، ففرقت بينهما، ولم تكتبوها بين سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتوها في السبع الطوال، فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ﴿ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا﴾، وكانت الأنفال أول ما نزل في المدينة، وكانت برآة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ، ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك فرقت بينهما، ولم أكتب سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتهما في السبع الطوال»².

وأخرج أحمد بن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالسا عند رسول الله ﷺ، إذ شخص ببصره، ثم صوبه، ثم قال: ﴿أتاني جبريل، فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى...﴾³، إلى آخرها...﴾⁴، ويكفي في هذا الباب الرجوع إلى أحاديث فضل بعض الآيات من

¹ - رواه الترمذي تحت رقم: 3954، والإمام أحمد في المسند، ج5، ص 184، وابن أبي شيبة، برقم: 32466، في ج5، ص 157، وابن حبان: 114، والبيهقي في الدلائل، ج7، ص 147، كلهم عن زيد بن أبي ثابت رضي الله عنه.

² - ضعيف رواه الترمذي (3088)، وأبو داود (786-787)، والنسائي في السنن الكبرى تحت رقم: (8007)، والإمام أحمد في المسند، ج1، ص 57-69، ورواه الحاكم النيسابوري: ج2، ص 221-330، ابن حبان (43)، وابن أبي داود في المصاحف، ص 31، والبيهقي: ج2، ص 42.

³ - سورة النحل: الآية 90.

⁴ - رواه أحمد في المسند: ج4، ص 218، وفي سنده ليث وهو صدوق، اختلط، ولم يتميز حديثه، فترك، أنظر: التهذيب: ج4، ص 369.

السور في كتب التفسير، كحديث فضل أواخر سورة البقرة¹، والعشر آيات في بداية الكهف²، وما واضب عليه رسول الله ﷺ في قراءته لبعض السور لم يغير منهن شيئاً، لا بتقدم ولا بتأخير، في آياتها كقراءة سورة البقرة، وسورة النساء، وآل عمران، وقراءته، لسورة "ق" في العيد³، والمنافقون في الجمعة⁴ بالترتيب نفسه في الآيات لم يختلف عليه أحد.

وهذا من أوضح الأدلة على أن هذا الترتيب الذي رتبّه الله عليه ولأجله كان النبي ﷺ يدّله على موضع السورة من القرآن، والآية من السورة: ليكتب ويحفظ على نظمه وترتيبه.

¹ - رواه مسلم في صحيحه برقم: 809، وأبو داود (4323)، والترمذي برقم: (2886)، والنسائي برقم: (8025-10784)، وأحمد في مسنده: ج5، ص 196، وج6، ص 446-449، وابن السني عي عمل اليوم والليلة: برقم (676)، والمحامي في الأمالي، برقم: (356)، وأبو عبيد، وغيرهم.

² - رواه البخاري في صحيحه برقم: (5008-5009-5040)، ومسلم برقم: (807)، وأبو داود برقم: (1397)، والترمذي برقم: (2881) والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم: (718-719)، وابن ماجة في سننه برقم: (1368-1869)، والدرامي برقم: (3388)، وأحمد في المسند: ج4، ص 118، وابن حبان برقم: (781)، والبغوي في شرح السنة برقم: (1199) في الفضائل ص 132، وابن الضريس، في فضائل القرآن، ص 92، وابن حبان برقم: (785)، والبيهقي في الشعب، ج2، ص 474، والبغوي في تفسيره، ص 187، وفي الشرح برقم: (1204).

³ - رواه مسلم برقم: (891)، وأبو داود برقم: (1154)، والترمذي برقم: (534-535)، والنسائي ج3، ص 183، وابن ماجة برقم: (1282)، ومالك برقم: (8)، ج1، ص 180، وأحمد ج5، ص 217، وابن حبان برقم: (2820)، والبغوي برقم: (1107).

⁴ - رواه مسلم برقم: (877)، وأبو داود برقم: (1124)، والترمذي في سننه برقم: (5109)، وابن ماجة برقم: (1118)، وأحمد في المسند: ج2، ص 429، وابن خزيمة برقم: (1843)، وابن حبان برقم: (2806)، والبغوي (1088)، وكلهم من حديث أبي هريرة.

وأنبه أن في القرآن آيات ذكر فيها الناسخ مقدما في ترتيب التلاوة على المنسوخ، كآية: ﴿وَالَّذِينَ يَتوفُونَ مِنْكُمْ وَيُدرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً﴾¹ بعد قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتوفُونَ مِنْكُمْ وَيُدرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ...﴾²، خلافاً لقوله أبو مسلم³ أن تلك في الوصية إذا أقمن فلهن السكنى، والنفقة حولا، فإن خرجن فعليهن في النكاح إذا مضت المدة المفروضة، وهذا قول مجاهد⁴.

روى البخاري قال: قال ابن الزبير⁵: قلت لعثمان بن عفان: ﴿وَالَّذِينَ يَتوفُونَ مِنْكُمْ وَيُدرُونَ أَزْوَاجًا﴾، قال: قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها، قال: يا ابن أخي لا أغير شيئا منه من مكانه، -يعني لم تكتبها وقد علمت أنها منسوخة- أو

¹ - سورة البقرة، الآية 240.

² - سورة البقرة، الآية 234.

³ - هو الفقيه العابد ربحانة الشام روى عن عمر ومعاذ، وأبي عبيدة، وحدث عن أبي إدريس الخولاني، وأبو العالية الربحاني، وجبير بن نفير، وعطاء، وأبو قلابة، توفي سنة 62هـ في دولة يزيد. انظر: سير أعلام النبلاء: ج4، ص 449.

⁴ - هو الإمام أبو الحجاج المخزومي المقرئ المفسر الحافظ ولي السائب ابن أبي السائب، سمع سعدا، وعائشة، وأبا هريرة، وأم هانئ، ولزم ابن عباس مدة وأخذ عنه، وروى عنه قتادة، والحكم بن عتيبة، وعمرو بن دينار، ومنصور الأعمش، وتوفي سنة 103هـ عن عمر يناهز 83 سنة. انظر: كشف الظنون، ص 501.

⁵ - هو عبد الله بن الزبير بن أبي العاص بن العوام بن خويلد، الأسدي القرشي، وأمّه أسماء بنت أبي بكر الصديق، وكنيته أبو حبيب، وأبو بكر، ولد بالمدينة المنورة في السنة الثانية للهجرة، وهو أول مولود من المهاجرين في المدينة، كان له صحبة، حيث يُروى في مسنده ثلاثٌ وثلاثون حديثا، وكان ممن روى عنه: والده، وجده لأبيه، وخالته السيدة عائشة، وقد روى عنه أبناؤه، وأحفاده، وجماعة من التابعين، كان عالما زاهدا، وقتل في شهر جمادى الأولى سنة: 73هـ، وعمره بضع وسبعون سنة. انظر أعلام النبلاء ج3، ص 213.

قال: لم تدعها مكتوبة- شك من الراوي، وفي جواب عثمان دليل على أن ترتيب الآي توقيفي، وكان عبد الله بن الزبير ظن أن الذي يُنسخ حكمه، لا يُكتب، فأجابه عثمان: بأن ذلك ليس باللائم، والمتبع في التوقيف، ومعنى هذا الكلام أن تمام السنة على أربعة أشهر وعشرا، إنما هو بالصوية، إن شاءت سكنت في بيتها، وإن شاءت خرجت... ثم جاء الميراث فنسخ السكني، فتعنت حيث شاءت، فلا سكني لها¹.

وقد اكتظت كتب الحديث بالإشارة إلى هته الفكرة وما كان فيه تعارض من هذه النصوص والآثار المنقولة- على قلته- فهو إما ضعيفا لا يُأبه له، أو مؤولا بعيدا لا يعتد به، ولا يقوم مقام الآثار الصحيحة التي تثبت توقيفية آي القرآن. ونختم هذا الكلام بأن الصحابة رضوان الله عليهم جمعوا القرآن كما هو عن رسول الله ﷺ، من غير تقديم ولا تأخير، ولا زيادة ولا نقصان على الترتيب الإلهي بتوقيف جبريل عليه السلام، وإعلامه بوضع الآية من السورة.

المطلب الثاني: ترتيب السور

إذا كانت النصوص قد ترادفت على أن ترتيب الآيات في السور كان بأمر من النبي ﷺ، وتوقيف من المولى تبارك وتعالى بواسطة جبريل عليه السلام، فهل الأمر كذلك بالنسبة لترتيب السور؟ أم هناك آراء أخرى؟ وإن كانت هناك آراء أخرى فما هي أدلة كل رأي منها؟

لقد أشار الشيخ ابن الزبير في كتابه: "البرهان في ترتيب سور القرآن" إلى أن ترتيب السور في القرآن فيه خلاف بين أهل العلم على خلاف ترتيب الآيات، فيقول: «... وإنما اختلف في ترتيب السور على ما هي عليه، وكما ثبت في مصحف عثمان بن

¹ - انظر العسقلاني: فتح الباري، (مصدر سابق)، ج8، ص 155، و- السيوطي، الإقتان، (مصدر سابق)، ص 523.

عفان الذي بعث بنسخه¹ إلى الآفاق، وأطبقت الصحابة على موافقة عثمان في ترتيب سورة وعمله فيه»²، ثم قال: «فكيفما دار الأمر فمنه صلى الله عليه وسلم عُرف ترتيب السور، وعلى ما سمعوه منه بنوا جليل ذلك النظر»³، وإنما الخلاف وقع في فعلهم في ترتيب السور هل كان بتوقيف قولي، أو بمجرد استناد فعلي حيث بقي لهم فيه مجال نظر؟ وحتى لو كان هذا الأمر اجتهاداً من الصحابة، فإن الأمر مسلم فيه أيضاً، لأنه لا يوجد من هو أفصح، وأعلم بكتاب الله، وبآياته، وسوره، ونزوله من الصحابة رضي الله عنهم، كما أنهم أعملوا في ذلك اجتهادهم الأقصى، وهم الأعلیاء بعلمه، والمسلم لهم في وعيه، وفهمه، وهم العارفون بأسباب النزول، ومواقع الكلمات، وإنما ألفوه على ما كانوا يسمعون منه، وهو رسول الله ﷺ، وقد كان نظرهم هذا في ما استقر عليه النبي ﷺ من كان فعله الأكثر، والسند في ذلك بان الترتيب في السور قد روعي فيه التناسب، وإن كان لم يُراعى فيه أسباب النزول، وزمانه ومكانه، بأدلة،

¹ - والراجح أنها أربع نسخ، وقال أبو عمر الداني في: "المقنع في رسم القرآن، ص 10 «قيل أربع وقيل خمس، والأول أصح، وعليه الأئمة». انظر: السيوطي الإتيقان، ص 159، و-الزركشي: البرهان، ج1، ص 240. والداني هو: الحافظ الإمام شيخ الإسلام، أبو عمر عثمان بن سعيد الأموي، مولاهم القرطبي المقرئ، صاحب التصانيف، عُرف بالداني لمسكنه بدانية، قال: «ولدت سنة: 371هـ، وبدأت طلب العلم سنة: 386هـ، ورحلت إلى المشرق سنة: 397هـ، وسكنت القيروان أربعة أشهر، ودخلت مصر في شوال فمكثت بها سنة، ثم حججت، ورجعت إلى الأندلس في ذي القعدة سنة: 399هـ»، قرأ على عبد العزيز بن جعفر الفارسي، وابن غلبون، وسمع من أبي مسلم، واليزار، وابن النحاس، كان أحد الأئمة في القراءات، ورواية الحديث والتفسير، كان مالكي المذهب، له 120مصنف، كانت وفاته بدانية في النصف من شوال، سنة 444هـ. مقدمة كتاب التيسير.

² - ابن الزبير الغرناطي: البرهان في ترتيب سور القرآن، (مصدر سابق)، ص 182.

³ - المصدر نفسه، ص 183.

وأحاديث رويت منها في صحيح مسلم¹، وما روى في مصنف ابن أبي شيبة²، وما نُقل عن الخطابي³.

والقاضي ابن العربي⁴، والتأمل بالعقل في ذلك التناسب الموجود بين عدة سور كالأنفال، وبراءة، والتناسب الموجود بين الطلاق، والتحريم، والضحي، والشرح...مما

¹ - إشارة إلى حديث حذيفة في صلاة القيام، وطرفه: ﴿استفتح رسول الله (ص) البقرة فقلت: يركع عند المائة﴾ وقد سبق تخريجه.

² - إشارة لحديث أن قراءته في صلاة الجمعة، بسورة الجمعة، والمنافقون. سبق تخريجه أيضا.

³ - هو الإمام أحمد بن إبراهيم ابن الخطاب السبتي، أبو سليمان الفقيه، المحدث اللغوي، وله عدة مصنفات، من آثاره: "معالم السنن"، و"إصلاح غلط المحدثين"، و"غريب الحديث" وله شرح على البخاري، توفي سنة: 388هـ. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج3، ص 1018، حيث نُقل عنه قوله: «أن الصحابة لما اجتمعوا على القرآن وضعوا سورة القدر عقب العلق، واستدلوا بذلك على أن المراد بها الكتابة في قوله: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ القدر آية1، إشارة إلى قوله: إقرأ».

⁴ - ابن العربي هو محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي الإشبيلي، المالكي، ولد بالأندلس، ورحل إلى المشرق، وعاد إلى وطنه سنة 491هـ، وتولى القضاء، وذكر ابن بشكوال في الصلة أن له مصنفات عديدة منها: "عارضة الأحوذى" و"أحكام القرآن" و"العواصم، وشرح موطأ مالك، و"قانون التأويل"، توفي سنة: 543هـ بفاس، وُنقل عنه قوله: «..وهذا بديع جدا، قلت ومن ظن ممن اعتمد القول بأن ترتيب السور اجتهاد من الصحابة، أنهم لم يراعوا في ذلك التناسب، والاشتباه، فقد سقطت مخاطبته، وإلا فما المراعى في ترتيب التزول؟ وهو غير واضح في ذلك بالقطع، بل هذا معلوم في ترتيب آي القرآن الواقع ترتيبه بأمره عليه الصلاة والسلام، وتوقيفه بغير خلاف...». انظر ابن الزبير، البرهان، ص 184.

أنظر: - تاريخ قضاة الأندلس، ص 105.

- نفح الطيب، ج2، ص 199.

- الأعلام، ج6، ص 230.

لا يتوقف في وضوحه من له أدنى نظر، كما نقل عن أبي محمد بن عطية¹ قوله بتفصيل في المسألة، وساق له ابن الزبير في كتابه البرهان بعض ما يؤيد هذا الرأي، منه قول رسول الله ﷺ: ﴿إقرأوا الزهروان البقرة، وآل عمران﴾²، وحديث يؤتى بالقرآن يوم القيامة تقدمه سورة البقرة³، وحديث: صلى رسول الله ﷺ بالسبع الطوال في ركعة⁴، وحديث كان يجمع المفصل في ركعة⁵، وحديث رواه البخاري من طريق عائشة: ﴿أن

¹ - هو عبد الحق بن غالب ابن عبد الرحمن ابن عطية الأندلسي الحاربي الغرناطي، كان فقيها نبيها مفسرا أدبيا شاعرا ذكره صاحب الصلاة، وقال: كان مولده سنة: 481هـ، وتوفي في 25 رمضان، سنة 541هـ، بمدينة يورقة، من أشهر مصنفاته: "الحرر الوجيز" انظر: تاريخ قضاة الأندلس، ص 109. و- الأعلام، ج3، ص 282.

² - رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، برقم: (804) من حديث معاوية بن سلام عن أخيه زيد، ورواه الحاكم في المستدرک، كتاب: فضائل القرآن، أخبار في فضل سورة البقرة، برقم: (2071)، ورواه أحمد في المسند من حديث أبي أمامة البهلي، برقم: (21710 / 21642 / 21653)، و- في شعب الإيمان فصل في إيمان تلاوة القرآن برقم: (1980).

³ - رواه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة القرآن الكريم، برقم: (805)، ورواه أحمد في المسند من حديث النواس بن سمعان، برقم: (17185)، ورواه في الشعب، الكتاب: التاسع عشر، باب: تعظيم القرآن برقم: (2373).

⁴ - ابن أبي شيبه، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: عامر العمري الأعظمي، الدار السلفية بندي بازار بومباي، الهند، في كتاب: الصلوات في الرجل يقرن السورة في الركعة، ج1، ص 367.

⁵ - المصدر نفسه: ص 368.

النبي كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة قرأ المعوذتين...¹، وكأنه يؤيد الرأي القائل بأن ترتيب السور، إن لم يكن رسول الله ﷺ، قد أمر به بلسان المقال، فإنه قد أشار إليه بلسان الحال، وهو ما كان عليه أكثر عمله، وأن العبرة بما ورد على الأكثر والإجمال، لا على القلة والتفصيل، وقليل بقي فيه الخلاف.

والبك أخي القارئ تفصيل ذلك في ثلاثة مذاهب سلكها العلماء:
يقول الدكتور أحمد يوسف القاسم: «للعلماء في ترتيب السور مذاهب ثلاثة، فمنهم من يقول أن الترتيب اجتهادي، ومنهم من يقول إن البعض بالتوقيف، ثم يختلف هؤلاء في التحديد، ومنهم من يقول إن الترتيب توقيفي»²، ونحن نسجل في ذلك حيرة السيوطي حينما يتساءل في الإتيان عن ترتيب السور فيقول: «... وأما ترتيب السور فهل هو توقيفي أيضاً، أو هو اجتهاد من الصحابة، فيه خلاف»³ ويقول ابن الزبير الغرناطي: «... وإنما اختلف في ترتيب السور على ما هي عليه»⁴، يعني في المصحف العثماني، وما تعارف عليه الناس من هذا الترتيب الذي استقر عليه رأي الصحابة، والأمة جميعاً.

القائلون بالاجتهاد:

وهم الجمهور، ومنهم:

¹ - أخرجه البخاري، ج9، ص 62، وأبو داود في سننه برقم: (5056)، والترمذي في الجامع ج4، ص 231، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم: (788)، وابن ماجة برقم: (3875)، وأخرجه الإمام أحمد ج6، ص 116-154، وابن حبان برقم: (5543-5544).

² - أحمد يوسف القاسم، الإعجاز البياني، (مصدر سابق)، ص 257.

³ - السيوطي، الإتيان، (مصدر سابق)، ص 164.

⁴ - ابن الزبير، البرهان، (مصدر سابق)، ص 182.

1- أبو الحسين أحمد بن فارس¹: حيث قال ما نقله عنه السيوطي: «قال جُمع

القرآن على ضربين، أحدهما: تأليف السور، كتقديم السبع الطوال، وتعقيبها بالمئين، فهذا الضرب هو الذي تولاه الصحابة رضوان الله عليهم، وأما الجمع الآخر فضم الآي بعضها إلى بعض، وتعقيب القصة بالقصة، فذلك شيء تولاه رسول الله ﷺ، كما أحر به جبريل عن أمر ربه عز وجل»²، فهو يقسم طريقة جمع القرآن إلى قسمين، ويفرق بين ما جُمع على أساس الشكل، فتقديم الطول على القصر، وما جُمع على أساس مراعاة المضمون، كتعاقب القصة بعد القصة، والآية بعد الآية.

2- القاضي عياض³: حيث كان واضحا تماما في موقفه، وربما كان أوضحهم

جميعا، حتى رتب على هذا الرأي أمورا أخرى، كجواز تنكيس السور في الصلاة، وغيرها، ونقل عنه يوسف القاسم قوله: «إن ترتيب السور ليس بواجب في الكتابة، ولا في الصلاة، ولا في الدرس، ولا في التلقين والتعليم، وأنه لم يكن من النبي ﷺ في

¹ - هو أبو الحسين أحمد بن فارس ابن زكرياء بن محمد بن حبيب اللغوي الرازي، صاحب المجمل في اللغة، وكان مقيما بمهمدان، وله رسائل حسان، أخذ عنه البديع صاحب المقدمات الهمداني بديع الزمان، قال ابن خلكان: توفي سنة: 390، وقيل سنة: 395هـ، والأول أشهر. انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 335، و- أجد العلوم، ج3، ص 6.

² - السيوطي، الإتقان، (مصدر سابق)، ص 164.

³ - هو ابن محمد بن القاضي عياض، بن موسى اليحصبي، السبتي، النحوي، قال عنه ابن الزبير: «ولد سنة: 584هـ، وأخذ عن أيوب بن عبد الله الفهري، وأخذ بالجزيرة الخضراء كتاب سيبويه، وتفقه عن أبي القاسم عبد الرحمن بن علي النحوي، وأخذ بها "الإيضاح" لأبي علي الفارسي، وأجيز سنة: 598هـ، وولي القضاء بغرناطة، إلى أن مات في جمادى الآخرة سنة: 655هـ، وتوفي أبوه عياض الفقيه سنة: 630هـ، بمالقة». انظر: -سير أعلام النبلاء، ج20، ص 219. وكذلك تاريخ قضاة الأندلس، للمراكشي.

ذلك نص، ولا حد تُحرم مخالفته، ولذلك اختلف ترتيب المصاحف قبل مصحف عثمان*¹، إذ ينفي بشدة ورود أي دليل عن النبي ﷺ في تحديده، أو حتى إشارة إلى أن ترتيب السور أمر من الله تعالى، وجوز تنكيسه في أي حالة كان عليها القارئ سواء في الصلاة، أو في الدرس، أو غيره.

3- الإمام مالك²: وقد رأينا طرفا من رأيه سابقا، حيث يقول: إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ، مع قوله بأن ترتيب السور اجتهاد منهم³. ولعله قصد "بما سمعوا منه"، الآيات في السور، وليس ترتيب السور نفسها. والله أعلم.

4- القاضي أبو بكر الباقلاني⁴: في أحد قولي، حيث يقول: «يحتمل أن يكون ترتيب السور على ما هي عليه اليوم في المصحف كان على وجه الاجتهاد من

*- يقصد بعض مصاحف الصحابة: مثل مصحف أبي بن كعب، ومصحف عبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبي موسى الأشعري، وغيرهم...

¹ - محمد يوسف القاسم، الإعجاز البياني، ص 257.

² - هو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، من ذوي أصبح من حمير المدني، أحد أعلام الإسلام، وإمام دار الهجرة، سمع نافعا، والرهوي، وهشام بن عروة، وغير واحد من التابعين، وعنه من شيوخه الزهري ويحيى الأنصاري، وخلق كثير، له ألف حديث، وله كتاب الموطأ، وهو أول مؤلفا في الإسلام، ولد سنة: 93هـ، وتوفي سنة: 179هـ. ابن خلكان، وفيات الأعيان.

³ - ابن الزبير الغرناطي، البرهان، (مصدر سابق)، ص 183.

⁴ - هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني، قاض من علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في المذهب الأشعري، ولد في البصرة، وسكن بغداد في العقد الرابع من القرن الرابع الهجري، من مؤلفاته: "الإبانة عن إبطال أهل الكفر والضلالة" وكتاب: "كيفية الاستشهاد في الرد على أهل الكفر والعناد، و"التمهيد"، وكتاب: "الإمامة"، و"الأصول الكبير في الفقه" و"إعجاز

الصحابة»¹، حيث صرح باحتمال أن يكون ترتيب السور اجتهاد من الصحابة، وكأنه لم يقف على أدلة تشفي العليل، وتروي الغليل في ذلك، ولهذا هو يترنح بين قولين، وهذا أحد قولييه كما أسلفنا، ثم يواصل فيقول: «وترتيب السور اليوم هو من تلقاء زيد ومن كان معه، مع مشاركة من عثمان رضي الله عنه في ذلك»²، ولقد حكا عنه الإمام السيوطي³ في الإلتقان قوله: «إن الأمة ضبطت عن النبي (ص) ترتيب أي كل سورة، ومواضعها، وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة، وأنه يمكن أن يكون الرسول ﷺ قد رتب سورته، وأن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده، ولم يتول ذلك بنفسه، فقال: وهذا الثاني أقرب»⁴، ومن هؤلاء أيضا القائلين بهذا الرأي

القرآن.. وغيرها. أنظر: كتاب الباقلاني وكتابه القرآن، دكتور عبد الرؤوف مخلوف، منشورات دار مكتبة الحياة، 1998، بيروت، المقدمة. -و- المعلم بفوائد مسلم: ج1، ص 527.

¹ - القاسم، الإعجاز البياني، (مصدر سابق)، ص 258.

² - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، (مصدر سابق)، المقدمة، باب: ذكر جمع القرآن، ص 49.

³ - هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد، بن سابق الدين، بن عثمان بن الشيخ همام الدين الخضير السيوطي الشافعي، ولد يوم الأحد، بداية رجب سنة: 849هـ، وكان أشعريا صوفيا، عالما جليلا أدبيا فقيها، محدثا تاريخيا، يقول عن نفسه: رُزقت التبحر في سبعة علوم، توفي ليلة الجمعة من جمادى الأولى سنة 918هـ. انظر: -مقدمة طبقات المفسرين للسيوطي.

⁴ - السيوطي، الإلتقان، (مصدر سابق)، ص 163.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

الإمام البقاعي¹، والإمام الحارلي²، وابن الزبير الغرناطي، وجمهور العلماء كما قال السيوطي، ودليل هؤلاء جميعا هو:

أولا: الحديث الذي رواه مسلم، والنسائي عن حذيفة، حيث قال: ﴿صليت مع النبي(ص) ذات ليلة، فافتتح بالبقرة، فقلت يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فافتتح النساء...﴾³، وقال النووي: قال القاضي عياض في شرح هذا الحديث: «فيه دليل لمن يقول أن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المصاحف، وأنه لم يكن ذلك من ترتيب النبي(ص) بل وكله إلى أمته بعده»⁴، ذلك أنه قرأ سورة النساء قبل سورة آل عمران، وأن ما عليه المصحف، إنما سورة آل عمران تسبق النساء في الترتيب، وهذا دليل على عدم التزامه ﷺ بهذا الترتيب.

¹ - هو العلامة برهان الدين إبراهيم بن محمد بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي، المحدث المفسر الأديب المؤرخ، ولد سنة: 809هـ، في قرية "حربا روجا" بالقرب من دمشق، وكان كثير الترحال، توفي سنة: 885هـ، في ليلة السبت 18 رجب، ودفن خارج دمشق، من جهة قبر عاتكة. انظر البدر الطالع، ج1، ص 21.

² - هو أبو الحسن علي بن أحمد الحارلي الأندلسي الصوفي المالكي المتوفى سنة: 637هـ. انظر كشف الظنون: ج2، ص 1768.

³ - سبق تخريجه.

⁴ - أحمد يوسف القاسم: الإعجاز البياني، (مصدر سابق)، ص 259.

ثانياً: يستدلون باختلاف مصاحف السلف، في ترتيب السور، فمنهم من رتبها على حسب تاريخ النزول، وهو مصحف علي رضي الله عنه، وكان أوله: إقرأ ثم نون، ثم المزل فالدثر... ثم بقية المكي والمدني، وكان أول مصحف عبد الله بن مسعود البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، وكذا مصحف أبي بن كعب، وهي على اختلاف كبير في الترتيب، وهذا الاختلاف الشديد بين المصاحف دليل على أنه لم يُنقل عن النبي ﷺ ترتيب معين، وإلا لما ساع لهم أن يخرجوا عنه، وقد اكتفينا بإيراد هذين الدليلين، أو الحجتين، لأهمهما ما استند إليه أصحاب هذا الرأي.

القائلون بالتوقيف:

ويرى فريق من العلماء أن حال السور كحال الآيات، فهي بتوقيف من النبي ﷺ، وبأمره، وأوردوا أيضاً أدلة على ذلك سنورها بعد قليل، ومن العلماء الذين قالوا بتوقيفية ترتيب السور:

1- أبو بكر الأنباري¹: إذ يقول في هذا الصدد: «.. وأنزل الله القرآن كله من السماء الدنيا ثم فرقه في بضع وعشرين سنة، فكانت السورة تنزل لأمر حدث، والآية

¹ - هو الحافظ العلامة شيخ الأدب أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار النحوي، سمع من أبي العباس الكلبي، وإسماعيل القاضي، وأحمد بن الهيثم البزار، له تصانيف كثيرة، وكان يروي بأسانيده، ويعلم من حفظه، صنف في القراءات والغريب، والمشكل والوقف، والابتداء، وحدث عنه أبو عمر بن حيوية، والدارقطني، توفي ليلة عيد النحر ببغداد سنة: 328هـ، وله من العمر سبعة وخمسون سنة. انظر: -الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج3، ص 844.

جوابا لمستخبر، أو لمستجير، ويوقف جبريل النبي ﷺ على موضع الآية، أو السورة، فاتساق السور كاتساق الآيات، والحروف، كله عن النبي ﷺ، فمن قدم سورة أو أخرها، فقد أفسد نظم القرآن¹ والكلام واضح لا يحتاج إلى تعليق.

2/ أبو جعفر النحاس²: حيث يرى أن تأليف السور على هذا الترتيب هو من

رسول الله ﷺ، واستند في ذلك إلى حديث واثلة المرفوع، والذي نصه كالتالي: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل»³، ثم علق على هذا الحديث، فقال: «وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي ﷺ، وأنه مؤلف منذ ذلك

¹ - أنظر: الزركشي: البرهان، ج1، ص 260، و- السيوطي، الإتيقان، ص 165، و- تفسير القرطبي، ج1، ص 60، و- التذكار في أفضل الأذكار: ص 29/28.

² - هو أبو جعفر أحمد بن إسماعيل المصري النحوي، صاحب التصانيف، ارتحل إلى بغداد، وأخذ عن ترجمة أبو جعفر بن الزجاج، وكان ينظر في زمانه بابين الأنباري وبنفطويه، حدث عن محمد بن جعفر وبكر بن سهل، والحافظ النسائي، وغيرهم، وروى عنه أبو بكر محمد بن علي الأدفوي..، ومن كتبه: "إعراب القرآن" و"اشتقاق الأسماء الحسنى" وتفسير أبيات سيبويه، وكتاب: "المعاني"، و"الكافي في النحو"، و"الناسخ والمنسوخ" مات غريقا في النيل في ذي الحجة سنة: 333هـ، أعلام الموقعين عن رب العالمين، ج1، ص 231.

³ - رواه أحمد في المسند: ج4 برقم: (107)، والطبراني في المعجم الكبير ج21، برقم: (187/176)، وج22، برقم (76/75)، والطيالسي برقم: (1012)، وفي مسند الشاميين، برقم: (2732).

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراي

الوقت، وإنما جُمع في المصحف على شيء واحد، لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله ﷺ على تأليف القرآن»¹.

3/ القاضي أبو بكر الباقلاني: وهو الآخر في كتابه: "الانتصار" حيث نقل عنه

السيوطي قوله: «لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير»²، ويقول أيضا: «من أفسد نظم القرآن فقد كفر به»³، وحتى قول مالك وهو من القائلين بالاجتهاد، فيه شيء يوحى بأن الحجة مقامة على من قال بهذا الرأي -الاجتهاد- حيث قال: «إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله»⁴، وهو شامل للآيات والسور جميعا.

¹ - يوسف القاسم، الإعجاز البياني، (مصدر سابق)، ص 189. و- الزركشي: البرهان، (مصدر سابق)، ج3، 258.

² - السيوطي، الإتقان، (مصدر سابق)، ص 189.

³ - يوسف القاسم، الإعجاز البياني، (مصدر سابق)، ص 264.

⁴ - سبقَت الإشارة إليه.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراي

4/ ابن الحصار¹: لا يتعد هذا الأخير عن أصحاب هذا الرأي؛ بل إنه كان

واضحا ومتيقنا أن هذا الرأي هو الصحيح، حيث قال: «ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها، إنما كان بالوحي، حيث كان رسول الله ﷺ يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب، هي تلاوة رسول الله ﷺ، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف»²

5/ ومنهم الطيبي³، وابن وهب⁴ في جامعهم، وابن أشته في كتاب: "المصاحف"،

¹ - هو الإمام مقرئ الوقت أبو جعفر أحمد بن علي بن يحيى بن عون الله الداني ثم المرسى الحصار، ولد في حدود سنة: 530هـ، تلا على أبي عبد الله بن سعيد، ورحل، وتلا بالسبع على أبي الحسن ابن هديل، ومن ابن النعمة ابن سعادة، تلا عليه محمد بن جوبر، ومحمد بن محمد بن مشليون، مات في سفر 609هـ، وقال عنه ابن الزبير: «سمع في صغره من ابن الوليد ابن الدباغ، وجمع السبع على ابن سعيد». انظر: صلة الصلة لابن الزبير، ق26، ص52.

² - يوسف القاسم، المصدر نفسه، ص272.

³ - هو ابن حمدان الطيبي المعروف بالصائغ، أحد المعيدين بالنظامية، ودرس بالثقية، وكان عارفا بالمذهب، والفرائض، والحساب، صنف شرحا للثبية، ذكره ابن الساعي، توفي سنة: 624 هـ. أنظر البداية والنهاية: ج13، ص122.

⁴ - هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري القرشي، مولا هم المصري، روى عن خلق منهم مالك، ويُعد من أصحابه، توفي سنة: 197هـ. انظر الديباج: ج1، ص413.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

والإمام البغوي¹ في شرح السنة، وبرهان الدين الكرمانى² في كتابه "البرهان في متشابه القرآن" وغيرهم كثير، وكلهم يستدلون بأن القرآن كله قطع من اللوح المحفوظ، وهو بترتيب معين، ثم نزل منجما حسب الحوادث، ثم بعد ذلك أعيد في المصاحف على الترتيب الأول، وهذا لا يكون إلا بتوقيف من الله ورسوله، وما تعاهده الناس منذ عهد النبوة، من هذا الترتيب، ولم يجدوا لذلك مخالفا، وهو عمل النبي ﷺ، وتكراره لقراءة القرآن بنفس هذا الترتيب طوال حياته، وفي المناسبات، والأعياد، والجمع والجماعات، والتعليم وغيره، وما تعله الصحابة منه، وما نقلوه إلى التابعين من بعدهم... إلى يوم الناس هذا.

القائلون بالتفصيل:

وهم الذين فصلوا في المسألة، وحاولوا أن يقفوا موقفا وسطا وهم كثير نذكر منهم:

¹ - هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، المفسر صاحب التصانيف، مثل: "شرح السنة" و"معالم التنزيل" و"المصاييح" وكتاب: "التهذيب" و"الجمع بين الصحيحين"... تفقه على يد شيخ الشافعية القاضي حسين بن محمد المروزي صاحب التعليقة.... توفي بمرو الروذي مدينة من مدن خراسان في شوال سنة: 615هـ، وعاش بضعا وسبعين سنة. انظر ترجمة الأعلام. الشبكة الإسلامية.

² - هو حسَّان بن إبراهيم الكرمانى قاضي كerman، روى عن عاصم الأحول، وقال عنه صاحب المغني: كان ثقة، وقال أبو زرعة: لا يأمر به وقد خرج له الشيخان، وأبو داود، توفي سنة: 186هـ. انظر شذرات الذهب: ج1، ص 309.

1- ابن عطية الأندلسي¹: إذ ذهب بالقول أن كثيرا من السور كان ترتيبها

معلوما في حياة النبي ﷺ

وذلك كسور السبع الطوال المبدوعة بسورة البقرة، ثم الحواميم، والمفصل، وأما ما سوى ذلك من سور فقد حولت الأمة بترتيبه بعد النبي (ص)²، حيث قال في مقدمة تفسيره: «وظاهر الآثار أن السبع الطوال، والحواميم، والمفصل، كان مرتبا زمن النبي، وكان في السور ما لم يرتب؛ فذلك الذي رُتب وقت الكتب»³.

2- البيهقي⁴: حيث يقول في المدخل: «كان القرآن على عهد النبي ص مرتبا

سوره وآياته على هذا الترتيب: الأنفال، ورآة، لحديث ابن عباس، قال: قلت لعثمان:

¹ - هذا الرأي ذكره القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، في كتابه: "الحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة 1، دار الكتب العلمية، 1993م، بيروت، لبنان، ج 1، ص 50.

² - أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، ص 114.

³ - ابن عطية، مقدمة التفسير، ص 50.

⁴ - هو أحمد بن الحسين، بن علي بن عبد الله بن موسى أبو بكر البيهقي، له تصانيف كثيرة، ولد سنة: 384هـ، وكان أوحد أهل زمانه في الإتقان والحفظ، والفقه، وكان محدثا فقيها أصوليا، أخذ العلم عن الحاكم أبي عبد الله النيسابوري، ألف: "السنن الكبرى، و"نصوص الشافعي" في 10 مجلدات، و"السنن الصغير" و"الآثار والمدخل" و"الأدب" و"شعب الإيمان" و"دلائل النبوة"... توفي بنيسابور، ونقل تابوته إلى بيهق في جمادى الأولى، أنظر البداية والنهاية، لابن كثير، ج 12، ص 94.

ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال..¹، وهذا يدل على بعض السور كان مرتبا لا كل السور.

3- أبو جعفر ابن الزبير: حيث يفصح عن رأيه المؤيد لابن عطية الأندلسي، فيقول: «وظاهر الآثار شاهدة بصحة ما نص عليه ابن عطية، ثم يبقى بعد ذلك قليل من السور يمكن أن يجري فيها الخلاف»² وخلاصة هذا الرأي أن ه قد جاءت الآثار والأحاديث عن رسول الله ﷺ تؤكد أن كثيرا من ترتيب السور كان معهودا في حياة النبي ﷺ منها أحاديث تكلمت عن السبع الطوال، والحواميم، والمئين والمفصل، والمثاني... مثل حديث أنه صلى الله عليه وسلم جمع الفصل في ركعة، وحديث البخاري: أن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿بني إسرائيل -الإسراء- والكهف ومريم وطه والأنبياء - بهذا الترتيب - هن من العتاق الأول وهن من تلادي³﴾⁴، ومنها حديث عائشة: ﴿حينما يؤوي النبي إلى فراشه فيقرأ وينفث في كفيه...﴾⁴.

¹ - وقد سبق تخريجه.

² - ابن الزبير، البرهان في ترتيب سور القرآن، (مصدر سابق)، ص 185.

³ - من العتاق الأول: يعني أول ما نزل، ومن تلادي: يعني من قدسم ما حفظت وعلمت.

⁴ - صحيح البخاري: 121/2، (سبق تخريجه).

وأما السيوطي فقد قال: «ينبغي القول بأن محل الخلاف إنما هو خاص بترتيب سور الأقسام الربعة، وأما نفس الأقسام من الطول¹، ثم المئين²، ثم المثاني³، ثم المفصل⁴، فلا خلاف في ترتيبها إجمالاً، فهذا يقتضي القطع بأنه توقيفي، وأنه يدعي فيه الإجماع⁵»، ويبيّن هذا القول على ما تقدم من الأحاديث الصحيحة، وعلى حديث ابن عباس خاصة في الأنفال والتوبة، وأيضاً على أن المصاحف التي وقع فيها الاختلاف في الترتيب، اتفقت على هذا الترتيب، وكان اختلافها في ترتيب سور كل قسم، حيث قال: «فإذا تحرى ذلك أي من اتفاق المصاحف في ذلك القسم من الطوال والمثاني

¹ - وهي السور الطويلة في القرآن، وتبدأ بـ: البقرة، وآخرها التوبة، وقيل إلى براءة لأهم كانوا يعدونها والتوبة سورة واحدة، لعدم فصلها ببسملة، وهي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، و(الأنفال+براءة).

² - سميت كذلك لأن كل سورة تزيد فيها على 100 آية، أو تقاربها، وهي التي تلي السبع الطوال.

³ - سميت بالمثاني لثنية الأخبار، والقصص فيها، وكذلك العبر والأمثال، فإنها كثيراً ما ترد في القرآن مثناة، وهي ما يلي المئين، وهي ما كانت السورة فيها أقل من مائة آية، وقد تطلق المثاني على الفاتحة، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾.

⁴ - وهو قصار السور، وسميت بذلك لكثرة الفصول بين السور بالبسملة، وقيل لقلة ما يرد فيها من منسوخ، وهو يبدأ من سورة "ق" وقيل غير ذلك - بلغت 12 قول - وتنتهي بآخر سورة منه وهي: "الناس".

⁵ - السيوطي، الإتقان، (مصدر سابق)، ص 162.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

والمئين، ونظرا إلى محل الخلاف، فالمختار عندي في ذلك ما قاله البيهقي، وهو أن كل السور توقيفية، إلا الأنفال وبراءة¹. والله أعلم.

مناقشة الأقوال السابقة:

لقد سردنا آراء العلماء في ترتيب القرآن الكريم، ولاحظنا أنهم يتفقون، في ترتيب الآيات، ولكنهم يختلفون في ترتيب السور، وهل هو من قول النبي أم هو من فعله؟

إن كان القرطبي² يرى في الجامع لأحكام القرآن أن تأليف السور على ما هو عليه في مصحفنا كان عن توقيف من النبي ﷺ³، فإن السيوطي يرى أن جمهور العلماء على الثاني⁴، وهو أن الترتيب اجتهاد من الصحابة، وبين الرأي الأول والثاني رأي آخر مفاده: أن جُلَّ الترتيب كان توقيفيا، وبعضه فيه اجتهاد، وهذا الموقف يتبنا الشيخ ابن الزبير والبيهقي.

وأما استدلال المخالفين بأن مصاحف الصحابة: علي، وابن مسعود أب وابن عباس... وغيرهم لم تكن على الولاء الذي رتب عليه عثمان مصحفه، وأن هذا الاختلاف يدل على أنه لم ينقل عن النبي ﷺ شيء فيه، وغلا ما ساغ لهم تجاوزه، فإن

¹ - يوسف القاسم: الإعجاز البياني، [نقلا عن تناسق الدرر للسيوطي]، ص 48، ص 262.

² - هو عبد الرحمن بن مروان أبو المطرف الأنصاري القرطبي كان عالما في التفسير والأحكام بصيرا بالحديث، حافظا للرأي ورعا زاهدا مجاب الدعوة، وله معرفة باللغة العربية والأدب، صنف شرح الموطأ، ومختصر تفسير القرآن لابن سلام، وكتاب في الشرط، وروى عنه ابن عتاب، وابن عبد البر، وكان مولده سنة: 341هـ، ومات في رجب سنة: 413، انظر السيوطي، طبقات المفسرين، ص 64.

³ - القرطبي، الجامع، ج 1، ص 60.

⁴ - السيوطي، افتقان، ص 164.

الاختلاف ليس دليلاً على أنه ليس توقيفياً، فإن مصاحفهم لم تكن مصاحف تلاوة، بقدر ما هي مصاحف علم وتأويل، قصد بها ضبط وقائع معينة، فقد كُتب فيها المنسوخ تلاوة، وبعض الأدعية كالقنوت، وتفسير بعض الآيات وغيرها.

ومن كلام اللجنة المؤلفة لوضع تقرير عن كتابة المصحف المرتل وهم السادة: الشيخ عبد الوهاب غزلان، والأستاذ أحمد السيد الكومي، والأستاذ محمد عبد الوهاب بحيري، لتقييم كتاب الأستاذ لبیب سعد (المصحف المرتل)، ص: 20 ما يلي: «أما الروايات التي ذكرها السيوطي لإثبات أن بعض الصحابة كان لهم مصاحف، خالفت مصحف عثمان، في ترتيب السور، فهي واردة في كتب لم يلزم مؤلفوها الصحة فيما يرونها فيها، وعلى فرض صحتها، فذلك كان قبل جمع عثمان بن عفان (ض)، الذي أجمع عليه الصحابة، وفيهم أصحاب هذه المصاحف، والتي أمرهم عثمان بحرقها، فأحرقوها، فلا يليق بعد هذا أن ينسب إليهم أنهم يخالفون مصحف عثمان، في ترتيب السور، أو بعضها»¹.

وأما سبب الاختلاف هذا بين المصاحف في عهد النبي ﷺ إنما كان بسبب عدم جمع القرآن كاملاً بين دفتين أولاً، ثم إن الصحابي عندما يسمع سورة أو آيات نزلت على رسول الله ﷺ، فإنه يسارع لكتابتها، وحفظها، ولكن قد يفوته شيء لم يسمعه من النبي، فإذا حضر بعد ذلك، حَفِظَهُ، وكتبه خلاف لمن يسمع بعدن أو من سمع قبله، وقد كان الصحابة منشغلون بمعايشهم، ومسؤولياتهم الخاصة، والعامة، كالجهاد في سبيل الله وغيره، ولم يكونوا متفرغين لطلب العلم، وكانوا يتداولون على مجالس رسول الله ﷺ، كما حدث مع عمر وأحد الأنصار، إذ كانا يسكنان أعالي المدينة فكانوا

¹ - المصحف المرتل: ص 20.

يتناوبان عليه¹، «ويأخذ منه أن بعض الصحابة كانوا يتغيبون مجالس رسول الله جريا وراء متطلبات الحياة أو بسبب المرض أو الجهاد، أو غير ذلك، فإذا نزل القرآن في هذه الحالة، فلا يدري مقدمه، ومؤخره، وإن علم ذلك وقد كتبه على ما كان أولا، وترك تغييره على ما استقر عليه...، اعتمادا على حفظه، فلما انتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى، واحتيج إلى جمع القرآن، بين دفتين على ما انتهى عليه الأمر بعد العرضة الأخيرة، جمعه الصحابة على هذا، وأجمعوا على هذا الترتيب»².

وأما من استدل بحديث حذيفة، وفيه أن سورة النساء كانت آنذاك مقدمة على آل عمران، فيتناول قراءته صلى الله عليه وسلم سورة النساء أولا، ثم آل عمران، هنا على أنه كان قبل التوقيف والترتيب³... ويقول السيوطي في هذا الصدد: «ولا ينبغي أن يستدل بقراءته ﷺ سورا ولا آية على أن ترتيبها كذلك، وحينئذ فلا يُرد حديثه قراءته سورة النساء قبل آل عمران، لأن ترتيب السور في القرآن ليس بواجب، ولعله فعل ذلك لبيان الجواز»⁴، وكان السيوطي يناقض ما ذهب إليه من القول بالاجتهاد، وهو الأقرب.

وفي حديث مسلم أيضا عن جابر أن معاذ صلى بالناس العشاء، وافتتح بالبقرة، وطول بأصحابه، وفيه أقبل رسول الله على معاذ فقال: ﴿أفتان أنت؟ اقرأ بكذا، وقرأ بكذا﴾، فقال سفيان: قلت لعمره: إن أبا الزبير حدثنا عن جابر أنه قال: ﴿اقرأ

¹ - صحيح البخاري، ج1، ص 33.

² - القاسم، الإعجاز البياني، (مصدر سابق)، ص 273.

³ - محي الدين النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر للطباعة والنشر: 1981م، (د، ط)، ج6، ص 62.

⁴ - السيوطي، الإتيان، (مصدر سابق)، ص 167.

والشمس وضحاها، والضحى والليل إذا يغشى، وسبح اسم ربك الأعلى»، فقال عمرو: نحو هذا¹، وفي رواية أخرى عن جابر أيضا: «إذا أمت الناس فاقرأ بالشمس وضحاها، وسبح اسم ربك الأعلى، واقرأ بسم ربك، والليل إذا يغشى»²، فإن هذه الأحاديث ونحوها لا تعكّر صفو التوقيف، فإن ترتيب ابن مسعود لا وجود له، بعد أن أحرقت المصاحف، وإجماع الصحابة على مصحف عثمان، ثم إن ذلك إن وُجد فقد كان قبل العرضة الأخيرة التي رُتب عليها المصحف العثماني.

وقد كان النبي يختم القرآن كل سبعة أيام ونهى عن أقل من ذلك، وكيف يختمه إن لم يكن مرتبا بحسب ما رتب له جبريل عليه السلام، ثم إن عثمان بن عفان كان يختم القرآن كله، وقد أخذه عن رسول الله حفظا وترتيبا، حتى روي عنه أنه كان يختم القرآن في ركعة واحدة، وكان الصحابة يحزّبون القرآن ثلاث، سورة وخمس، سورة وسبع، وتسع سور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من "ق" حتى الختام³، وحيثذ فلو عددنا 48 سورة كانت التي تليهن "ق" وهذا هو حزب المفصل حتى نهاية السور الكريمة، وهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو عليه في المصاحف كان على عهد رسول الله ﷺ⁴، وقال الزركشي: «لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم:

¹ - النووي على مسلم، (مصدر سابق)، ج4، ص 181.

² - ابن علي الشوكاني: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، دار الفكر للطباعة، بيروت، (د،ط)، ج2، ص 237.

³ - الفتح الرباني: على مسند الإمام أحمد، للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، ط1، 1953هـ - ص 18-28-29.

⁴ - يوسف القاسم: الإعجاز البياني، (مصدر سابق)، ص 278.

- إحداهما: بحسب الحروف في الحواميم.
- ثانيها: موافقة أول السورة لآخرها قبلها، كآخر الحمد في المعنى، وأول البقرة.
- ثالثها: في اللفظ كآخر تبت يدا، وأول الإخلاص.
- رابعها: لمشابهة جملة السورة لجملة أخرى مثل الضحى والشرح¹

الترجيح:

لقد عرضنا فيما سبق أقوال العلماء وآرائهم في ترتيب المصحف، وخاصة السور، لأن ترتيب الآيات محل اتفاق بينهم، ثم عرضنا أدلة كل فريق، وناقشناها في ضوء ما توفر لنا من فهم ووعي وتوجيه لأدلتهم، وترجيح لآرائهم، وها نحن نخلص الآن إلى ترجيح أسد الأقال، وأقواها آملين أن نخطي بالصواب، وراحين من الله أن نقف على قناعة كاملة في هذا الموضوع.

يقول يوسف القاسمي: «... بل الجمهور على الأول -يعني التوقيف- والأدلة تبين ذلك، حتى ما استدل به المخالف لا يستقيم، وإجماع الصحابة، أقوى دليل على أنهم وجدوا ما أفادهم علما، ولم يدع لهم مجالا لأدنى وهم، بأن صرح لهم النبي ﷺ، بمواضع السور، أو رمز إليهم بذلك...»²، ونستأنس بقول الألوسي في توجيه هذا الرأي في قوله: «فلا بد من التصريح بمواضع الآي، والسور، إما من الرمز إليهم بذلك، وإما بإجماع الصحابة على هذا الترتيب، وعدولهم عما كان أولا من بعضهم على غيره من الأساليب -وهم الذين لا تلين قناتهم لباطل، ولا يصدهم عن إتباع الحق لومة لائم، ولا قول قائل- أقوى دليل على أنهم وجدوا ما أفادهم علما ولم يدع لهم تخيلا

¹ - الزركشي: البرهان، (مصدر سابق)، ج1، ص 260.

² - المصدر السابق، ص 286.

ولأولهما»¹، ويرى الزركشي أن الخلاف يعود للفظ، لأن القائل بالاجتهاد يقول إنه رمز إليهم بذلك، لعلمهم بأسباب نزوله، ومواقع كلماته، ولهذا قال الإمام مالك: «إنما ألفوه على ما سمعوه منه ﷺ»²، ويعني الزركشي أن الصحابة لم يسمعوا نصا صريحا في الشكل، فقد علموا من أحواله ﷺ ما أفادهم في ترتيب، ما لا نص فيه، وهذا هو معنى قول القائل بالاجتهاد، فالأخذ برمزه وإشارته ﷺ، لا ينافي عدم التصريح بالترتيب، ولكن هل الأمر كذلك؟³.

ويقول الدكتور يوسف القاسمي: أنه لا خلاف بين القائلين بالاجتهاد والقائلين بالتوقيف، وبعد هذا يبقى الكلام في الترتيب بالرمز والإشارة هل هو من باب الاجتهاد أو التوقيف؟⁴

ولا شك أن فعل النبي ﷺ وتقريره وكلامه هو من باب التصريح، لا من باب الرمز والإشارة، فإن صح عنه شيء من هذا دخل حيز التوقيف، ولن تجد أبدا سورة من سور القرآن، إلا وهي موضوعة في مكانها الذي وضعها فيه رسول الله ﷺ، وقد نقل الصحابة ذلك من قراءته وتعليمه، وأحواله كلها في الصلوات أو في غيرها، ووقع إجماعهم على ترتيب المصحف على ما هو عليه اليوم، ولا يجمعون إلا على مستند صحيح، صريح، وإذ قال ابن الزبير: «... فكيفما دار الأمر فمنه ﷺ عرف ترتيب

¹ - أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، طبعة: 1983م، بيروت، لبنان، ج1، المقدمة، ص 27.

² - ابن الزبير، البرهان، (مصدر سابق)، ص 182.

³ - الإعجاز البياني، (مصدر سابق)، ص 270.

⁴ - المصدر نفسه، والصفحة أيضا.

السور، وعلى ما سمعوه منه بنو جليل ذلك النظر»¹، ويجب أيضا ابن الزبير عن السؤال السابق بأن هذه الآثار إنما وقعت بفعل، لا بقول، وأمر يحصل منه التوقيف².

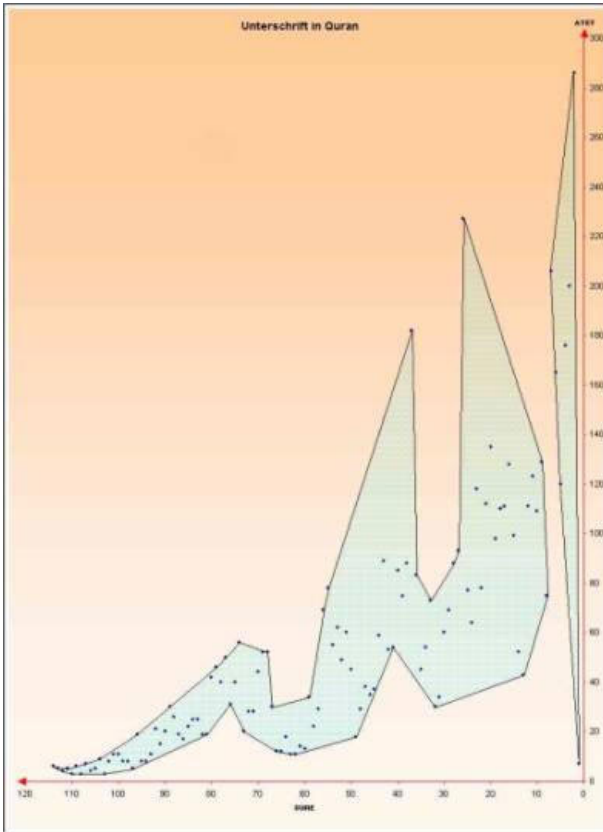
والقول الراجح من ناحية إعمال الأدلة، وتوجيهها، وعلى ضوء فهمها، وهو أن سور القرآن الكريم كلها توقيفية، بأمر رسول الله ﷺ، وحتى سورتي الأنفال والتوبة، كما بينا في موضعه عند حديث عثمان لما سأله ابن عباس، فأجاب: وقد قبض رسول الله دون أن يبين إن كانت براءة تابعة للأنفال، وفي ذلك، دلالة على أن النبي ﷺ، كان قد بين ترتيب كل سور القرآن، لأن سؤال ابن عباس، لم يكن عن الترتيب؛ بل عن الفصل، بين السورتين بالبسملة، هل هي منها؟ يعني من نفس السورة أم تعتبر سورة مستقلة لوحدها؟ وهذا لا يقدح أبدا في هذه المسألة من جهة، ومن جهة أخرى فإن الذي تطمأن إليه القلوب، وتركز إليه النفوس، أن مثل هذه القضية، لا ينبغي أن تناط بالصحابة، إذ أن ترتيب السور، أمر من الأهمية بما كان، ذلك لارتباطه بمسألة النظم والإعجاز القرآني، فلا ينبغي لأحد كائن من كان، أن يمس نظم القرآن الكريم وترتيبه. والله أعلم.

¹ - ابن الزبير، البرهان، (مصدر سابق)، ص 183.

² - المصدر نفسه، ص 187.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراي

وهذا مخطط بياني يساعد على اختيار الرأي الصحيح:



مخطط بياني يمثل أرقام سور القرآن وعدد آياتها، والنتيجة لا يتوقعها أحد: لفظ

الجلالة: الله

المبحث الثاني: الترتيب التزولي للقرآن الكريم

معلوم أن القرآن الكريم قد كتب في اللوح المحفوظ منذ الأزل، إلى أن أرادت مشيئة الله أن يكون آخر ما يتزل من كلام الله تعالى إلى الأرض، مع مجيء محمد رسول الله(ص)، آخر نبي للبشر، فقطع من اللوح المحفوظ في السماء السابعة، وأنزل جملة واحدة إلى بيت العزة في سماء الدنيا، في ليلة هي خير من ألف شهر في السابع والعشرين من شهر رمضان، ثم نزل بعد ذلك منجما مفردا بحسب الوقائع والمناسبات في ثلاث وعشرين سنة¹ وكانت بداية نزوله يوم الاثنين عام ست مائة وعشرة ميلادي على رسول الله في غار حراء، وأول ما نزل منه قول تعالى: ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق﴾²، قال ابن عاشور: ونزل القرآن نجوما بحسب أسباب النزول، التي تعتبر حوادث يُروى أن آيات من القرآن نزلت لأجلها، أو لبيان حكمها، أو لحكايتها، أو إنكارها، أو نحو ذلك³، وقد اهتم الصحابة رضي الله عنهم ببيان زمان، ومكان نزول الآيات، وأين؟ وبسبب ماذا؟ فقد كان ابن مسعود قلم الوحي يقول: «سلوني ما بدا لكم فما من آية نزلت إلا أعلم في من نزلت وأين نزلت»⁴، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «سألت أبي بن كعب عما نزل من القرآن بالمدينة فقال نزلت بها سبعة

¹ - انظر مختصر ابن كثير، محمد علي الصابوني، قصر البليدة، دار الشهاب 1990، ج3، ص 659.

² - سورة العلق، الآية 1.

³ - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1998م، المقدمة الخامسة، ج1، ص 46.

⁴ - جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: فؤاد أحمد زمولي، دار الكتاب العربي، 2004م، بيروت، ص 37.

وعشرون سورة، وسائرهما بمكة»¹، وقال ابن العربي في كتابه الناسخ والمنسوخ: «الذي علمناه على الجملة من القرآن أن منه مكيا ومدنيا، وسفريا وحضريا، وليليا ونهاريا، وسمائيا وأرضيا، وما بين السماء والأرض، وما نزل تحت الأرض في الغار»²، وكلما نزلت آيات إلا بادر الصحابة بكتابتها في موضعها بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو من عند أنفسهم، فلقد عاشوا زمان نزوله؛ فهم أعلم الناس به، وأضبطهم له من ناحية ترتيبه، وتحصيله في الرقاع، وفي الصدور، ولقد اهتم العلماء بضوابط القرآن المكي والمدني، ومنهم من أفرد بمصنفات، وتبعوا مواطن نزوله وترتيبه وزمن وروده³... الخ.

وقد أورد السيوطي في الإتقان، والزركشي في البرهان ترتيب السور حسب زمن نزولها فكان أولها: اقرأ باسم ربك، ثم ن، ثم القلم، ثم المزمل، فالمدثر، فالمسد، ثم سورة التكوير، ثم سبح، ثم والليل، ثم ألم نشرح لك، ثم سورة العصر، العاديات، الكوثر، أهاكم، الماعون، الكافرون، الفيل، الفلق، الناس، الصمد، النجم، عبس، الشمس، البروج، التين، يس، الفرقان، الملائكة، مريم، طه، الشعراء، النمل، القصص، الإسراء، يونس، هود، يوسف، الحجرات، الأنعام، الصافات، لقمان، سبأ، الزمر، الأحقاف، الذاريات، الغاشية، الكهف، النحل، ثم إبراهيم، الأنبياء، المؤمنون، السجدة،

¹ - المصدر نفسه، ص 35

² - الناسخ والمنسوخ لابن العربي.

³ - منهم: مكّي والعزّ الدريني: وهو عبد الله بن أحمد بن سعيد بن عبد الله الدريني الشافعي، أبو محمد، ولد سنة 612هـ، وتوفي سنة 694هـ، من مؤلفاته: "المصباح المنير في علم التفسير"، و"طهارة القلوب" و"الخضوع لعلام الغيوب"، وغيرها. انظر شذرات الذهب، ج5، ص 450، ومعجم المؤلفين، ج5، ص 241.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراي

الطور، الملك، الحاقة، سال سائل، عم، والنازعات، الانفطار، الانشقاق، الروم،
العنكبوت، المطففين، كل هذه بمكة.

ثم أنزل بعد الهجرة، البقرة والأنفال، آل عمران، الأحزاب، الممتحنة، النساء،
الزلزلة، الحديد، محمد، الرعد، الرحمن، الإنسان، الطلاق، البينة، الحشر، النصر، النور،
الحج، المنافقون، المجادلة، الحجرات، التحريم، الجمعة، التغابن، الصف، الفتح، المائدة،
براءة، وهذا ما نزل بالمدينة¹.

واختلفوا في نزول الفاتحة، وويل للمطففين، فمنهم من قال بمكة، ومنهم من
قال بالمدينة².

ومن المواقف التي أعجبتني في هذا الصدد، موقف سيد قطب رحمه الله تعالى،
حيث كانت لديه فكرة إمكانية ترتيب القرآن الكريم حسب زمن النزول، وتفسيره
على هذا المنوال، لكنه تراجع عن ذلك في آخر الأمر، وهو بذلك يتفق مع جمهور
العلماء من المفسرين، والباحثين في علوم القرآن، بأن ترتيب الآيات في السور ليس
على أساس زمن النزول ولا مكانه، إنما هو ترتيب توقيفي؛ أمر به رسول الله صلى الله
عليه وسلم، ومن ثم أمر الصحابة بذلك فالتزموا بأمره في كتابتهم القرآن وجمعه.

ولقد جاء في كتاب المنهج الحركي لعبد الفتاح الخالدي: «أما ترتيب السور في
المصحف فيبدو أن سيد قطب قد اقتنع بعد تجربته في عرضه للسور في كتابه "مشاهد

¹ - السيوطي، الإتقان، (مصدر سابق)، ص 38.

² - بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 194.

القيامة في القرآن" حسب النزول، باستحالة الجزم بالترتيب على هذا الأساس، وبخطورة الآراء التي تنتج عن ذلك بمخالفة ذلك لاتفاق المسلمين منذ زمن عثمان إلى العصر الحديث¹

وفي ذلك يقول سيد قطب في تقديمه لسورة الأنفال: «إن الترتيب الزمني للنزول لا يمكن القطع فيه الآن بشيء - اللهم من ناحية أن هذا قرآن مكّي وهذا مدني على وجه الإجمال، على ما في هذا من خلافاً قليلة - فأما الترتيب الزمني المقطوع به من ناحية زمن النزول، كل آية أو كل مجموعة من الآيات أو كل سورة فيكاد يكون متعذراً»²، بحيث لم تثبت فيه روايات وآثار صحيحة إلا نادراً، كما جاء على لسانه قوله: «ولا يكاد يجد الإنسان فيه اليوم شيئاً مستيقناً إلا في آيات معدودات تتوافر بشأها الأحاديث، أو تقطع بشأها بعض الروايات...»³.

ورغم أن سيد قطب قد أبدى رأيه في أهمية هذا الترتيب، فإنه تمحى لو أن الصحابة نقلوه وأثبتوه لما له من أثر ودلالة حركية تربوية، ومنهجية، حيث يمكن تصور منهج الحركة الإسلامية، ومراحلها وخطواتها، ولأن قلة اليقين في هذا الترتيب تجعل الأمر شاقاً، كما أنها تجعل النتائج التي يتوصل إليها تقريبية، وليست نهائية قطعية⁴.

وترتيب السور في القرآن إنما هو بتوقيف من الله تعالى على الرغم من نزول آيات السور في فترة زمنية طويلة، ولمناسبات، وأسباب، وملابسات شتى، فنزول

¹ - صلاح عبد الفتاح الخالدي، المنهج الحركي في ظلال القرآن، دار الشهاب، الجزائر، ج2، ص311.

² - سيد قطب، تفسير الظلال، الطبعة 10، دار الشروق، 1982م، القاهرة، ج3، ص 1429.

³ - الخالدي، المنهج، (مصدر سابق)، ص 312.

⁴ - سيد قطب، مقدمة الظلال.

الآيات شيء، وترتيبها في السور شيء آخر، ويستدل على ذلك ببعض الآثار والروايات... ويرى سيد قطب أيضا أن ترتيب السور ليس على أساس النزول إذ لا يعني وجود سورتين متواليتين في المصحف نزولهما متتابعين؛ بل بينها فترة زمنية متطاولة، وأصدق مثال على ذلك ما قاله عن سورة الفيل وقريش في خاتمة تفسير السورة بأن: «..وهذه السورة تبدو امتدادا لسورة الفيل قبلها من ناحية موضوعها وجوِّها، وإن كانت مستقلة مبدوءة بالبسملة، والروايات تذكر أنه يفصل بينها وبين سورة الفيل تسع سور، ولكن ترتيبها في المصحف متواليتين يتفق مع موضوعهما القريب»¹، وما يقوله بعض العلماء السابقين في ترتيب سور القرآن حسب نزولها ليس يقينا، فإنهم يرتبون السور حسب نزولها، ومنهم الإمام محمد بن شهاب الدين الزهري² في كتابه: "تزييل القرآن".

ولما طبع المصحف في المطبعة الأميرية ببولاق مصر- أشاروا في التعريف بالسور إلى ترتيبها حسب النزول، الفاتحة نزلت بعد المدثر، وآل عمران بعد الأنفال، والنساء بعد الممتحنة، والمائدة بعد الفتح، والأنعام بعد الحجر في مكة وهكذا...³ ولو تتبعنا كل ما قاله العلماء في هذه المسألة لطال بنا المقام ولهذا اكتفينا بما قدمنا في هذا المبحث.

¹ - المصدر السابق، ج6، ص 3183.

² - هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن الحارث بن عبد الله الزهري، الإمام العالم، أبو بكر القرشي المدني، نزيل الشام، روى عن ابن عمر، وجابر، وكان مولده سنة 50 أو 51هـ، وتوفي سنة 124، وهو ابن 72 سنة في 17 رمضان منها، وكان موته بأدما بأعمال فلسطين. انظر أعلام الموقعين.

³ - رسالتين لابن الأبار وابن تيمية في سلسلة رسائل ونصوص، رقم3، دار الكتب الجديدة، عام: 1963م.

المطلب الأول: حقيقة دعوى إعادة ترتيب القرآن حسب النزول.

لقد رتب القرآن الكريم على نمط فريد من نوعه، وعلى هندسة متقنة أرادها الله تعالى، فهو باب من أبواب إعجازه كما أسلفنا، وقد جاء هذا المعنى في كثير من الآثار نذكر منها:

- قال محمد بن سيرين¹ لعكرمة² أيام الجمع الأول للقرآن: «ألفوه كما أنزل الأول فالأول، فقال عكرمة: لو اجتمع الإنس والجن على أن يألّفوه ذلك التأليف ما استطاعوا»³، وقد أُلّف الصحابة مصاحف خاصة بهم، مرتبة ترتيبات مختلفة، ومحشوة بالقراءات الشاذة، وبعض التفسيرات، ولكن سرعان ما عادت الأمة، واجتمعت على مصحف واحد، ضاربة بعرض الحائط كل ما خالفه في شاردة أو واردة، وتم حرق المصاحف الأخرى، وانتهى الأمر على ذلك، وأذعن كل الناس لمصحف عثمان، واعتمدوه دون أي اعتراض.

¹ - هو محمد بن سيرين البصري الأنصاري، ولد سنة (33هـ/653م)، فعمل بها جزارا، وكان في أدنه صمم، مع ذلك تفقه ودرس الحديث، وكان من المحدثين التابعين المشهورين، وقد عاصر حسن البصري، واشتهر بتعبير الرؤيا، وحجة في تفسير الأحلام.

² - هو عكرمة الخير العالم أبو عبد الله البربري، ثم المدني الهاشمي، مولى بن عباس، روى عن مولاه، وعن عائشة، وعن أبي هريرة، وعقبة بن عامر، وأبي سعيد، وغيرهم، وحدث عنه خلق كبير، منهم أيوب، وأبو بشر، وعاصم الأحول، وثور بن زيد، وخالد الحذاء، قال ابن خالد: «إذا قدم عكرمة البصرة أمسك الحسن عن الفتيا والتفسير» توفي سنة 107هـ بالمدينة، انظر تذكرة الحفاظ، للذهبي، ج1، ص 95.

³ - السيوطي، الإتيقان، (مصدر سابق)، ص 155.

- كما أن تفسير بعض العلماء¹ لبعض أجزاء القرآن ليس دعوة إلى إعادة ترتيب المصحف وإن كان منهم من ادعى ذلك كما سنرى، وعلى رأسهم يوسف راشد، ومحمد عزت دروزة الذي توسع في هذه الدعوى؛ وبالفعل فقد أنجز تفسيراً على الترتيب التولي، وكذلك عائشة بنت عبد الرحمن، معززين رأيهم بأن: «التفسير ليس مصحفاً مرتلاً، وإنما هو عمل فني مستقل ليس له علاقة بقدسية ترتيب المصحف»². وقد اعتمد أصحاب هذه الدعوى إلى فتوتين:

إحدهما: لمفتي سوريا الشيخ أبو اليسر عابدين، ونصها: «ليس التفسير بقرآن يُتلى، حتى يُراع فيه ترتيب الآيات، والسور، فقد يمكن للمفسر أن يفسر آية، ثم يترك ما بجانبها لظهور معناها، وقد يفسر سورة، ثم يترك ما بعدها اعتماداً على فهم التالي، ولا مانع من تأليف تفسير على الشكل المذكور، والله أعلم».

والأخرى: لعبد الفتاح أبو غدة، جاء فيها: «إن شبهة المنع لهذه الطريقة، آتية من جهة أنها طريقة تخالف ما عليه المصحف الشريف، ودفعها أن المنع يثبت فيما فيها لو كان هذا الصنيع سلوكاً من أجل أن يكون هذا الترتيب مصحفاً للتلاوة... ويستأنس لسواغية هذه الطريقة بما سلكه أجلة من علماء الأمة المشهود لهم بالإمامة والقدوة من المتقدمين في تأليفهم، ولم يعلم أن أحداً أنكر عليهم ما صنعوا»³.

¹ - من القدماء ابن تيمية، وهشام الكلبي، ومن المحدثين: محمد عبده، وعبد الحميد بن باديس، والدكتورة بنت الشاطئ، والمرآغي، وأبو الأعلى المودودي، وأمين الخولي، ومحمد عزت دروزة، وأُسعد أحمد علي وغيرهم.

² - عزت دروزة، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، ط 1962م، مصر، المقدمة: ص 9.

³ - عزت دروزة، مقدمة التفسير: ص 711.

المطلب الثاني: تفسير ورد هذه الشبهة.

لقد عمل أعداء الدين قديما وحديثا على بث سمومهم ونفثها في عقيدة هذه الأمة، وعلى إيجاد أي ثغرة وأي مدخلا يشككون من خلاله في دين الله عز وجل، ولم يزل المستشرقون كلما سنحت لهم الفرصة لذلك ليشوهوا نور الإسلام الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، ولا شك أنهم يريدون دائما ضرب أصول الدين، ولا سيما إذا كان هو المصدر الأول للتشريع مثل القرآن الكريم، ولكن الله تواعد بحفظه، وأنجز وعده للمؤمنين، بأن حفظه إلى يوم الناس هذا، وقد كتب الغربيون¹ حول القرآن، والحديث، والعقيدة، والشريعة، كل هذا من أجل زعزعت إيمان المؤمنين، وإدخال الشك والريبة في قلوبهم.

ومن بين هذه الشبه التي ينسبونها إلى القرآن الكريم؛ شبهة تعارض هذا الأخير مع بعض مصاحف الصحابة، التي رُتب بعضها على الترتيب التزولي، وللأسف الشديد أننا نجد بعضا ممن يدعون الاجتهاد، ويُحسبون على أنهم من المفكرين الإسلاميين، ينساق وينجر خلف هته الفكرة، إما عن حسن نيّة، أو لتأثره بالدراسات الشرقية عموما وبالأتجاهات، والمناهج الحديثة.

وعندما كنت أتصفح كتاب: "حصاد قلم" للدكتور محمد عبد الله دراز، وقعت عيناى على مبحث سَمّاه صاحبه: "النقد الفني لمشروع ترتيب القرآن الكريم حسب نزوله" فأعجبني ذلك النقد، والذي أفاض فيه صاحبه، وغاص إلى أعماق هذه الدعوى،

¹ - من هؤلاء المستشرقون: نولدكه، صاحب كتاب: "المصاحف"، وبلاشير الفرنسي صاحب كتاب: "القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته، تأثيره، وهوير الألماني، وآرثر جفري مؤلف كتاب: "المصاحف العثمانية" وغيرهم.

حتى أصولها منزلزلا كل أساس بُنيت عليه بطريقة علمية فنية، فتتبعته بدوري، وحاولت أن أُلخص ما جاء فيه، وأضفت إليه ما أراه يخدم هذا الموضوع، عسى أن أكون قد ألمت، وسهلت الوصول إلى هذا المعنى في وريقات قليلة.

وفي الحقيقة أن هذا الكلام الذي لخصته؛ هو رد على رسالة من الأزهر الشريف، كتبها يوسف راشد (بوزارة العدل المصرية) في مجلة الأزهر لشهر رمضان سنة (1370هـ/1950م)، مجلد 22، وهاك أخي القارئ جزءا من نص هذه الدعوى، ثم بعد ذلك التعقيب عليها.

«...إن ترتيب القرآن في وضعه الحالي يبلبل الأفكار، ويضيع الفائدة من تنزيل القرآن، لأنه يخالف منهج التدرج التشريعي، الذي روعي في التزول، ويفسد نظام التسلسل الطبيعي للفكرة، لأن القارئ إذا انتقل من سورة مكية إلى سورة مدنية، اصطدم صدمة عنيفة، وانتقل بدون تمهيد، إلى جو غريب عن الجو الذي كان فيه، وصار كذلك ينتقل من درس في الحروف الأبجدية إلى درس في البلاغة...»¹.

إن القارئ عندما يرى مثل هذا الكلام ينبهر ويتعجب منه ولا يشك طرفة عين بأن قائله لا يكون إلا أحد المستشرقين الذين يُعرفون بمثل هذه الخرجات الغريبة، وهذه الترهات التي أقل ما يقال فيها أنها مجرد تخمينات لا أساس لها من الناحية العلمية، ولا

¹ - مقال النقد الفني لمشروع ترتيب القرآن الكريم حسب نزوله، عبد الله دراز، مجلة الأزهر، رئيس

التحرير: محمد فريد وجدي بك، تحت إدارة ديوان الإدارة للأزهر، والمعاهد الدينية، بالقاهرة، مطبعة

الأزهر 1950م، المجلد 22، ص 784.

من الناحية الواقعية، هذا بالنسبة للقارئ البسيط فضلاً عن العالم المدقق المحقق، فربما يرى فيها شيئاً آخر؛ الله أعلم كيف يكون موقفه، وحكمه على مثل هذه الأفكار، وأصحابها.

يقول عبد الله دراز: «أول ما نلاحظه أن هذه المقدمات لو صحت¹، كان يجب أن تؤدي إلى نتيجة غير التي يدعو إليها الكاتب، لأنه كان يلزم بمقتضى استدلاله ألا يُعاد ترتيب السور فحسب؛ بل أن تنثر نجوم القرآن كلها، سواء كانت سوراً، أو مجموعة آيات، وترتب حسب نزولها المكّي قبل المدني، والمتقدم عن المتأخر، حتى تُراعى في ذلك المراحل التاريخية لتزوله: فهل تصور هذا الكاتب كيف يكون جمال المصحف الشريف حينئذ؟ رغم أنه لم يتجرأ في دعواه إلى ذلك (تغيير الآيات) لأن الحجة مقامة، والبرهان والدليل موجود، واعترافه أيضاً بذلك على أن ترتيب الآيات أمر توقيفي كما رأينا سابقاً.

واعترافه هذا قد أوقعه في مأزقين:

الأول: قد علم أن ترتيب الآيات لم يراعى فيه التسلسل التاريخي للأحداث؛ بل روعي فيه أمراً آخر؛ لأن جبريل عليه السلام كان يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، بوضع آيات مكيات بجوار آيات مدنيات، والمسألة أهون في ترتيب السور الغير متجانسة منه في ترتيب آيات متجاورات ليست من نفس اللون.

والآخر: كما لو أنه دقق في مسألة ترتيب السور لخرج برأي، ربما يكون أقرب للأول، وهو القول بتوقيفية معظم سور القرآن، إلا بعض المواضع التي لم يصل الدليل على ترتيبها، كما هو الشأن في وصل سورة براءة بالأنفال بدون بسملة، وهو من فعل

¹ - لا يقصد نسبتها، بل معناها.

رسول الله وفعل الصحابة من بعده»¹، حيث أن الرجل يمنع من تغيير نظام الآيات في السور لأنه أمر توقيفي، وليس هو اجتهد من الصحابة، ولهذا يجب احترام قدسية هذا الترتيب الذي ليس لأحد دخل في ترتيبه.

وأما قوله بأن الانتقال من السورة المكية إلى السورة المدنية يصدم القارئ صدمة عنيفة، ويدخله طفرة في جو غريب منقطع عن السياق [وكأنني أتصوره ما إن يحمل كتاب الله ليقرأ فيه؛ حتى يُصدم تلك الصدمة العنيفة، ويخرج من جو إلى جو غريب عن الجو الذي كان فيه، فلا يمكنه بعد ذلك مواصلة القراءة في المصحف، فيتوقف، فهو على هذا النحو لا يقرأ كتاب الله أبداً، ولا يتدبر فيه، فضلاً عن شعوره بذلك الذوق الرفيع، وتلك البلاغة العربية فيه، وتلك الآداب وأثرها في نفس القارئ، وسمو روحه ووجدانه، وبذلك قد فاتته الشيء الكثير]، فيقول الدكتور دراز ما ملخصه: «...إن كلمة "الصدمة العنيفة" و"الجو الغريب" ألفاظ فضفاضة يستعملها الكتاب ليؤثروا بها في نفوس القراء، هذا إن كانت معانيها صحيحة، فكيف لو كانت غير ذلك؟ ثم رأى هذا الكاتب أن هذا الكلام غير مقنع فضرب مثلاً لذلك التنافر، وتلك الصدمة، وذلك الجو الغريب بوضع سورة محمد بعد سورة حم الأحقاف، فإن القارئ يشعر بذلك... ولم يضع يدنا على موضع المفارقة وبين وجه الانقطاع، والحقيقة أن هناك مناسبات رائعة بين تقابل هذه السورتين وخاصة بين صدر سورة محمد ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله...﴾²، وصدر سورة الأحقاف حتى قوله ﴿ومن أضل ممن يدعو من

¹ - عبد الله دراز، حصاد قلم، ص 47.

² - سورة محمد: آية 01.

دون الله...¹، من جهة، ومن جهة بين عجز سورة الأحقاف ﴿بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾²، وعجز سورة محمد ﴿.. يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾³، ثم لينظر هذا التقابل بين البدايتين وهذا التوازن بين النهايتين، وهذا قمة في التناسق والانسجام، فإن ظنَّ حضرته أن مجرد ذكر القتال في سورة محمد، وعدم ذكره في سورة الأحقاف يباعد بين السورتين، قلنا له: ألم تر كيف وضعت في آخر سورة الأحقاف قنطرة مهّدت للعبور منها إلى هذا المعنى الجيد؟، فلقد كان الإنذار في إهلاك الفاسقين في آخر السورة توطئة للأمر بنوع من أنواع هذا الهلاك، في السورة التي تليها، وهو القتال في سبيل الله⁴.

ثم انتقل إلى تفنيد قوله: أن الوضع الحالي للسور محل بحكمة تدرج التشريع، فقد ضرب الدكتور دراز مثلا ماديا لذلك، بجلب سلعا لبناء بيتا لا يبالي بأن يشتري أجزاء العرش والسقف قبل الأسس والجدران، متتبعا في ذلك فرصة توفر الثمن وتوفر تلك السلعة في السوق، ثم بنا بيته، أكان ذلك مخلا بهندسة ذلك البيت، وبالقياسات التي وضعها المهندس؟؟ كذلك كان القرآن الكريم يتزل بحسب الوقائع، ثم رتب حسب ذلك التصميم الذي أراده الله تعالى له فكان منسجما متكاملا آخذا بعين الاعتبار

¹ - سورة الأحقاف، آية 05

² - سورة الأحقاف، آية 35.

³ - سورة محمد، آية 38.

⁴ - عبد الله دراز، حصاد قلم، ص 48.

التدرج في التعليم والفهم، والانتقال من جو إلى جو تدريجيان إما تصاعديا أو تنازليا، حسبما تقتضيه الضرورة...¹.

وهذا يظهر بطلان هذه الدعوى الغير مؤسسة على أصول علمية، ولا على اجتهاد فيه نظر؛ بل إن الانسياق خلف مثل هذه الدعاوى خاصة إن لم تكن مبنية على أسس علمية قد توقعنا في شرك الجهل، والشك في مصادرنا الدينية، لا سيما ونحن نتعامل مع أقدس كتاب، وأفصح كلام وأبلغه، فضلا على أنه كلام رب العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تزييل من حكيم حميد، بل قد يؤدي ذلك إلى الرمي بوجه من أوجه إعجازه والمتمثل في أسرار ذلك الترتيب الذي رتب عليه، ولا ندري بعد ذلك أين يوصلنا ذلك الطريق، وما ينتج عن تتبع هذه الخطوات، فحسبنا أن نتوقف فيما توقف فيه الأولون، وهم أعلم بأمر هذا الكتاب من ناحية الفهم والشكل، خاصة إذا كان الأمر توقيفيا فيه نص، فلا اجتهاد بعد ذلك، إلا فيما ترك فيه الأمر مفتوحا لذلك، فلقد جاء في الحديث "أنه من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد"، ثم إننا لسنا مجبرين ولا مضطرين إلى القيام بهذه الخطوة لأن القرآن الكريم لم يضق ذرعا بشرح أو تفسير أي موضوع من مواضيع الحياة، ولم يفرط في شيء نحن بحاجة إليه، سواء في المنهج أو الموضوع، فهو المعين الذي لا ينضب والنبع الصافي الذي لا ييخل بما فيه، قال تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ فيل أن ينقطع عطاؤه نبحت عن طريق آخر نتعامل به فيه.

¹ - عبد الله دراز: حصاد قلم، تحقيق، أحمد مصطفى فضيلة، تقديم عبد الستار فتح الله سعيد، دار

القلم، 2000م، القاهرة: ص 45 وما بعدها.

تفسير القرآن بالقرآن - نموذج من تفسير النبي ﷺ -

١. جملة موجاري

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -

الملخص:

تفسير القرآن بالقرآن أصبح طرق التفسير كما قال العلماء. وأول من طبق هذه الطريقة ووجه إليها الرسول ﷺ حينما قال للسائل عن معنى الظلم الوارد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: 82)، ألم تنظر إلى قول لقمان لابنه: ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: 13)، ولذلك فإن أول مصدر يؤخذ منه تفسير النص القرآني القرآن ذاته. وهذا عمل لا يقدر عليه إلا من امتلك معرفة الضوابط والقواعد الموجهة لهذا النوع من التفسير، وأول أمر يجب التقيّد به عدم الانتقال إلى إعمال العقل لبيان ذلك حتى يبحث هل ثمة تفسير بالمنقول صحيح لذلك النص أم لا؟ هذا ما سيأتي الحديث عنه في هذا المقال.

Abstract:

Interpreting the Coran by the Coran itself is the most correct method for interpretation as was stressed by scholars.

The prophet-p.b.u.h- was the first one to apply this method and to point to it, when asked by someone about the meaning of wrong as expressed by Almighty God: "those who believe and do not confuse their beliefs with wrong"-6:82. Consider what lokman said to his son: "do not join in worship-other- with God: for false worship is indeed the highest wrong-

diong”-31-13-. That is why the first source the interpretation of the coranic text is taken from is the coran itself. Such task can not be successfully undertaken except by the one who has full knowledge of the norms and rules concerning such kind of interpretation. The first inevitable command is to avoid any move to brain activity to prove anything until we study the question whether there has been any correct interpretation of the text in the past. This is what the present paper will be about.

مقدمة:

قال ابن تيمية عن أحسن طرق التفسير: «إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر»¹.

وهذا الذي قاله ابن تيمية وأقره العلماء بعده، له أصل في تفسير النبي ﷺ، نحو تفسيره عليه الصلاة والسلام للظلم من سورة الأنعام بالشرك من سورة لقمان - كما سنرى في البحث لاحقاً-، فقد وجه ﷺ نظر من استشكل عليه معنى الظلم، إلى القرآن ذاته ليأخذ منه بيان ذلك.

ومن هنا ندرك أهمية ما قرره العلماء، من أن أصح طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن؛ وقد توصل أكثر من باحث لهذه المسألة إلى ضرورة تقديم مزيد من

¹ - انظر: عبد الرحمن بن محمد بلقاسم العاصمي النجدي: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية،

الدراسة والتحقيق¹، بغية وضع ضوابط وقواعد معينة تعتمد على تفسير القرآن بالقرآن منهجاً واضح المعالم.

والظاهر أن علّة ما توصل إليه الباحثون؛ ترجع إلى وعورة هذا المنهج في التفسير، لذلك قال العلماء عقب الحديث عن أحسن طرق التفسير: «فإن أعيك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له...»².

والذي يعضد ما قرره العلماء؛ عملية تفسير القرآن الكريم منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم إلى يومنا الحاضر، فالتأمل في بعض ما جاء في تفاسير القدماء والمعاصرين، يلاحظ تفاوتاً في نسبة تفسير القرآن بالقرآن بين أكثر ومقلّ، وقد يرجع التأمل سبب ذلك إلى عدم التزام بعض المفسرين بهذا المنهج في التفسير؛ لكن حتى من صرّح بالتزام هذا المنهج في التفسير يُلاحظ ذلك في تفسيره³.

وكأن الأمر أكبر من أن يُحصر في مصنف -أو أكثر- يحوي قواعد معينة وضوابط محددة، يعتمدها كل من يريد تفسير القرآن بالقرآن؛ وتكون له بمثابة العاصم من الخطأ في التفسير -بخاصة فيما لم يثبت فيه نقل عن الرسول ﷺ أو عن الصحابة رضوان الله عليهم أو عن الأئمة المعترين-.

خذ على سبيل المثال: مسألة تحديد وجه البيان بين النص القرآني الذي يراد

¹ - انظر هذا البحث، ص 6، الهامش رقم 4. وهذا ما توصلت إليه عند بحث منهج تفسير القرآن بالقرآن -دراسة نقدية لتفسير عبد الكريم الخطيب-.

² - انظر: مثلاً مجموع الفتاوى، مج 13، ص 363.

³ - نحو تفسير الشنقيطي "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" وتفسير عبد الكريم الخطيب "التفسير القرآني للقرآن" مع الفارق الكبير في المنهج المتبع في تفسيريهما.

بيانه، والنص القرآني الذي يبيّنه؛ هذه مسألة لا بد من وضع تقعيد لها من قبل العلماء المختصين، بخاصة إذا كان الاختلاف في تسمية وجه البيان بين النصين القرآنيين يترتب عليه فهم خاطئ للمعنى المقصود، ومثال ذلك حمل "معنى النسخ" الذي يذكر بين عدة نصوص قرآنية على اصطلاح الخلف، بينما المقصود منه أعم إذا حكى عن السلف.

وحتى إذا لم يترتب عليه الفهم الخاطئ للمعنى، فإن التزام المصطلح المطابق لوجه البيان بين النصين القرآنيين، ضرورة لا مناص منها في المنهج. ولذلك يلاحظ المتأمل في الطريقة المتبعة عند المفسرين بصفة عامة، وهم يفسرون نصوصا قرآنية؛ بنصوص قرآنية الاكتفاء بالقول: "هذه الآية بيان لقوله تعالى" أو "هذا النص يحمل فصله قوله تعالى"... وغير ذلك من العبارات التي لا يقصد منها الالتزام بمصطلح ما.

لكن إذا اختلف في تعيين وجه البيان بين نصين قرآنيين؛ كأن يقول أحدهم: عام خصّص، ويقول آخر: مطلق قيّد، ويقول ثالث: مبهم بيّن...، فحينئذ لا بد من ترجيح المصطلح المطابق لوجه البيان بين النصين؛ لأن هذه المصطلحات مختلفة من حيث الوضع الاصطلاحي لها. وهذا أمر من أمور أخرى يجب الالتزام بها عند تفسير القرآن بالقرآن.

وقد لوحظ مثل ذلك في النص القرآني الذي بيّنه الرسول ﷺ كما سنرى لاحقا؛ وبيان الرسول حجة لذلك الخطأ في تعيين وجه البيان بين النصين لا يؤثر على المعنى، لأن الجمع بين النصين صحيح، لكنه يؤثر على الجانب التنظيري أو التقعيدي لمسألة تفسير القرآن بالقرآن، منهجاً له قواعد وضوابط معينة، كما سيأتي بيان ذلك:

أولاً: ثبت عن النبي ﷺ أنه فسر الظلم من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾¹، بالشرك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾²؛ والحديث أخرجه الشيخان³ عن عبد الله قال: «لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينما لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]»⁴.

وهذا التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن، وهو أصح طرق التفسير كما قال العلماء، وحكمه القبول لأن مصدره الوحي، أما إذا كان مصدره العقل فننظر أولاً في صحة الجمع بين آية سورة الأنعام وآية سورة لقمان.

¹ - سورة الأنعام، الآية: 82.

² - سورة لقمان، الآية 13.

³ - وغيرهما.

⁴ - هذا اللفظ لمسلم، انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ط. المنصورة، الأزهر كتاب الإيمان، باب الإيمان وإخلاصه، رقم الحديث 124، ج1، ص338.

وأخرجه البخاري في صحيحه، ط1، دار البيان الحديثة، القاهرة، 1423هـ - 2003م، في:

- كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، رقم الحديث 32، ج1، ص18.

- وكتاب أحاديث الأنبياء، رقم الحديث 3360 و3428 و3429، ج2، ص141، 160، 161.

- وكتاب تفسير القرآن، سورة الأنعام رقم الحديث 4629 وسورة لقمان رقم الحديث 4776، ج2، ص424، 476.

- وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، رقم الحديث 6918، ج3، ص337.

وفي هذا البحث نحاول تحديد وجه البيان بين الآيتين، ليكون ذلك بمثابة الضابط لقول المفسر: «هذه الآية تبين هذه الآية»، وهو يفسر آيات أخرى—لم يثبت في تفسيرها نقل صحيح— ذلك أن المطلع على تناول الآيتين بالتفسير؛ يلاحظ اختلافا في تعيين وجه البيان بينهما؛ هل هو من قبيل تخصيص العام؟ أم هو من قبيل تقييد المطلق؟ أم ماذا؟

ولعرفة ذلك ننظر في نماذج متنوعة من حيث المنهج المتبع في تفسير هاتين الآيتين؛ أو الاستدلال عليهما والاستشهاد بهما وذلك وفق تقسيم تناول العلماء لهاتين الآيتين بالدراسة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

ويتمثل في منهج تفسير الآيتين ضمن تفسير القرآن الكريم من أوله إلى آخره. والمطلع على بعض التفاسير يلاحظ ما يأتي:

1- تفاسير لم يحدد أصحابها منهجا معينا في التفسير مثل:

— قول الطبري في تفسيره:

«اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عناه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾¹، فقال بعضهم: بشرك»² ويذكر من قال ذلك —أحاديثا وآثارا— «وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معاني الظلم، وذلك فعل ما نهى الله عن فعله؛ أو ترك ما أمر الله بفعله، وقالوا الآية على العموم، لأن الله لم يخص به

¹ - سورة الأنعام، الآية: 82.

² - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط1، 1423هـ - دار

الأعلام، الأردن، 2002م، دار ابن حزم، بيروت، مج5، ص318.

معنى من معاني الظلم»¹، ويذكر من قال ذلك ثم يرجح قائلا «وأولى القولين بالصحة في ذلك، ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ، وهو الخبر الذي رواه ابن مسعود عنه أنه قال: «الظلم الذي ذكره الله تعالى في هذا الموضع هو الشرك»².

– وقول ابن كثير:

«أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيامة»³، تفسيراً للآية وهو يكمل تفسير ما سبقها ثم يذكر بعض ما ورد من أحاديث وأخبار عن النبي ﷺ وعن الصحابة في تفسير الظلم بالشرك.

– وهذا ما يؤكد القاسمي:

عند تفسير الآية⁴، ويشير إلى اتفاق الصحابة والتابعين «وقوفا مع الحديث الصحيح في ذلك المبين للنظائر القرآنية الموضح بعضها لما أجم في بعض... أو أن المتبادر من المطلق أكمل أفراد»⁵

– ويقول الشعراوي:

بل إن «الآية تدل بمعطياتها على أن ذلك الظلم هو المتعلق بالإيمان لا بالعمل»¹،
بعد إشارته إلى توضيح الرسول ﷺ لمعنى الآية بطلب من الصحابة².

2- تفاسير صرح أصحابها باتباع منهج تفسير القرآن بالقرآن مثل:

– تفسير الشنقيطي:

الذي اكتفى بالإشارة إلى ثبوت ذلك المعنى عن النبي ﷺ مضيفاً: وقد بينه قوله
تعالى: ﴿إِنَّ الشَّرَّكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾³، وقوله: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾⁴، وقوله: ﴿وَلَا
تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾⁵.⁶

¹ – محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، دط، مج6، ص3763. وهو تفسير معاصر عظيم النفع
في بابه.

² – المصدر السابق، ص3762.

³ – سورة لقمان، الآية 13.

⁴ – سورة البقرة، الآية: 254.

⁵ – سورة يونس، الآية: 106.

⁶ – محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار
الحديث، القاهرة، ط1426هـ – 2006م، ج2، ص134. (بتصرف).

– وتفسير عبد الكريم الخطيب:

«...ولبس الإيمان بالظلم هو خلطه به... والظلم هو الشرك بالله كما يقول

سبحانه ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾¹...². كجزء لا يتجزأ من معنى سياق الآية – ما سبقها – وهو يفسرها.

القسم الثاني:

ويتمثل في تعيين المسألة التي استدل أو استشهد فيها علماء علوم القرآن – بصفة

خاصة – بهذا الحديث؛ فهل ذكر في مسألة المطلق والمقيد؟ أم في مسألة العام والخاص؟ أم في مسألة المحمل والمبين؟ مثلاً:

1- الزركشي في البرهان ذكره:

– مثلاً في مسألة أمّهات مآخذ التفسير³.

– ومثلاً عن التوجيه النبوي إلى بيان القرآن بالقرآن⁴.

¹ – سورة لقمان، الآية: 13.

² – عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، ج4، ص227.

³ – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبي الفضل الديمياطي،

دار الحديث، القاهرة، ط1427هـ – 2006م، ص421. ونقله عنه السيوطي – انظر الإتيان،

ص860. – وسياقي بيان النشر في ص6-

⁴ – المصدر السابق، ص437.

2- السيوطي في الإتقان ذكره:

- في فصل أسباب التزول وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب¹.
- ومثالاً على ضرورة النظر وسؤال الرسول ﷺ لمعرفة دقائق التفسير².
- ومثالاً على أن من أمهات مآخذ التفسير النقل عن النبي ﷺ نقلاً عن الزركشي.

3- عبد الرحمن العك في أصول التفسير وقواعده:

ذكره مثالاً عند حديثه عن معرفة أسباب التزول ومكانته في التفسير قائلاً:
«وقسم يبين مجملات ويدفع متشابهات... حديث عبد الله بن مسعود...»³. ويذكر الحديث.

والملاحظ أن القسم الأول كان أقرب من تعيين الإجابة عن إشكالية البحث من القسم الثاني، فماذا عن القسم الثالث الذي يفترض اقتراب تناوله للحديث من الهدف أكثر من القسمين الأول والثاني؟

القسم الثالث:

هناك من خصص مسألة "تفسير القرآن بالقرآن" بالبحث والدراسة؛ للحاجة إليها كمنهج واضح المعالم في مصنف مستقل يعتمد أو يُرجع إليه، والنتيجة التي

¹ - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دط، دار الكتاب العربي، بيروت، 1425هـ - 2004م، ص 87.

² - المصدر السابق، ص 850. نقله عنه: الزرقاني في مناهل العرفان، ط 3، 1419هـ - 1999م، ج 2، ص 10.

³ - أصول التفسير وقواعده، ط 2، دار النفائس، بيروت، 1406هـ - 1986م، ص 101-102. نقلاً عن مقدمة كتاب التحرير والتنوير - بتصرف - كما قال، ص 100.

سجّلت¹ ضرورة تقديم مزيد من البحث لهذه المسألة، وليس أدل على ذلك من طريقة الإفادة من هذا التفسير النبوي بعدّه مصدراً هاماً تُستخلص منه بعض معالم هذا المنهج وهذه أمثلة:

1- رسالة دكتوراه بعنوان "تفسير القرآن بالقرآن - دراسة تاريخية ونظرية-":
جاء فيها أن النبي ﷺ قد «علم أصحابه عملياً كيف يفسرون القرآن بالقرآن وذلك بحمل نصوصه بعضها على بعض، حتى تتضح المعاني الملتبسة ويزول الإشكال... كقوله ﷺ «أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه؟ ... ففي هذا الحديث فسر رسول الله ﷺ لفظ "الظلم" بالشرك استناداً إلى هذه الآية من سورة لقمان، وهو من ترجيح أحد المعاني المحتملة بآية أخرى أوضح في سياقها...»².

2- بحث³ ومقال⁴ كلاهما بعنوان "تفسير القرآن بالقرآن" جاء فيهما ذكر الحديث مثلاً على تخصيص العام ووجهها من أوجه بيان القرآن بالقرآن، فلفظ الظلم عام خصه الرسول ﷺ بالشرك.

فوجه البيان إذن بين آية سورة الأنعام وآية سورة لقمان هو تخصيص عام -

¹ - محمد قجوي، تفسير القرآن بالقرآن - دراسة تاريخية ونظرية-، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهرارز، فاس، 2000-2001م، ج1، ص8-9 ومساعد في شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ط2، دار ابن الجوزي، السعودية، 1428هـ، ص278. وما تضمنه مقال د. أحمد بن محمد البريدي وبحثي لهذه المسألة...

² - ج1، ص22.

³ - لمساعد بن سليمان الطيار: مصادر التفسير (1) تفسير القرآن بالقرآن، ص3-4.

⁴ - د. أحمد بن محمد البريدي: تفسير القرآن بالقرآن، ج2، ص2-3.

وبتحفظ - كما جاء في هذين البحثين أو هو تعيين أكمل أفراد المطلق، أو بيان مبهم كما قال القاسمي فأى وجه من أوجه البيان يندرج تحتها هذا الحديث؟

ثانياً: والجواب الراجح:

أ- يتمثل -مثلاً- في طريقة تناول الشاطبي للآيتين بالتفسير: كل واحدة على حده، أو مجتمعتين من خلال الحديث الصحيح، وأن وجه البيان ليس هو تخصيص عام، وإنما هو تقييد مطلق، وهذا الذي صرح به القاسمي ويؤكدده شرح النووي للحديث: «...الظلم المطلق هناك المراد به هذا المقيد، وهو الشرك»¹.

والذي رجح رأي الشاطبي كإجابة عن إشكالية البحث ثلاثة أسباب:

الأول: ويتمثل في طريقة تناول الآيتين تفسيراً أو استدلالاً من خلال النماذج السابقة.

الثاني: ويتمثل في ضرورة تحديد حقيقة مصطلحات: العام والخاص، المطلق والمقيد، المبهم والبيّن؛ لمعرفة ما يدخل تحت كل نوع منها من الآيات المفسرة لآيات أخرى. لأنّه عند الرجوع إلى المصادر التي عُيّنت ببيان هذه المسائل: كالبرهان للزركشي² والإتقان للسيوطي³ وأصول التفسير وقواعده للعك⁴ ومباحث في علوم

¹ - صحيح مسلم بشرح النووي، ج1، ص338.

² - ص338، 340.

³ - ص506، 507، 541.

⁴ - ص380، 384، 405، 406.

القرآن لمتّاع القطان¹؛ تتبين حاجة كل مسألة للدراسة.

الثالث: ويتمثل في تميّز نظرة الشاطبي للنص القرآني بالدقة والشمول تفسيراً أو

استدلالاً سواء أكان النص:

- مستقلاً- أي الآية بإفرادها-.

- أم في سياقه الخاص- من خلال سورته-.

- أم في سياقه العام- من خلال القرآن كله-.

فضلاً عن تنبيه القارئ على فوائد كثيرة لا بد من الأخذ بها في تفسير القرآن

الكرّيم نحو:

- حقيقة البيان- أي التفسير- في الجمع الصحيح بين المبيّن والمبيّن.

- اللبس الذي حصل للصحابة في هذا المثال ليس خطأً في الفهم².

- التنبيه للرواية التي تفيد أكثر في فهم النص- لأنّ الحديث روي بألفاظ مختلفة-

- ضرورة معرفة المقصد من استعمال اللفظ هل يقصد به الاستعمال الأصلي- أي

اللغوي- أم الاستعمال الاصطلاحي- الشرعي-؟

- بل نبّه على نفي القول بأنّ هذا من تخصيص العام.

¹ - ط3، 421هـ-2000م، مكتبة المعارف، الرياض، جاء فيه مثلاً: العام هو اللفظ المستغرق لما

يصلح له من غير حصر وقال في الهامش أن الآمدي انتقده ثم علق قائلاً: "لم أجد تعريفاً أتم منه"،

كما انتقد تعريف الخاص، ص226. وعن المطلق والمقيد يعتمد على الإتيان كما صرّح، ص253.

² - مثلاً: جاء في كتاب: نقد الصحابة والتابعين للتفسير، د. عبد السلام بن صالح بن سليمان الجار

الله، ط1، دار التدمرية، الرياض، 1429هـ-2008م، عن حال الصحابي: «فإذا أتى النبي ﷺ وبين

له خطأ فهمه»، ص44.

ب- كل هذا رجع اختيار رأي الشاطبي، إجابة عن إشكالية البحث، فقد جاء في الموافقات:

1- من الأمور المطلقة المنهي عنها الظلم. وكما ينهى عنه جملة، ينهى عنه تفصيلاً. وأعلاه الشرك بالله قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^{1 2}.

2- ولذلك كان الناس من السلف الصالح، يتوقفون في مثل هذه الأمور المطلقة في مدلولاتها، مثل هذا الحديث الذي يبين فيه الرسول ﷺ الظلم في الأنعام بالشرك في لقمان -لتبادر فهم الصحابة شموله المراتب الأخرى-³.

3- «قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82]، سياق الكلام يدل على أن المراد بالظلم أنواع الشرك على الخصوص، فإنَّ السورة أولها إلى آخرها⁴ مقررة لقواعد التوحيد، وهادمة لقواعد الشرك وما يليه،... وسبب احتمال النظر ابتداءً أن قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾

¹ - سورة لقمان، الآية: 13.

² - أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: عبد الله دراز، ط1427هـ-2006م، مج2، ص3، ص100 (بتصرف).

³ - المصدر السابق، ص100 (بتصرف).

⁴ - ولمن يريد مزيداً من التوضيح، انظر تفسير هذا النص عند المفسرين المعاصرين الذين يعتمدون على السياق القرآني العام والخاص؛ أي على الوحدة الموضوعية للصورة القرآنية وللقرآن كله في التفسير، مثلاً: سعيد حوى الأساس في التفسير، ط2، دار السلام، شارع الأزهر، 1989م، مج3، ص1697. ومحمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط1، دار القرآن الكريم، بيروت، 1999م،

[الأنعام: 82]، نفي على نكرة، لا قرينة فيها تدل على استغراق أنواع الظلم... بل في السورة ما يدل على أن ذلك النفي وارد على ظلم معروف¹، وهو ظلم الافتراء على الله والتكذيب بآياته، فصارت الآية من جهة إفرادها بالنظر في هذا المساق، مع كونها أيضا في مساق تقرير الأحكام محملة في عمومها، فوقع الإشكال فيها، ثم بين لهم النبي ﷺ أن عمومها إنما القصد به نوع² أو نوعان من أنواع الظلم، وذلك ما دلت عليه السورة، وليس فيه تخصيص على هذا بوجه³.

ثالثا: وفي الختام نقول إن:

أ- مسألة "تفسير القرآن بالقرآن" منهج قائم بذاته له معالم وضوابط معينة لا تزال في حاجة إلى مزيد من البحث والتحقيق لاشتمالها على مسائل كثيرة نحو: تفسير النبي ﷺ للقرآن بالقرآن، تفسير الصحابة -وربما كل صحابي على حده- للقرآن بالقرآن، مدى

¹ - وهذا رد علمي من عالم على من قال بهذا الرأي. انظر مثلا: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط2، دار القلم، دمشق، 1427هـ-2006م، ص180، حيث: 1-أورد هذا الحديث في فصل السنة المخصصة لعلم القرآن. 2-ذكر هذا السبب لعموم الآية.

² - إن الرجوع الأكبر عدد ممكن من مصنفات السلف في التفسير وعلوم القرآن وعلوم الحديث يجعل بحث المسائل أكثر دقة وبيانا، انظر مثلا ما يقوله الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق مصطفى بن العدوي، ط1، مكتبة فياض، المنصورة، 2009م، ص402.

³ - المصدر السابق، ص192-193. ولمزيد من الشرح والبيان راجع ما قاله دراز عليه في الهامش. وإذا أردت مقارنة هذا التحليل بما ذهب إليه مثلا د. مساعد بن سليمان الطيار في شرحه لمقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص43. تبين لك دقة ما جاء في الموافقات. قال الطيار: «إن هذا الحديث يدل على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يجتهدون في فهم القرآن... فأرشدهم النبي ﷺ... ونههم إلى أن المعنى اللغوي الذي فسروا به الآية غير مراد...» لأن تفسير الصحابة كان استفسارا عقب لبس حدث. بمجرد سماع الآية فذكروا ما تبادر إلى الفهم للرسول ﷺ من شدة الخوف.

إمكان تعيين الآيات المقيدة لآيات مطلقة، والآيات المخصصة لآيات عامة...

ب- ضرورة الاعتماد في ذلك على المصادر القديمة لتمييزها بالشمول والدقة والتأصيل -عموما- مقارنة بالمصادر الحديثة.

ج- فمثلا دقة رواية الحديث النبوي في الصحيحين: نحو إدراج الحديث نفسه في أكثر من كتاب، واختلاف لفظ الحديث... كل ذلك مهم في تحديد المراد من النص القرآني.

د- معرفة مقصود السلف والخلف من المصطلح ذاته ضرورية في البحث، نحو التنبيه الذي أشار إليه القاسمي من مقصود الصحابة «فأنزل الله الآية...» وأنه لا يراد به سبب نزول الآية.

هـ- لا بد من التعويل على مقصود المؤلف من تصنيفه بالقراءة الكلية الدقيقة له، لا على العنوان الذي يجعله له.

و- ثم إن اختلاف زوايا النظر للمسألة ذاتها لا يلزم منه تخطئة أحد الناظرين.

ي- حاجة المعاصرين إلى التنظير لمسائل معينة في مصنفات مستقلة، لا يعني عدم تطرق القدماء لها، لأنّ الواقع يؤكد أن اختلاف الحاجة المعرفية عبر العصور، يؤدي إلى اختلاف المنهج والشكل في تقديم مضمون نفس المسألة.

هذا ويمكن القول إن جمع الحديث وتقليب النظر في متون رواياته، والتأمل في اختلاف اللفظ: تارة ألا تسمعون، وأخرى فأنزل الله، وثالثة ليس كما تظنون... له عظيم النفع في كيفية الجمع بين الآية المبيّنة والآية المبيّنة لها، لأنّ هذا البحث عرفنا على كيفية تعامل العلماء المختصين مع الآيتين باعتبار تفسير الثانية للأولى بنص الحديث، ومن ثم زاد التأكيد على حاجة المسألة الكلية التي ينتمي إليها "تفسير القرآن بالقرآن" إلى مزيد من البحث والدراسة والله نسأل التوفيق في ذلك.

* \$ () ' & % \$ # " ! , - +

الملخص:

هذا موضوع يُعنى ببيان منزلة اللغة وأهلها عند أئمة الحديث، والقصد منه إبراز جانب من مسيرتهم العلمية في التعامل مع اللغة وأهلها، ومن خلال ذلك رفعُ الشبهة عنهم في عدم اشتغالهم بالنحو واللغة. ولطالما اتُّهم كثير منهم بالجهل بلغة العرب مما أفضى إلى اتِّهامهم بالخلل في فهم ما يروونه، والحقُّ أنَّ هذا مما لا يجوز في حقِّهم، فإنَّ الذي يقف على تراجعهم يدرك هشاشة هذه الدعوى وبطلان هذا التَّهمة، صحيح أنَّ منهم من لم يُعنوا بدرس اللغة والنحو من الأعاجم حصل منهم بعض اللحن، ولكن هذا ليس هو السمة الغالبة المطبوعة عليهم، فأين الأئمة من أمثال الحسن وقتادة وحمادٍ والأعمش والشعبيّ وشعبة ومالك ووكيع والشافعي وغيرهم؟ فإنَّهم كانوا أرباب اللسان وفرسان البيان، وهؤلاء عليهم مدار أكثر الحديث، ولا يلتفت إلى بعض اللحن من بعض الرواة، وقد بيَّنه المحدثون في كتب العلل والحمد لله ربِّ العالمين.

Résumé

La place de la langue

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على محمد الرسول المعلم الأكرم وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسلم، أما بعد،:

فإنّ هذا الموضوع الذي أقدمه - "مكانة اللغة وأهلها عند علماء الحديث" - موضوع يُعنى ببيان منزلة اللغة وأهلها عند أئمة الحديث الحفاظ، والقصد منه إبراز جانب من مناقبهم وعلمهم وأدبهم السامي وخلقهم العالي في التعامل مع اللغة وأهلها، ورفع الشبهة عنهم في عدم اشتغالهم بالنحو واللغة، ولطالما اتُّهم كثير منهم بالجهل باللغة مما أفضى إلى اتهامهم بالخلل في فهم ما يروونه، والحق أنّ هذا مما لا يجوز في حقهم، فإنّ الذي يقف على تراجمهم يدرك هشاشة هذه الدعوى وبطلان هذا التهمة، صحيح أنّ منهم من لم يُعنوا بدرس اللغة من الأعاجم حصل منهم بعض اللحن، ولكن لا يعني هذا أنّه هو السمة الغالبة المطبوعة عليهم، فأين الأئمة من أمثال الحسن وقتادة وحماد والأعمش والشعبيّ وشعبة ومالك ووكيع والشافعي وغيرهم؟ فإنّهم كانوا أرباب اللسان وفرسان البيان، وهؤلاء عليهم مدار أكثر الحديث.

وقد حصرت الموضوع في خمسة مباحث:

المبحث الأول: فيه بيان ما يلزم المحدث من علم اللغة والنحو.

المبحث الثاني: بيان ذم المحدثين اللحن، وأنّه عيب ممن يقع فيه.

المبحث الثالث: فيه بيان حرص المحدثين على تقويم اللحن .

المبحث الرابع: فيه بيان ما يعصم المحدث من اللحن في كتابه أو روايته.

المبحث الخامس: فيه بيان عرض المحدث الحديث على أهل اللغة لكلمة غريبة

ونحو ذلك، وروايته على ما يخبرون به.

المبحث الأول

ما يلزم المحدث من علم اللغة والنحو

لا يختلف اثنان أن معرفة اللغة والنحو دعامة صلبة لفهم الشريعة وقراءتها قراءة صحيحة، ولا ينبل أحد ممن يريد الاهتداء بالوحي والاستدلال به إذا جهل اللغة ولم يحسن فيها. ولذا أجمع العلماء؛ مفسرون ومحدثون وفقهاء ولغويون أنه من لم يعرف اللغة لم يجز له الخوض في علم الشريعة، فإنه يوشك أن يزل، والزلل في الشريعة شأنه خطر، ورحم الله الإمام الأصمعي حين قال: (إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن، فمهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه)¹.

ولا أبالغ إذا قلت إن اللغة العربية علم من علوم القرآن والحديث؛ فإن بها نزل القرآن وبها فُسر، وبها بُلغ الحديث وفسر غريبه، وصار علماً قائماً بذاته، فكيف يدرك علم القرآن والسنة بدون سبب.

بل إن الجهل باللغة والنحو كان له أثر عند المحدثين من جهة الجرح والتعديل، ولأجل ذلك قال السيوطي في التدریب: (لا يصلح الحديث للحن)، وسيأتي من هذا بعضُ الحمل إن شاء الله. ولأجل ذلك كله، ذهب العلماء إلى أن تعلّم اللغة والنحو واجبٌ على من أراد أن يتصدى لعلم الشريعة تعليمًا وتبليغًا، قال الإمام ابن فارس اللغوي: (إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلّق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب، حتى لا غنى لأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نزل بلغة العرب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله جل وعلا، وما في سنة

1- ينظر غريب الحديث للخطابي 63/1، 64

رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل كلمة عربية أو نظم عجيب لم يجد من العلم باللغة بدا، ولسنا نقول إن الذي يلزمه من ذلك الإحاطة بكل ما قالته العرب لأن ذلك غير مقدور ولا يكون إلا لنبي كما قلنا أولاً، بل الواجب علم أصول اللغة والسنن التي بأكثرها نزل القرآن الكريم وجاءت بها السنة¹.

ولقد كان الأئمة المحدثون يُعَنُونَ منذ نعومة أظفارهم بتعلّم اللغة والنحو قبل سماع الحديث، وربما تأخّر سماع الحديث إلى سنّ العشرين. وكانوا أوّل ما يعنون به معرفة القرآن الكريم ثمّ النحو، وإلى هذا أرشد كثير من الأئمة الذين جمعوا بين الحديث وعلم اللغة، منهم الإمام الخطّابي، فإنه قال: (فواجب على من دأب في طلب الحديث، ولهج باتباع طريقه أن يُعْنَى أوّلاً بإصلاح ألفاظه وأحكام متونه لئلا يكون حظّه من سعيه عناء لا غناء معه وتعباً لا نجاح فيه)².

ومما يؤثّر عن الأئمة المتقدمين في هذا قول الإمام شعبة بن الحجاج: (مَنْ طلب الحديث، ولم يَصِرْ العربية، فمثله مثل رجل عليه برنس ليس له رأس)³. وقول حماد بن سلمة: (مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل حمار عليه مخلاة لا شعير فيها)⁴. وقال وكيع بن الجراح: (أتيت الأعمش أسمع منه الحديث، وكنت ربما لحت، فقال لي: يا أبا سفيان، تركتَ ما هو أولى بك من الحديث، فقلت: يا أبا محمد، وأي شيء أولى بي من الحديث؟ فقال: النحو. فأملى عليّ الأعمش النحو ثمّ أملى عليّ

1- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لأحمد بن فارس ص: 64

2- الخطّابي. غريب الحديث 51/1

3- الخطيب البغدادي. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 83/2

4- المرجع السابق 83/2

مكانة اللغة وأهلها عند علماء الحديث ----- أ.د. حميد قوفي

الحديث¹، ومثل هذا وقع لعبد العزيز الدراورديّ حيث طلب الحديث عند المغيرة بن عبد الرحمن، فجاء يعرض عليه، فجعل يقرأ ويلحن لحناً منكراً، فقال له المغيرة: ويحك يا دراوردي، أنت كنت بإقامة لسانك قبل هذا الشأن أخرى².

فهكذا كان الأئمة يأبون اللحن، ويعدّونه مسقطاً لأهلية سماع الحديث، وقد بان من خلال هذه النصوص مكانة النحو عندهم، فقد جعلوا تعلّمه يسبق سماع الحديث.

وفي هذا قال مجد الدين بن الأثير أيضاً: (معرفة اللغة والإعراب هما أصل لمعرفة الحديث وغيره، لورود الشريعة المطهرة بلسان العرب)³.

وقال ابن الجوزي: (ومن العلوم التي يلزم صاحب الحديث معرفته الإعراب، لئلا يلحن، وليورد الحديث على الصحة)⁴.

وقال النووي: (ينبغي أن لا يروى بقراءة لحان أو مصحّف، وعلى طالب الحديث أن يتعلّم من النحو واللغة ما يسلم به من اللحن والتصحيح)⁵.

فهذه نصوص بعض علماء الحديث الدالة على حرصهم الشديد على بيان أهمية تعلّم اللغة والنحو، وأنّ اللغة والنحو أساس عندهم لتعلّم الحديث وتلقيه وأدائه على

1- المرجع السابق

2- القصة في كتاب الإرشاد لأبي يعلى الخليلي 302/1، سيأتي ذكرها. ونقلها الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي. الخطيب 26/2

3- ابن الأثير. جامع الأصول في أحاديث الرسول 37/1

4- ابن مفلح الحنبلي. الآداب الشرعية والمنح المرعية 234/2

5- التقريب بشرحه تدريب الراوي 62/2

أكمل وجهه، فالنحو هو العاصم لألستهم من اللحن والتصحيح ونسبة الخطأ إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني

ذمّ المحدثين اللحن وأنه عيب ممن يقع فيه

عاب الأئمة المحدثون من لا يقوم لسانه ممن لا يتقي اللحن في حديثه بسبب الجهل بالنحو واللغة، ومن ذلك ما رواه الخطيب عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما أنهما (كانا يضربان أولادهما على اللحن)¹، وجاء عن الشعبي قال: (النحو في العلم كالملح في الطعام)، ومعلوم أن الطعام بلا ملح لا يكاد يستساغ، وكذلك الحديث -أو العلم- إذا خلا عن معرفة النحو لا يستساغ، ولا طعم له. وعن حماد بن سلمة قال: (مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها)، ومثله قال شعبة بن الحجاج: (من طلب الحديث ولم يبصر العربية فمثله مثل رجل له برنس وليس له رأس).

واستعظم الأئمة اللحن في القرآن والحديث واستهجنوه جداً، ومن ذلك ما جاء عن أبي الموفق، قال: (كنت عند أبي شيبه وعنده رُقبة، وكان يلحن لحناً شديداً، فقال رُقبة: لو كان لحنك من الذنوب كان من العظام)، وفي رواية أخرى: (لو كان لحنك من الذنوب لكان من الكبائر)².

وروى الخليلي في الإرشاد عن العباس بن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: (جاء عبد العزيز الداروردي في جماعة إلى أبي ليعرضوا عليه كتاباً، فقرأ لهم

1- الجامع لأخلاق الراوي 28/2

2- الجامع لأخلاق الراوي 29/2

الدراوردي، وكان رديء اللسان يلحن لحناً قبيحاً، فقال أبي: ويحك يا دراوردي، أنت كنت إلى إصلاح لسانك قبل النظر في هذا الشأن أحوج منك إلى غير ذلك¹.

ومما أثر عنهم كذلك أنهم كانوا يتبرّؤون من اللحن ومن ينسبه إليهم، لأنهم لم يكونوا يلحنون، ويصرّحون بهذا حتى يبصر الناقل عنهم مواضع الكلام وإعرابه، فينقلون عنهم بدقّة، ومن ذلك ما روي عن حماد بن سلمة- فيما رواه عنه عفان بن مسلم- قال لإنسان: (إنّ لحنتَ في حديثي فقد كذبتَ عليّ، فيأتي لا إلحن)².

وروى الرامهرمزي نحو هذا عن الحسن بن عليّ الحلواني، قال: (ما وجدتُ في كتابي عن عفّان- ابن مسلم- لحناً فعربوه، فإنّ عفّان كان لا يلحن، وقال لنا عفّان: ما وجدتُ في كتابي عن حماد بن سلمة لحناً فعربوه فإن حمادا كان لا يلحن، وقال حماد: ما وجدتُ في كتابي عن قتادة لحناً فعربوه، فإنّ قتادة كان لا يلحن)³.

ومن لطائف ما جاء في هذا الباب، ما أخبر به مسلم بن قتيبة، قال: (كنت عند ابن هبيرة الأكبر، فجرى الحديث، حتى جرى ذكر العربية، فقال: والله ما استوى رجلان دينهما واحد وحسبهما واحد ومروءتهما واحدة أحدهما يلحن، والآخر لا يلحن، إنّ أفضلهما في الدنيا الذي لا يلحن، قلت: أصلح الله الأمير، هذا أفضل في الدنيا لفصل فصاحته وعربيته، أرايت الآخرة؟ ما باله فضلٌ فيها؟ قال: إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزل الله، وأن الذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في كتاب الله ما ليس فيه، ويخرج ما هو فيه، قال: قلت: صدق الأمير وبر)⁴.

1- أبو يعلى الخليلي. الإرشاد في معرفة علماء الحديث 302/1

2- الجامع لأخلاق الراوي 29/2

3- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ص525

4- الجامع لأخلاق الراوي 25/2

ولا شك أنّ الحديث في هذا القرآن، فإنّ من لم يعرف اللغة والنحو يوشك أن يخطئ في القرآن والحديث، واللحن فيهما عيب وضرر فادح؛ فقد يحيل الحلال حراماً والحرام حلالاً بسبب اللحن، وسبق قول الأصمعيّ في هذا، قال: إنّ أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم "من كذب عليّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار، فإنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن، فمهما رويت ولحنت فيه كذبت عليه)، قال الإمام الخطابيّ بعد ذكر قول الأصمعيّ هذا: (فهؤلاء الصحابة والتابعون ومن بعدهم أعلام الحديث وحفاظ الأثر كلّ منهم يحضّر على تقويم اللسان وإعراب الكلام، ويذم اللحن ويهجن أهله، وعلى هذا مضى من لم نذكر منهم)¹.

ولقد شدّد بعض أئمّة الحديث في ذلك حتى ذهب إلى ترك حديث من يلحن ولا يدري ما يتقي، ذكر الإمام ابن كثير أن من الناس من إذا سمع الحديث ملحوناً عن الشيخ ترك روايته، لأنّه إن اتبعه في ذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن في كلامه، وإن رواه عنه على الصواب فلم يسمعه منه كذلك)².

وذهب بعضهم إلى ترك تحديث من يلحن لأنّه ليس أهلاً للسمع، فقد (كان عبد الله بن إدريس إذا لحن أحد في كلامه لم يحدثه)³.

وعن أبي بكر الحميديّ، شيخ البخاريّ، أنه سئل عن الغفلة التي يرد بها حديث الرجل الرضي الذي لا يعرف الكذب، قال: هو أن يكون في كتبه غلط، فيقال له في ذلك فيترك ما في كتابه ويحدث بما قالوا ويغيره بقولهم في كتابه لا يعرف فرق ما بين

1- الخطابي. غريب الحديث. 1/63، 64

2- ابن كثير. اختصار الحديث بشرحه الباعث الحثيث. ص 145

3- الذهبي. سير أعلام النبلاء 44/9

ذلك أو يصحف تصحيفاً فاحشاً يقلب المعنى لا يعقل ذلك فيكف عنه¹. فهذا الذي لا يفرّق بين الصواب والخطأ حقّ أن تمنع الرواية عنه لأنه ربما أفسد المعنى من حيث لا يدري، فيذهب بالمقصود من الخطاب، ولذا جعلوا من علامات الوضع في الحديث ركّة اللفظ ورداءة التعبير، قال عبد الله بن سعيد الرحي: (سمعت بعض أصحابنا يقول: إذا كتب لحن، وكتب عن اللحن لحن آخر، فكتب عن اللحن لحن آخر صار الحديث بالفارسية)².

وصدق الإمام أحمد بن حنبل في قوله: (ليس يتقي من لا يدري ما يتقي)³. وإنّ من المحدثين من كان يستغفر من لحنه إذا لحن، وما ذلك إلا لعظم هذا الأمر في نفوسهم، وكأنتهم ينزلونه منزلة الذنب. قال حماد بن زيد: (كنا عند أيوب-السختياني- فحدّثنا فلحن، وعنده الخليل بن أحمد، فنظر إلى وجهه الخليل، فقال: استغفر الله)⁴.

وهذا الصنيع من أيوب يدلّ على شيئين؛ شعوره بعظم اللحن في الحديث وخطره*، ثم هيبة الإمام الخليل بن أحمد في نفسه، إذ كفاه منه نظرة، فأدرك الخطأ. بل كان منهم من يستحي من شدّة الخطأ والتصحيف، فهذا عيسى بن يونس، يقول: (من يفلت من الخطأ؟ ربما رأيت شريكاً يخطئ ويصحف حتى أستحي).

1- العسكري. تصحيفات المحدثين 12/1

2- الجامع لأخلاق الراوي 24/2

3- المرجع السابق

4- المحدث الفاضل ص 525

* ولا يظن بالإمام أيوب أنّ اللحن كان ملازمه بل هو القائل: تعلّموا النحو؛ فإنّنه جمال للوضيع، وتركه هجنة للشريف - وسيأتي ذكره-

مكانة اللغة وأهلها عند علماء الحديث ----- أ.د. حميد قوفي

وبالمقابل لكلّ هذا، كان المحدث يُحمّد بمعرفته للنحو واللغة وخلو حديثه وكلامه من اللحن، وكثيراً ما نجد في تراجم رواة الحديث التنويه بمعرفة اللغة والنحو، وكذلك الشعر والأدب، بل كثيراً ما نجد الراوي يوصّف بكونه لا يلحن، ولا شك أنّ هذه الخصلة مما يفخر بها المرء وحقّ له ذلك.

أنشد المبرد قال:

النحو زين وجمال يلتبس يأخذ من كل العلم بالنفس
صاحبه مكرم حيث جلس هل يستوي رب الحمار والفرس¹
وقال ابن شبرمة نحو هذا: (إذا سرّك أن تعظم في عين من كنت في عينيه
صغيراً، أو يصغر في عينيك من كان فيها كبيراً، فتعلّم العربية، فإنّها تحركك على المنطق
وتدنيك من السلطان. قال الشاعر:

اللحن يصلح من لسان الألكن و المرء تعظمه إذا لم يلحن
لحن الشريف محطّة من قدره فتراه يسقط من لحاظ الأعين
وترى الدينّ إذا تكلمّ معرباً حاز النهاية باللسان المعلن
وإذا طلبت من العلوم أجلها فأجلها منها مقيم الألسن²
وكان أيوب السختياني يقول: (تعلّموا النحو؛ فإنّه جمال للوضع، وتركه هجنة
للشريف)³.

1- الجامع لأخلاق الراوي 28/2

2- ينظر الآداب الشرعية والمنح المرعية. 235/2

3 - الجاحظ، البيان والتبيين. 219/2

وجاء عن السيوطي في مقدمة تدرّيبه قوله في ذمّ من يدعي الحديث بغير علم النحو: (...أو تلفظ بكلمة من الحديث لم يأمن أن يزل في إعرابها، فصار ضحكة للناظرين وهزأة للساخرين).

وقد ذكرت آنفاً أنّ معرفة النحو مما يحمّد بها المحدث والعالم، ونجد هذا في كثير من التراجم يشيدون فيها بذلك، ومن أمثلة ذلك: ما جاء في ترجمة الليث بن سعد رحمه الله، فعن ابن بكير قال: (كان الليث فقيه البدن عربيّ اللسان، يحسن القرآن والنحو، ويحفظ الحديث والشعر، حسن المذاكرة).¹

وفي ترجمة "القاسم بن معن"، قال أبو حاتم: (ثقة أروى الناس للحديث والشعر، أعلمهم بالعربية والفقه)²، وقال الذهبي: (وكان ثقة نحويًا إخباريًا كبير الشأن).³

وقال الحاكم في تاريخ نيسابور عن "يحيى بن يعمر": (فقيه أديب نحويّ مبرر، أخذ النحو عن أبي الأسود...)⁴.

وقد أحصيت جماعة كثيرة من أهل الحديث ممن اشتغل باللغة والنحو - ممن أخرج لهم البخاري ومسلم - ما يصلح أن يخرج في جزء، أرجو الله أن ييسّر لي استكماله.

وفي الجملة، فإنّ الناس فيما سبق، ومنهم أئمة الحديث كانوا يعدّون اللحن عيبًا سيمًا في القرآن والحديث، وكان الناس ربما تعايروا به وعدّوه قاذحًا في المروءة، بل قد

1- سير أعلام النبلاء 131/8

2- المرجع السابق 70/8

3- المرجع السابق

4- نقلًا عن شرح النووي على مسلم (كتاب الإيمان) 153/1

أُطلق على بعض المحدثين الذين كانوا ينقلون الأحاديث ملحونة محرّفة عوام النقلة كما سماهم الخطابي في غريب الحديث¹.

اللعن الذي يُذمّ به صاحبه ويقدر في روايته

حينما نتحدّث عن لزوم تجنّب اللحن عند المحدثين وأهل اللغة وغيرهم، لا نعي به العصمة المطلقة منه بل هو أمر نسبيّ، بين مقلّ ومكثر، شأنه في ذلك شأن الضبط عند المحدثين، فإنّهم يقولون: فلان تامّ الضبط، أو خفيف الضبط أو سيّئ الحفظ، فأما تامّ الضبط فإنّهم لا يعنون به أنّه من لا يفوته شيء أو لا يقع منه الذهول والنسيان، بل قد يقع له من ذلك، لكنّه قليل، وقد قال ابن معين: (لست أعجب ممن يحدث فيخطئ، إنّما أعجب ممن يحدث فيصيب) أو هذا معناه.

أما خفيف الضبط فشأنه أقلّ من شأن تامّ الضبط، وإن اجتمعا في صفة الضبط إلّا أنّ هذا خطؤه أكثر من الأوّل، ولكن لا يصل إلى درجة المكثّر حتى يغلب على رواياته، وبالجملة فهما في الحجّية سواء وإن خفّ ضبطه. أمّا سيّئ الضبط أو الحفظ، فهو من ترجّح جانب خطئه على صوابه وغلب سهوه حفظه، وحديثه مردود، فمثل كل هذا مثل اللحن في الحديث، فمنهم من هو تامّ المعرفة والإتقان في الأداء وتجنّب اللحن، وإن حصل منه نادراً، فهذا حاله كحال تامّ الضبط في الاحتجاج به، وهكذا في باقي الأوصاف.

ثمّ إنّّه لم يسلم من اللحن كبير أحد، وقد ذكر هذا الإمام ابن قتيبة، قال: (ولا أعلم أحداً من أهل العلم والأدب إلّا قد سقط في علمه كالأصمعي وأبي عبيد وسيبويه الأخفش والكسائي والفراء وأبي عمرو الشيباني وكالأئمة من قراء القرآن والأئمة

مكانة اللغة وأهلها عند علماء الحديث ----- أ.د. حميد قوفي

المفسرين، وقد أخذ الناس على الشعراء في الجاهلية والإسلام الخطأ في المعاني والإعراب وهم أهل اللغة وهم يقع الاحتجاج¹.

وعلى سبيل الطرفة: روى الرامهرمزي بسنده عن هشيم عن بعض المشيخة أن رجلاً أتى منزل إبراهيم - يعني النخعي -، فقال: أهنا أبا عمران؟ فسكت إبراهيم. فقال: أهنا أبا عمران؟ فقال إبراهيم: قل الثالثة وادخل².

وهكذا كان لحن هذا الرجل سبباً في عدم إذن إبراهيم له بالدخول حتى أصلحه.

المبحث الثالث

حرص المحدثين على تقويم اللحن

إذا كان اللحن في حديث الناس عيباً، فإنه في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أشدّ وأقبح، لذا لم يتساهل الأئمة في التنبيه على كل لحن يقع في الحديث، وقد مرّ معنا من النصوص ما يدلّ على هذا.

وفي هذا المبحث تتناول مسألة اختلف المحدثون فيها، وهي: هل للمحدث أن يقوّم اللحن والخطأ في الحديث إذا خالف موجب الإعراب؟

ذهب جماعة ممن يرى عدم جواز رواية الحديث بالمعنى إلى أن على المحدث أن يروي الحديث كما سمعه ولا يغير فيه ولو وقع فيه اللحن، ومن هؤلاء الأئمة: نافع مولى ابن عمر، ومحمد بن سيرين، وأبو معمر عبد الله بن سحيرة، ويزيد بن إبراهيم التستري. فقد روى إسماعيل بن أمية قال: (كنا نرد نافعاً عن اللحن، فيأبى يقول إلا

1- ابن قتيبة. تأويل مختلف الحديث ص79

2- الرامهرمزي. المحدث الفاصل ص528

مكانة اللغة وأهلها عند علماء الحديث ----- أ.د. حميد قوفي

الذي سمعته¹. وفي رواية أخرى عن ابن جريج، قال: (كنا نرد نافعاً عن اللحن فلا يرجع)².

فنافع رحمه الله لا يقصد إلى اللحن لجهل منه، إنما هو الحرص على أداء اللفظ كما سمعه، ولكن مع هذا كان الأئمة من تلاميذه يردونه إلى الصواب ولا يسكتون عن اللحن، فيأبى نافع أن يؤدي إلا ما سمع.

ومثله جاء عن عمار بن عمير أن أبا معمر -عبد الله بن سبخر- كان يلحن في الحديث اقتداءً بما سمع³. وكذلك جاء عن ابن سيرين أنه كان يلحن في الحديث⁴، وعن عفان قال: كان يزيد بن إبراهيم التستري إذا حدث عن الحسن لم يلحن وإذا حدث عن محمد يلحن⁵.

ولا يعني هذا أن كل ما يرويه ابن سيرين لحن، وإنما أراد أن اللحن إذا جاء في رواية يزيد عن محمد فذلك اقتداءً بما سمع عنه كما سمع هو، وليس اللحن من ابن سيرين بلا شك، وقال القاسم بن سلام: (لأهل الحديث لغة ولأهل العربية لغة، ولغة أهل العربية أقيس، ولا تجد بداً من اتباع لغة أهل الحديث من أجل السماع)⁶.

وذهب جماعة - وهو المذهب الثاني - إلى عدم جواز نقل الحديث بلحن فيه، لا سيما إذا كان يغيّر المعنى، لأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن، وهذا

1- الخطيب البغدادي. الجامع لأخلاق الراوي 22/2

2- المحدث الفاضل ص 528

3- الجامع لأخلاق الراوي 22/2

4- المرجع السابق

5- المرجع السابق

6- الخطيب البغدادي. الكفاية في علم الرواية ص 182

مكانة اللغة وأهلها عند علماء الحديث ----- أ.د. حميد قوفي

المذهب هو اختيار الأكثرين من أئمة الحديث واللغة وغيرهم، ومن كان يرى هذا المذهب من الأئمة: الشعبي والقاسم ابن محمد وعطاء والخليل بن أحمد وحماد بن سلمة والأعمش وهمام وعفان بن مسلم وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ويحيى ابن معين والرامهرمزي والخطيب البغدادي وابن عبد البر، وهو اختيار النووي والسيوطي وآخرين، وهو المذهب المختار.

قال الرامهرمزي: (أما تغيير اللحن فوجوبه ظاهر لأنّ من اللحن ما يزيل المعنى ويغيره عن طريق حكمه، وكثير من رواة الحديث لا يضبطون الإعراب ولا يحسنونه وربما حرفوا الكلام عن وجهه ووضعوا الخطاب في غير موضعه، وليس يلزم من أخذ عن هذه الطائفة أن يحكي ألفاظهم إذا عرف وجه الصواب إذا كان المراد من الحديث معلوما ظاهرا، ولفظ العرب به معروفا فاشيا، ألا ترى أن المحدث إذا قال: لا يؤم المسافر المقيم ورفع المقيم، وكذلك: لا يؤم المقيّد المطلق، فنصب المقيّد ورفع المطلق كان قد أحال)¹.

وقال الخطيب البغدادي: (والذي نذهب إليه رواية الحديث على الصواب وترك اللحن فيه وإن كان قد سمع ملحونا لأن من اللحن ما يحيل الأحكام، ويصير الحلال حراما، فلا يلزم اتباع السماع فيما هذه سبيله، والذي ذهبنا إليه قول الحاصلين والعلماء من المحدثين)².

1- المحدث الفاصل ص 527

2- الجامع لأخلاق الراوي 22/2

مكانة اللغة وأهلها عند علماء الحديث ----- أ.د. حميد قوفي

ومما جاء من نصوص العلماء في هذا ما ذكره البلقيني في محاسن الاصطلاح أنّ الشعبي وأبا جعفر محمد بن علي بن حسين وعطاء والقاسم سئلوا عن الرجل يحدث بالحديث فيلحن، أحدث كما سمعت أم أعربه ؟ فقالوا: لا بل أعربه¹.

وعن الأوزاعي قال: (يصلح اللحن والخطأ والتحريف في الحديث)². وكان الأوزاعي يعطي كتبه إذا كان فيها لحن لمن يصلحها³.

وعن عفان قال: قال لنا همام: ما سمعتم من حديث قتادة فأعربوه؛ فإن قتادة كان لا يلحن، ثم قال عفان: قال لنا حماد بن سلمة: من لحن في حديثي، فليس يحدث عني، وفي رواية قال عفان: ما وجدتم في كتابي عن حماد بن سلمة لحنًا فعربوه فإن حمادا كان لا يلحن، وقال حماد: ما وجدتم في كتابي عن قتادة لحنًا فعربوه فإن قتادة كان لا يلحن⁴.

وعن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال: رأيت أحمد بن حنبل يغيّر اللحن من كتابه⁵.

وعن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال: إذا سمعت الحديث فيه اللحن فلا تحدّث إلا بالصواب، إنهم لم يكونوا يلحنون⁶.

1- سراج الدين البلقيني. محاسن الاصطلاح ص129

2- الجامع لأخلاق الراوي 23/2

3- الكفاية ص255

4- المحدث الفاصل ص524

5- المرجع السابق

6- المرجع السابق

وقال عفان: قدمنا الكوفة فأقمنا أربعة أشهر وما رأينا بالكوفة لحناً مجوزاً¹.

وعن عباس بن محمد قال: قيل ليحيى بن معين ما تقول في الرجل يقوم حديثه يعني يترع منه اللحن؟ قال: لا بأس².

وقال أبو العباس محمد بن إسحاق الثقفي: سمعت إسحاق بن إبراهيم - يعني ابن راهويه - غير مرة يقول - إذا شك في الكلمة -: ها هنا فلان؟ كيف هذه الكلمة؟³. إلى غير ذلك من النصوص العديدة الدالة على أنه مذهب الأكثرية من الأئمة، قال الخطيب البغدادي: (فينبغي للمحدث أن يتقّي اللحن في روايته للعلّة التي ذكرناها، ولن يقدر على ذلك إلا بعد دراسة النحو ومطالعة علم العربية)⁴.

وذهب قوم - وهو المذهب الثالث - إلى قول وسط وهو أن يدع المحدث اللحن والخطأ كما هو، ثم يصوّبه في الحاشية أو يرويه على الخطأ ثم يقول: والصواب...، وقد عقد الخطيب البغدادي باباً في هذا، قال: (باب في حمل الكلمة والاسم على الخطأ والتصحيح عن الراوي أنّ الواجب روايتها على ما حملا عنه ثم يبين صوابهما).

وحكى ابن فارس عن شيخه أبي الحسن علي بن إبراهيم القطان راوي سنن ابن ماجه عنه قال: إنّ كان يكتب الحديث على ما سمعه لحنًا، ويكتب على حاشية كتابه: كذا قال، يعني الذي حدث به والصواب كذا، قال ابن فارس: وهذا أحسن ما سمعت في هذا الباب⁵.

1- المرجع السابق

2- الكفاية ص 197

3- المرجع السابق ص 255

4- المرجع السابق

5- الزركشي. النكت على مقدمة ابن الصلاح 623/3

وقال ابن الصلاح: (الأولى سدّ باب التغيير والإصلاح لئلا يجسر على ذلك من لا يحسن، والطريق الأول - يعني النقل على الخطأ- أسلم مع التبيين، فيذكر ذلك عند السماع كما وقع، ثم يذكر وجه صوابه من جهة العربية وإما من جهة الرواية)¹. ولا يخفى أن هذا المذهب يتفق مع الثاني في ضرورة التغيير إلا أن الوسيلة تختلف، ففي الثاني التقويم يكون بالأصل وفي الثالث، يكون بالحاشية مع ترك الأصل كما هو.

تنبيه:

ما يجب التنبيه عليه هو أنّ تقويم اللحن إن كان واجبا كما ذكر، فإنّ ذلك لا يعني أنّه مذهبٌ لكلّ من هب ودرج ممن لا يحسن اللغة والنحو، فقد يحيل ما يتوهمه خطأ -وفي الواقع هو الصواب- إلى خطأ حقيقيّ، ولذا اشترط في تقويم اللحن النظر العميق والتتبع الدقيق في كلام العرب -لذلك الحرف الذي يراد تقويمه- وقد قال الإمام ابن الصلاح: (إن كثيرا ما نرى ما يتوهمه كثير من أهل العربية خطأ -وربما غيروه- صوابا ذا وجه صحيح، وإن خفي واستغرب، ولا سيما فيما يعدونه خطأ من جهة العربية، وذلك لكثرة لغات العرب وتشعبها)².

المبحث الرابع

ما يعصم المحدث من اللحن في كتابه وحديثه

لا شك أنّ العلم يدرك بالتعلّم، ولا يبلغ المرء الدرجات العليا فيه إلّا بالتدرج في مراحلهِ شيئاً فشيئاً، فيبدأ بالأخذ من أفواه أهل العلم والمعرفة في كلّ فنّ، لذا كان على المحدث حتى يستقيم حديثه ويصفو كتابه من اللحن والتصحيح أن يبدأ بالأخذ

1- مقدمة ابن الصلاح بحاشية محاسن الاصطلاح ص192

2- المرجع السابق ص192

عن أهل المعرفة بالنحو (ولذا كان المحدثون يوجهون طلابهم إلى تعلّم النحو والفرائض- أي الأحكام- قبل طلب الحديث ليأخذ الإنسان أولاً بالعلوم الضرورية في الأحكام وعلوم الآلة المساعدة لتقويم اللسان، وما يخرجون أبناءهم في طلب إلا بعد الأخذ بذلك مع حفظ القرآن والنظر في كتب الأدب والسعر لاكتساب الفصاحة والبيان وتقويم اللسان والحذر من عثراته)¹.

وفي مثل هذا يقول ابن الصلاح في المقدمة: (وأما التصحيح فسييل السلامة منه الأخذ من أفواه أهل العلم أو الضبط، فإن حرم ذلك وكان أخذه وتعلمه من بطون الكتب، كان شأنه التحريف ولم يقل من التبديل).

قال الشاعر:

من يأخذ العلم عن شيخ مشافهة يكن عن الزيف والتصحيح في حرم
ومن يكن آخذاً العلم عن صحف فعلمه عند أهل العلم كالعدم
وقال الشوكاني: (إنّ إنصاف الرجل لا يتمّ حتى يأخذ كلّ فنّ عن أهله كائناً ما كان؛ فإنّه لو ذهب العالم الذي تأهّل للاجتهاد يأخذ مثلاً الحديث عن أهله ثم يريد أن يأخذ ما يتعلّق بتفسيره في اللغة عنهم كان مخطئاً في أخذ المدلول اللغوي عنهم، وهكذا المعنى الإعرابي عنهم فإنّه خطأ... فالعالم إذا صنع ذلك ظفر بالحق ودخل الإنصاف بأقوى أسبابه، وأمّا إذا أخذ العلم عن غير أهله ورجح ما يجده من الكلام لأهل العلم في فنون ليسوا من أهلها، وأعرض عن أهلها فإنّه يخطئ ويخلط..²).

ونحو هذا حصل لابن لهيعة المصري في حديث: (أنّ النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في المسجد)، قال الإمام مسلم: (وهذه الرواية فاسدة من كلّ جهة، فاحش

1- أحمد نور سيف. أدب المحدثين في التربية والتعليم ص191

2- الشوكاني. أدب الطلب ومنتهى الأرب ص76

خطؤها في المتن والإسناد جميعاً، وابن لهيعة المصحّف في متنه، المغفل في إسناده، وإنّما الحديث: "أنّ النبي صلى الله عليه وسلم احتجر في المسجد بخاصة أو حصير يصلي فيه"، ثم قال مسلم: وابن لهيعة إنّما وقع في الخطأ في هذه الرواية أنّه أخذ الحديث من كتاب موسى بن عقبة إليه فيما ذكر، وهي الآفة التي يخشى على من أخذ الحديث من الكتب من غير سماع من المحدث أو عرض عليه¹.

ومن الأمور الأخرى التي تعصم المحدث من الزلل واللعن، سؤال أهل المعرفة باللغة والرجوع إليهم فيما يشكل عليه من الكلام وعرض كتبه عليهم كما فعل عفان بن مسلم مع الأحفش وسهل بن محمد، وكما فعل محمد بن المبارك حين قال (إذا سمعتم عني الحديث، فاعرضوه على أصحاب العربية ثم أحكموه)²، وكقصّة شعبة في مجلس الأصمعي في حديث "جرس طير الجنة" حين قال: (خذوها عنه - يعني الأصمعي - فإنّه أعلم بهذا منا)³.

وعن إسحاق بن راهويه أنّه كان إذا شك في الكلمة يقول: أها هنا فلان، كيف هذه الكلمة؟⁴.

بل ربما دفع اللحن المحدث إلى درس النحو والتمكن فيه، فقد جاء عن سفيان ابن عيينة قال: دخلت على ابن شهاب - وهو الزهري - وكُنّا إذا خرجنا من عنده تذاكرنا حديثه، فخرجنا من عنده ومعنا إسماعيل بن مسلم، فامتروا في حديث، فقال بعضهم: عن أبي سلمة، وقال بعضهم: عن سعيد بن المسيب، فقال إسماعيل: سلوا

1- مسلم. التمييز . ص140

2- الكفاية ص255

3- المرجع السابق ص256

4- المرجع السابق ص255

مكانة اللغة وأهلها عند علماء الحديث ----- أ.د. حميد قوفي

الغلام، فإنه حافظ- يعني-، فسألوني فقلت: عن كلاهما، ولم أكن نظرت في النحو، فضحكوا مني، قال-يعني ابن عيينة- فنظرت بعد ذلك فيه¹.

وعن أبي زيد النحوي، قال: كان الذي حداني على طلب الأدب والنحو، أي دخلت على جعفر بن سليمان، فقال لي: أدنه، قلت: أنا دين، فقال: لا تقل يا بني أنا دين، ولكن قل أنا دان².

وجاء عن وكيع بن الجراح قال: (أتيت الأعمش أسمع منه الحديث، وكنت ربما لحت، فقال لي: يا أبا سفيان تركت ما هو أولى بك من الحديث، فقلت: يا أبا محمد، وأي شيء أولى بي من الحديث؟ فقال: النحو، فأملى علي الأعمش النحو ثم أملى علي الحديث)³.

ومن الأمور التي تعصم المحدث من اللحن أيضا، أن يقابل كتابه بأصل شيخه أو أصل مصحح قبل أن يحدث به، وهذا شرط شرطه المحدثون فيمن يريد أن يؤدي الحديث، فقد جاء عن هشام بن عروة عن أبيه كان يقول: كتبت؟ فأقول: نعم. قال: عرضت كتابك؟ قال: لا. قال: لم تكتب⁴.

وعن يحيى بن أبي كثير قال: (من كتب ولم يعارض كمن دخل الخلاء ولم يستنج)⁵.

1- تصحيفات المحدثين 82/1

2- الجامع لأخلاق الراوي 27/2

3- المرجع السابق 26/2

4- الكفاية ص 237

5- المصدر السابق

وعن الأخفش قال: (إذا نسخ الكتاب ولم يعارض ثم نسخ ولم يعارض خرج أعجمياً)¹.

واستحبوا مع ذلك بعد المقابلة أن يعرض الكتاب على الراوي مرة أخرى للتصحيح؛ لأنه قد يحتمل أن يكون بالأصل خطأً أو تحريف أو لحن.

وذكروا أنّ المحدث إذا لم يعارض وأراد أن يحدث بالحديث، عليه أن يبين أنه لم يقابل ولم يعارض. سئل أبو بكر الإسماعيلي، هل للرجل أن يحدث بما كتب عن الشيخ ولم يعارض بأصله؟ فقال: نعم، ولكن لا بد أن يبين أنّه لم يعارض لما عسى يقع من زلة أو سقوط)².

وهو مذهب ارتضاه أبو بكر البرقاني، فإنه روى أحاديث كثيرة وقال فيها: أخبرنا فلان ولم يعارض بالأصل³.

بل ذهب بعضهم إلى استحباب النسخة المشحجة أي كثيرة التغير؛ لأنها أقرب إلى الصحة. ذكر ذلك أبو نعيم الأصبهاني، قال: (إذا رأيت كتاب صاحب الحديث مشحجاً-يعني كثير التغير- فأقرب به إلى الصحة)⁴، وكذلك قال الإمام الشافعي- قبله- (إذا رأيت الكتاب فيه إلحاق وإصلاح فاشهد له بالصحة)⁵.

1- المصدر السابق

2- المصدر السابق ص 239

3- المصدر نفسه ص 242

4- المصدر نفسه

5- المصدر نفسه

المبحث الخامس

عرض الحدّث الحديث على أهل اللغة لكلمة غريبة أو غير ذلك، وروايته على ما يخبرون به

عقد الخطيب في هذا باباً في هذا، قال: (القول في الحدّث يجد في أصل كتابه كلمة من غريب اللغة غير مقيدة، هل يجوز أن يسأل عنها أهل العلم بها ويرويها على ما يخبرونه به)¹. ومثله قال النووي: (أما إذا وجد كلمة غير مضبوطة أشكلت عليه، فإنه يجوز أن يسأل عنها العلماء من أهل العربية وغيرهم ويرويها على ما يخبرونه)². هكذا قالوا، بل إنّ عرض المحدثين الحديث على أهل اللغة ليس لمجرد كلمة غريبة تصادفهم في متن الحديث فحسب، وإنما كان ديدن بعضهم أن يعرض جميع مروياته على أهل العربية لبيان الإعراب وتصحيح اللحن.

ومن ذلك أن أبا حاتم سهل بن محمد قال: (كان عفان بن مسلم يجيء إلى الأخصف وإلى أصحاب النحو يعرض عليهم الحديث يعربه، فقال له الأخصف: عليك بهذا -يعني- وكان بعد ذلك يجيء إليّ حتى عرض عليّ حديثاً كثيراً)³. فهذا عفان لم يكن يسأل عن الغريب عند أصحاب الغريب، وإنّما كان همّه أن يسأل أهل النحو عن الإعراب تجنّباً للحن في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصاً على أدائه على الصواب كما قال صلى الله عليه وسلم.

1- الكفاية ص255

2- مقدمة صحيح مسلم 1/165

3- الكفاية ص255

وجاء عن الوليد بن مسلم أنّه قال: كان الأوزاعيّ يعطي كتبه إذا كان فيها لحن لمن يصلحها¹، ولا شكّ أنّه لا يصلحها من اللحن إلا أهل العربية أهل المعرفة بذلك. ومن ذلك أيضا ما جاء عن عبد الله بن المبارك قال: (إذا سمعتم عنّي الحديث فاعرضوه على أصحاب العربية ثمّ أحكموه)، وهذه ثقة عالية بأهل العربية من مثل ابن المبارك.

وجاء كذلك عن سفيان بن عيينة أنّه قال: (كان سعيد -يعني ابن شيبان- عالما بالعربية، سمعني وأنا أقول "تعلق- بفتح اللام- من ثمر الجنة، فقال: تعلق-بضم اللام- فقلت: تعلق)². ولم يتردّد سفيان في تصحيح هذا اللحن وسلّم لسعيد لتصويبه على التوّ دون تفكير، وكيف لا، وقد شهد له بالعلو في العربية.

وعن الأصمعي قال: كنت في مجلس شعبة فقال: "فيسمعون جرش طير الجنة" فقلت: جرس، فنظر إليّ، فقال: خذوها عنه؛ فإنّه أعلم بها منا³. وهذا من تواضع شعبة بن الحجاج؛ فإنّه كان من أهل المعرفة بالعربية والشعر، قال أبو أحمد العسكري: وكان شعبة متواضعا في العلم معظّما لأهله. وقال: وكان شعبة صاحب شعر قبل الحديث وكان يحسن⁴. وقال فيه الأصمعيّ: لم نر قط أعلم من شعبة بالشعر⁵، وقال

2- المصدر نفسه

2- المصدر السابق ص256

3- المصدر السابق

4- تصحيقات المحدثين 1/33، 34

5- سير أعلام النبلاء 7/212

مكانة اللغة وأهلها عند علماء الحديث ----- أ.د. حميد قوفي

عنه ابن معين: كان شعبة صاحب عربية وشعر¹، وقال عن نفسه: كان قتادة يسألني عن الشعر، فقلت له: أنشدك بيتاً وتحدثني حديثاً².

وهكذا كان تواضعهم واعترافهم بأهل الفن في فهمهم، وهذا الإمام الأعمش سليمان بن مهران مع علمه بالعربية رجع إلى قول أعرابي في ضبط كلمة "البردة" ومدلولها، جاء في الحديث: "أصل كل داء البرد بسكون الراء، لكن الأعمش رواه بلفظ "البردة"، قال: سألت أعرابياً من كلب عن البردة، فقال: هي التخمة، وسميت التخمة بردة، لأنها تبرد حرارة الجوف..³.

قال المناوي في فيض القدير: (البردة بفتح الراء على الصواب خلاف ما عليه المحدثون)⁴. ونقل عن الدراقطني أن المحدثين يروونه بسكون الراء، ولذلك ضم إليه بعضهم "والحر" والصواب فتحها بمعنى التخمة.

يعلم من هذا أن مدار تصويب هذا الحرف على أهل اللغة، وليس كما سمعت عند بعض أهل الحديث، وجواب الأعرابي لسؤال الأعمش كان القاطع لهذا التردد. ولذا قال أبو أحمد العسكري: (إنما الصحيح أصل كل داء البردة، ثم ذكر قصة الأعمش هذه)⁵.

1- غريب الحديث. الخطابي 63/1

2- سير أعلام النبلاء 112/7

3- ينظر تصحيقات المحدثين 156/1

4- المناوي. فيض القدير 532/1

5- تصحيقات المحدثين 156/1

ومن ذلك أيضا ما جاء عن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل عن حروف، فقال: أسألوا عنه أصحاب الغريب، فإني أكره أن أتكلّم في قول النبي صلى الله عليه وسلم بالظنّ فأخطئ¹.

وهذا كلّ من تواضع الإمام أحمد واحتياطه مع جلالته وإمامته في العلم. وقد قال عن نفسه: كتبت من العربية أكثر مما كتب أبو عمرو ابن العلاء. و كان يسأل عن ألفاظ من اللغة تتعلّق بالتفسير والأخبار فيجيب عن ذلك بأوضح جواب وأفصح عبارة². وقد كان عربياً متواضعاً، قال ابن معين: (ما رأيت خيراً من أحمد، ما افتخر علينا بالعربية قط)³.

وعن إسحاق بن راهويه: أنه كان إذا شك في كلمة يقول: أههنا؟ فلان كيف هذه الكلمة.

الخاتمة

الحاصل من كلّ ما جاء في هذه الورقات، نجمله في هذه الخاتمة: إنّ أئمة الحديث كانوا ينظرون إلى أهل اللغة الثقّات على أنّهم صمامو الأمان لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من التحريف والتصحيف واللحن؛ فكانوا عندهم المرجع الأساس في ضبط حروف الحديث وبيان معانيه كما أنّه لم يكن هناك - كما رأينا - جفوة بين أهل الحديث وأهل اللغة والنحو، بل كان هناك تكامل في أداء الحديث على أكمل وجه لفظاً ومعنى، سيما عند المحدثين الذين لم يكن لهم دراية كافية

1- مقدمة ابن الصلاح . وينظر: السخاوي. فتح المغيث 47/3

2- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب أحمد 5/1

3- المزي. تهذيب الكمال. 444/1، وتهذيبه لابن حجر 63/1

مكانة اللغة وأهلها عند علماء الحديث ----- أ.د. حميد قوفي

في علم النحو، أمّا المحدثون من أهل المعرفة بالعربية والنحو فكانوا الحجّة في الرواية أداءً وفهماً، وكانوا أهل لسان ودراية؛ كمثّل مَنْ ذكروا ومَنْ لم يذكروا- من رجال الصحيحين أو أحدهما- كالنضر بن شميل والليث بن سعد وأبي الزناد عبد الله بن ذكوان، والحسن بن محمد الزعفراني، وأبي عمر الشيباني، وعيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، وعبد الله بن طاوس ابن كيسان، ومحمد بن عبد الرحمن بن عبيد القرشي، ويحيى بن أبي إسحاق الحضرمي، ويحيى بن يعمر البصري، وشيبان بن عبد الرحمن التميمي، وهارون بن موسى الأزدي... وآخرين.

ومن هنا يلزم القول بأنّ اللحن ليس أمراً متفشياً في الرواية كما يزعم بعض الناس، فإنّ الذين تدور عليهم الرواية عامّة من أهل الإتقان للغة الحديث عارفين بما يحيل المعاني، ولا يلتفت إلى بعض اللحن من بعض الرواة، ولم يكن ذلك سمة بارزة في الحديث.

أمّا من يزعم أنّ الحديث قد روي بالمعنى من قبل الرواة الأعاجم فإخطأوا، فإنّ المنهج العلمي يلزمهم أن يسمّوا لنا هؤلاء الرواة الأعاجم الذين أخطأوا، وأن يبيّنوا هذه الأحاديث التي وقعت فيها الأخطاء. والحمد لله ربّ العالمين.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة (العراق والأندلس) نموذجاً

د. نور الدين صغيري
جامعة الأغواط

خلاصة البحث:

فكرة البحث تدور حول مدى فهم أصل من الأصول التي اعتمدها الإمام مالك رضي الله عنه في استنباط الأحكام، وهذا الأصل هو: عمل أهل المدينة، ومدى استيعاب تلاميذ المدرسة المالكية لهذا الأصل وفهم أقوال الإمام مالك رضي الله عنه وتخريج الفروع وتزليل الوقائع على هذا الأصل، وكان المحال التطبيقي في المدرستين المدرسة المشرقية واخترت منها فقهاء العراق والمدرسة المغاربية واخترت فقهاء الأندلس، ومن خلال البحث وجدت أنا الأندلسيين أكثر استدلالاً بعمل أهل المدينة نظراً لعدم وجود فضاء للجدل والنقد، فقد كان مالكية الأندلس لا يتزاحمهم المذاهب الفقهية، بخلاف فقهاء العراق الذين دافعوا عن المذهب أمام فقهاء الحنفية والشافعية والحنابلة باعتبار بغداد والكوفة والبصرة حواضر لهذه المذاهب وختمت ببعض التطبيقات لكلتا المدرستين وأهم النتائج التي توصلت إليها. والله الموفق.

ABSTRACT

This research is centered shows the role of the owner of the doctrine of God's mercy in establishing fixed rules to build the edifice of scientific bluff and so peremptory Btaesel assets in the eyes of the Imam, including the work of the people of the city Roy Ben Younes Abdaloaly for Shafei in the old, he said: If you find Mottagdma people of the city on something, that does not come to doubt your heart is right , and whenever something is made, it does not pay attention to him.

The work of the people of the city have agreed to accept scientists Alomassar especially what it was transferred from the impact of the novel and companions

Said Taj al-Din Subki: It should not be contrary to the owner about it, if he wants to do weighting their story to tell others , and they were companions, because they saw the download, and they heard the interpretation, they are told the conditions of the Prophet peace be upon him, this kind of weighting does not defend As for what was such diligence is a matter of dispute between Maliki themselves, as well as from the outside of the doctrine of the doctrines of the regions.

The School Iraq credited deployment doctrine and defend him, he was very knowledge and science various, and was a hotbed of controversy and disagreement, which has enriched human knowledge, and Islamic heritage, and it was the era of son Almantap and Julep and the son of Khuyzmndad Judge Abdul Wahab of the highlights of the flags of this school, which differ in Otarihha for Egyptian school, Maghreb and Andalusia, was liberated and defended and Navan , which is shown of this research and the work of the people of the city 's argument in Almruyat and portables, as is the case in attitudes and interpretations issued by scholars city

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد: فهذه محاولة لاستشراف منهج مالكية العراق والأندلس في استدلالهم بإجماع أهل المدينة من خلال:

مواقفهم النظرية من إجماع أهل المدينة وعملهم الذي نقل عنهم، أو نصوا عليه في بعض كتبهم ، أو من خلال عدم استدلالهم بإجماع أهل المدينة في مسائل استدلال فيها بإجماع أهل المدينة من بعده من أئمة المذهب المالكي المتأخرين من المدرسة المغاربة كابن عبد البر والباجي وابن العربي ونحوهم ممن عُني بالاستدلال للمذهب المالكي . ومحاولة استنتاج أسباب ذلك، لتوصل إلى رسم منهج المدرستين العراقية والأندلسية في ذلك.

وأقدم بين يدي البحث مقدمةً في حقيقة إجماع أهل المدينة، وطريقة الاستدلال به عند الإمام مالك، والخلاف في حجية هذا الدليل؟ ومدى تأثير هذا الخلاف في وجود مواقف متفاوتة للمالكية، وكيفية استقرار هذا الدليل عند المتأخرين بعد ذلك، حتى جعلت جمهورهم يتفقون على الحد الأدنى في الاستدلال بهذا الدليل.

وأسأل الله أن يوفقني أولاً وآخراً في أن أوفي الموضوع حقه وأن يهدينا سبل السلام.

مقدمة:

إن إجماع أهل المدينة هو أحد مصادر فقه الإمام مالك، وقد اشتهر عنه أنه كان لا يرى خلاف ما كان عليه أهل المدينة إذا كان الأمر بالمدينة ظاهراً معمولاً به، لكونه ميراثاً ورثوه عن التابعين الذين ورثوه عن الصحابة؛ لأن المدينة دار الهجرة، وبها نزل القرآن وأقام رسول الله وأقام صحابته، وأهل المدينة أعرف الناس بالتزليل، وبما كان من بيان رسول الله للوحي، وهذه ميزات ليست لغيرهم، وعلى هذا فيرى الإمام مالك أن الحق لا يخرج عما يذهبون إليه، فيكون عملهم حجةً يقدم على القياس وخير الواحد.

جاء في رسالته المشهورة إلى الإمام الليث بن سعد: “فإنما الناس تبع لأهل المدينة، إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن، وأحلّ الحلال، وحرم الحرام، إذ رسول الله ﷺ بين أظهرهم، يحضرون الوحي والتزليل، ويأمرهم فيطيعونه، ويسنّ لهم فيتبعونه، حتى توفاه الله... ثم قام من بعده أتبع الناس له من أمته، ممن وليّ الأمر من بعده، فما نزل بهم مما علموا أنفذوه، وما لم يكن عندهم علم فيه سألوا عنه، ثم أخذوا بأقوى ما وجدوا في اجتهادهم وحدثاء عهدهم، فإن خالفهم مخالف أو قال امرؤ: غيره أقوى منه وأولى؛ ترك قوله وعمل بغيره. ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون تلك السبيل، ويتبعون تلك السنن. فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهراً معمولاً به لم أر خلافاً؛ للذي في أيديهم من تلك الوراثة، التي لا يجوز لأحد انتحالها، ولا ادعاؤها”¹.

¹ - ابن معين، يحيى بن معين بن عون بن زياد المري، التاريخ (أو تاريخ يحيى بن معين)، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، الطبعة الأولى، (مكة المكرمة: مركز البحث العلمي بكلية الشريعة 1399هـ) 499-500.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

والاستدلال بإجماع أهل المدينة لم ينفرد الإمام مالك به، فقد ظهر الاستدلال بهذا الدليل في عصر كبار التابعين¹، وإنما نسب إلى مالك؛ لكثرة ما ابتلي به من الإفتاء؛ ولأنه دون بعض ما أفتى به معتمداً على أقوال أهل المدينة، وكان أشهر من أخذ بذلك فنُسب القول إليه.

خالف الإمام مالكاً في الاستدلال بهذا الدليل أئمة، منهم الليث بن سعد والشافعي وغيرهما². وقد اشتهد الخلاف فيه بعد ذلك حتى قال القاضي عياض³ واصفاً

¹ - فقد صدرت منهم أقوال تدلّ على اعتمادهم ما كان عليه أهل المدينة من رأي وفقه، كسعيد بن المسيب، وأبي الأسود محمد بن عبد الرحمن النوفلي، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وأبي جعفر محمد بن علي الباقر، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وأبي بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبدالله بن عامر بن ربيعة، وابن شهاب الزهري، ومحمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، وأبي الزناد عبد الله بن ذكوان، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وجعفر الصادق، وابن أبي حازم، وعبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب .

انظر: "عمل أهل المدينة بين مصطلحات مالك وآراء الأصوليين" (دي: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الطبعة الثانية، 1421=2000) لشيخنا الدكتور أحمد محمد نور سيف، فقد استخرج كثيراً من النصوص في ذلك.

² - ساذكر ذلك في نقل كلام الإمام الشافعي ونقده لعمل أهل المدينة.

³ - هو القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو، اليحصي، البستي، أبو الفضل، كان إمام وقته، حافظاً لمذهب مالك، شاعراً جيداً، أخذ عن ابن عتاب والمازري وابن رشد الجدي، له: إكمال العلم، الشفا، ومشارك الأنوار، وغيرها، توفي سنة 544هـ، انظر: الديباج 46/2-51؛ شجرة النور

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

حال المخالفين للمالكية:

“هم يتكلمون في غير موضع خلاف: فمنهم من لم يتصور المسألة¹ ولا تحقق مذهبنا، فتكلموا فيها على تخمين وحدث. ومنهم من أخذ الكلام فيها ممن لم يحققه عنا. ومنهم من أحالها وأضاف إلينا ما لا نقوله فيها، كما فعله الصيرفي² والمحامي³ والغزالي فأوردوا عنا في المسألة ما لا نقوله، واحتجوا علينا بما يحتج به على الطاعنين على الإجماع، وبالع بعضهم حتى طعن في أهل المدينة وأظهر مثالهم⁴”.

=====

ص 140-141.

¹ - كابن حزم الذي يقول: “إن العمل الذي يذكرون قد سألهم من سلف من الحنفيين والشافعيين وأصحاب الحديث من أصحابنا قبل مائتي عام ونيف وأربعين: عمل من هذا الذي يذكرون؟ فما عرفوا من يريدون”. الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري، الطبعة الأولى، تقديم: إحسان عباس، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1400هـ / 1980م) 110/1.

² - هو محمد بن عبد الله، أبو بكر الصيرفي، الإمام الشافعي الفقيه الأصولي، كان أعلم الناس بالأصول بعد الشافعي، أشهر مصنفاته: شرح الرسالة للشافعي، وكتاب الإجماع، والبيان في دلائل الأعلام، توفي سنة 330هـ. انظر طبقات الفقهاء ص 111؛ طبقات الشافعية الكبرى 186/3.

³ - هو أحمد بن محمد بن أحمد، أبو الحسين، المعروف بابن المحامي، أحد الفقهاء المجودين على المذهب الشافعي، كان قد درس على أبي حامد الإسفراييني، توفي سنة 415هـ. انظر: تاريخ بغداد 382/4، طبقات الشافعية للإسنوي 381/2-382.

⁴ - ترتيب المدارك 50-47/1، 59-57.

وانظر: البرهان في أصول الفقه، للجويني، أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله، إمام الحرمين، الطبعة الثانية، تحقيق: عبد العظيم الديب، (القاهرة: دار الأنصار، 1400) 720/1؛ أصول السرخسي، للسرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، الطبعة "بدون"، تحقيق: أبو الوفاء الأفعاني، (حيدر آباد:

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

فما هي حقيقة هذا الدليل؟ وما هو الذي يحتج به مالك؟ ولماذا اختلف فيه بهذه الشدة؟ وهل استدل به المالكية بالشكل نفسه الذي قام عند الإمام مالك؟

إجماع أهل المدينة عند الإمام مالك

إن رسالة الإمام مالك المشهورة إلى الإمام الليث بن سعد كانت واضحة المعالم في:

- 1) أن الإمام مالك كان يرى أتباع ما عليه جماعة الناس بالمدينة، ولا يرى خلافهم إذا كان الأمر بالمدينة ظاهراً معمولاً به.
- 2) وأنه إن كان رأي جماعة الناس بالمدينة على أمر ثم خالفهم مخالف ترك قوله وعمل بغيره .

3) وأن حجية إجماع أهل المدينة وعملهم عنده هو كونه ميراثاً ورثوه عن التابعين الذين ورثوه عن الصحابة .

4) وأن منه ما كان اختياراً من الصحابة لأقوى ما وجدوه في اجتهادهم. وأن منه ما كان اجتهاداً من التابعين أيضاً مقتفين سنن الصحابة في ذلك. [وكلا الأمرين أطلق عليهما فيما بعد إجماع أهل المدينة الاجتهادي].

5) وكان موقف مالك من هذه الأنواع واحداً؛ إذ جعل كل ما وصل إلى أهل المدينة من علم حجة¹.

هذه النقطة الأخيرة يدل على صحتها ما نقل عن القاضي عبد الوهاب أنه قال في الاستدلال لإجماع أهل المدينة الاجتهادي: “وذكر الشيخ أن في رسالة مالك إلى

=====

لجنة إحياء المعارف النعمانية، 1372هـ) 214/1.

¹ - راجع رسالة الإمام مالك إلى الليث بن سعد. في تاريخ يحيى بن معين، ج4 ص499-500.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

الليث بن سعد ما يدل عليه”¹. وسنعرف أنه لا خلاف في إجماع أهل المدينة النقلي. كما أن “العبارات المروية عن مالك عامة: تشمل أعمال أهل المدينة التي لا يمكن أن تُعرف إلا بالتوقف، كالأذان وكُمَد النبي ﷺ وغيرها، وتشمل أعمال أهل المدينة التي يمكن أن يكون الاجتهاد والاستنباط سبيلها، كبعض الأقضية وأحكام المعاملات بين الناس”². قال أبو زهرة: و”المتتبع لكلام مالك في عمل أهل المدينة يرى أنه كان يأخذ بعملهم على أساس أنه لا بد أن يكون منقولاً، فهو قد فرض فيه النقل دائماً، ولم يفرض فيه أنه كان على أساس الرأي”³.

الخلاف فيه

جاء في رسالة الإمام مالك إلى الليث ما يدل على أنه كان يرى أن إجماع أهل المدينة دليل ملزم لغيره من الفقهاء، لكن لم يسلم له معاصروه بذلك فضلاً عما بعده. فهذا الإمام الليث بن سعد في ردّه على رسالة الإمام مالك إليه⁴، - بعد أن بيّن موقفه من فقه أهل المدينة وما هم عليه، وأنه يفضل علماء أهل المدينة، ويأخذ بفتياهم

¹ - أعلام الموقعين 373/2 .

² - محمد أبو زهرة، مالك، حياته وعصره، آراؤه وفقهه، الطبعة الثانية (مصر: دار الفكر العربي، 1978م)، ص281.

³ - محمد أبو زهرة، الشافعي - حياته وعصره، وفقهه -، الطبعة الثانية (مصر: دار الفكر العربي، 1978م) ص261؛ مالك، حياته وعصره، آراؤه وفقهه، ص331-336.

⁴ - رواها يحيى بن معين، ورواها غيره من الثقات الأثبات كالحافظ أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي أو اليسوي في كتاب المعرفة والتاريخ. انظر: المعرفة والتاريخ، الطبعة الثانية، تحقيق أكرم ضياء العمري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1400هـ/1981) 687/1-695. وانظر: أعلام الموقعين ج3 ص94-100.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

فيما اتفقوا عليه - يرد بعدم امتياز من بقي من الصحابة فيها على من خرج منها، فقد خرج كثير منهم إلى الجهاد، وتفرقوا في الأمصار، وعلموا أهلها ما عرفوه، ولم يكتموا شيئاً، وكان الخلفاء الراشدون الثلاثة يكتبون إلى الأمصار في أمور دينهم، وعلى الرغم من ذلك وقع بين الصحابة الاختلاف. ثم اختلف التابعون ثم من بعدهم أشد من قبلهم. ولم يكن أهل المدينة بمعزل عن التأثير بهذا الاختلاف، فاختلّفوا كما اختلف غيرهم. لذا الذي دعاه إلى ترك ما عليه أهل المدينة في بعض المسائل

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

ثلاثة آخرون قولاً آخر؛ فالأكثر أولى بالاتباع ويعد إجماع الأكثر¹.

ويرد على تلك الفروض كلها، إلى أن يصل به الأمر أن يقول لمناظره: "وما درينا ما معنى قولكم العمل!! ولا تدرون فيما خُبرنا، وما وجدنا لكم منه مخرجاً إلا أن تكونوا سميتم أقاويلكم العمل والإجماع، فتقولون على هذا: العمل، وعلى هذا: الإجماع، تعنون أقاويلكم، وأما غير هذا فلا مخرج لقولكم فيه عمل ولا إجماع..."².
"وما عرفنا ما تريد بالعمل إلى يومنا هذا، وما أُرانا نعرفه ما بقينا"³.

وموقف الشافعي هذا كان على وجه المناظرة والجدل العلمي؛ بناء على موقف أصحاب الإمام مالك، الذين أكثروا في ذكر إجماع أهل المدينة والاحتجاج به⁴.
ونحو ذلك من المناقشات والردود التي صدرت بعد ذلك، وقد ذكر القاضي عياض أن لأبي بكر الصيرفي (ت330هـ)⁵ وللحمالي (415هـ)⁶ رداً¹.

¹ - الأم 243/7-244.

² - الأم 240، 218/7.

³ - الأم 214/7-215.

⁴ - كما يشير إليه قول الباجي: "قد أكثر أصحاب مالك رحمه الله في ذكر إجماع أهل المدينة والاحتجاج به". إحكام الفصول، ص480-482.

⁵ - هو محمد بن عبد الله، أبو بكر الصيرفي، الإمام الشافعي الفقيه الأصولي، كان أعلم الناس بالأصول بعد الشافعي، أشهر مصنفاته: شرح الرسالة للشافعي، وكتاب الإجماع، والبيان في دلائل الأعلام، توفي سنة 330هـ. انظر طبقات الفقهاء ص111؛ طبقات الشافعية الكبرى 186/3.

⁶ - هو أحمد بن محمد بن أحمد، أبو الحسين، المعروف بابن الحمالي، أحد الفقهاء المجودين على المذهب الشافعي، كان قد درس على أبي حامد الإسفراييني، توفي سنة 415هـ. انظر: تاريخ بغداد 382/4، طبقات الشافعية للإسنوي ج2 ص381-382.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

موقف المالكية

ولمّا كان النقد الموجه إلى الاستدلال بإجماع أهل المدينة وعملهم جديراً بالوقوف عنده وتأمّله وتصحيح بعضه؛ كان حقيقاً أن يختلف أصحاب مالك في مراده منه، حتى قالوا: أراد المنقولات المستمرة، وقيل: أراد إجماع المدينة من الصحابة والتابعين، وقيل: محمول على أن روايتهم متقدمة، وقيل: يعم كلّ ذلك². وحقيقاً أن يختلف المالكية فيما بعد في حقيقته، حتى قال بعضهم: إنه من باب الإجماع، وقال آخرون: إنه من باب النقل المتواتر³.

وأيضاً هذا النقد دفع بعض المالكية فقاموا بالدفاع، وتذكّر لنا بعض المصادر أن هناك مؤلفات في إجماع أهل المدينة لأئمة المالكية: فقد ذكر أن لأبي الحسين بن أبي عمر (ت328هـ)⁴ رسالة في الرد على من أنكر إجماع أهل المدينة⁵. وذكر القاضي

=====

¹ - ترتيب المدارك 47/1-50..

² - انظر: مختصر ابن الحاجب بشرح العضد، لابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر، الطبعة الأولى، (مصر: المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق، 1316هـ) 35/2.

³ - انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد -الحفيد-، الطبعة السادسة (بيروت: دار المعرفة 1402هـ / 1982) 126/1.

⁴ - هو عمر بن محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد، لم يُدرِك عمه إسماعيل بن إسحاق، وتفقه على كبار أصحابه، له: كتاب في الرد على من أنكر إجماع أهل المدينة، والفرج بعد الشدة، توفي سنة 328هـ. وله: تسع وثلاثون سنة. انظر: ترتيب المدارك 256/5-261؛ الديباج 75/2-77.

⁵ - انظر: ترتيب المدارك، 278/2؛ الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، (القاهرة: دار التراث، تاريخ النشر "بدون")

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

عبد الوهاب أن هذه الرسالة صَنَّفَهَا القاضي أبو الحسين بن أبي عمر نقضاً لكلام أبي بكر الصيرفي على المالكية في إجماع أهل المدينة. وذكر أن أبا بكر الأهرري (375هـ)¹ له كتاب في إجماع أهل المدينة². وأن لابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ) كتاب الاقتداء بأهل المدينة³، بَحَثَ فيه مسائل الإجماع وإجماع أهل المدينة⁴. وذكر أن للباقلائي (ت403هـ) أمالي إجماع أهل المدينة⁵. وهذه الكتب -بحسب علمي- لم تصلنا.

ويغلب على الظن أن مَنْ جاء بعد هؤلاء قد وصلتهم هذه الكتب واستقوا منها ما سطره في كتبهم، أمثال: ابن القصار (ت397هـ) والقاضي عبد الوهاب (ت422

=====

76/2.

¹ - الأهرري هو محمد بن عبد الله الأهرري، الفقيه المقرئ، الحافظ النظار، إليه انتهت رئاسة المالكية ببغداد، من تصانيفه: شرح المختصر الكبير والصغير لابن عبد الحكم، والأصول، وإجماع أهل المدينة، توفي سنة 375هـ. انظر: ترتيب المدارك 183/6، شجرة النور ص91.

² - انظر: أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الفكر، 1397 / 1977م) 373/2.

³ - انظر: ترتيب المدارك، 188/6؛ الدياج، 209/2؛ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمخلف، محمد محمد، الطبعة "بدون" (تصوير بيروت: دار الفكر، تاريخ النشر "بدون") ص91.

⁴ - ذكره محققاً كتاب الرسالة الفقهية عن ابن أبي زيد في نواتجه. انظر: "مقدمة تحقيق" كتاب الرسالة الفقهية، لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، تحقيق: الهادي حمو، ومحمد أبو الأحفان، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1406هـ=1986م) ص34.

⁵ - ترتيب المدارك 69/7؛ شجرة النور ص92-93.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

هـ)، وأبي الوليد الباجي (ت474)¹، وابن رشد الجدل (ت520هـ)² ونحوهم .

وباستقراءها نستطيع أن نتبين موقفهم، حيث كان كالآتي :

❖ جعلوا إجماع أهل المدينة ضربين: نقلي واجتهادي.

❖ حصروا استدلال الإمام مالك بإجماع أهل المدينة في النقلي. أما إجماعهم

الاجتهادي فأنكروا أن يحتج به مالك .

❖ لم يختلف أصحاب مالك في حجية إجماع أهل المدينة النقلي، ويرون أنه ملزم

لغيرهم .

❖ أما إجماعهم الاجتهادي فمختلف في حجيته بينهم. وجمهورهم ومحققوهم على

عدم حجيته.

وهذه بعض الشواهد :

جاء في مقدمة ابن القصار (ت397هـ)³ : “ومن مذهب مالك العمل على

¹ - هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي القرطبي المالكي، أحد الأئمة الأعلام في الحديث والفقه والمناظرة والأصول، ولي القضاء في الأندلس، له: المنتقى شرح الموطأ، والإشارات، والحدود، وإحكام الفصول في أصول الفقه، توفي سنة 474هـ. انظر: الديباج، 377/1-385.

² - هو محمد بن أحمد بن محمد، أبو الوليد، المعروف بابن رشد، وهو جد ابن رشد الفيلسوف صاحب بداية المجتهد، أحد المقدمين من علماء الأندلس والمغرب، تفقه بابن رزق، وتفقه عليه القاضي عياض وغيره، له: البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل، والمقدمات لأوائل كتب المدونة، وغيرها. توفي سنة 520هـ، انظر: الديباج 2/248-250؛ شجرة النور ص129.

³ - ابن القصار: هو علي بن عمر بن أحمد البغدادي، إمام فقيه أصولي نظار حافظ، له: عيون الأدلة كتاب في مسائل الخلاف لا يعرف للمالكيين كتاب في الخلاف أكبر منه، وقدم له بمقدمة أصولية حققها الدكتور مصطفى مخدوم، توفي سنة 398هـ . انظر: الديباج 2/100، شجرة النور ص92؛

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

إجماع أهل المدينة فيما طريقه التوقيف من رسول الله ﷺ أو أن يكون الغالب منه توقيف منه عليه السلام، كإسقاط زكاة الخضروات؛ لأنه معلوم أنها قد كانت في وقت النبي ﷺ ولم يُنقل أنه أخذ منها الزكاة، وإجماع أهل المدينة على ذلك، فعمل عليه وإن خالفهم غيرهم . وقد احتج مالك رحمه الله بذلك في مسائل يكثر تعدادها، حيث يقول: (الأمر الذي لا اختلاف فيه عندنا) وهذا من خبر التواتر الذي قد بينّا أنه مذهبه¹.

=====

ابن القصار، علي بن عمر بن أحمد البغدادي، مقدمة في أصول الفقه، - مقدمة المحقق - ص 66 .
1- تمام كلام ابن القصار: "ومن مذهب مالك العمل على إجماع أهل المدينة فيما طريقه التوقيف من رسول الله ﷺ أو أن يكون الغالب منه توقيف منه عليه السلام، كإسقاط زكاة الخضروات؛ لأنه معلوم أنها قد كانت في وقت النبي ﷺ ولم يُنقل أنه أخذ منها الزكاة، وإجماع أهل المدينة على ذلك، فعمل عليه وإن خالفهم غيرهم .
وقد احتج مالك رحمه الله بذلك في مسائل يكثر تعدادها، حيث يقول: "الأمر الذي لا اختلاف فيه عندنا" وهذا من خبر التواتر الذي قد بينّا أنه مذهبه .

وحجته أنهم أولى من غيرهم فيما طريقه النقل عن النبي ﷺ لأن رسول الله ﷺ كانت هجرته إلى المدينة، ومقامه بها، ونزول الوحي عليه فيها، واستقرار الأحكام والشرائع بها، وأهلها مشاهدون لذلك كله، عالمون به لا يخفى عليهم شيء منه .

وكانت حاله ﷺ معهم إلى أن قبض على أوجه: إما أن يأمرهم فيفعلونه، أو يفعل الأمر فيتبعونه، أو يشاهدهم على أمر فيقرهم عليه . فلما كانت لهم هذه الميزة منه ﷺ حتى انقطع التزليل، وقُبض بينهم ﷺ؛ فمحال أن يذهب عليهم - وهم مع هذه الصفة- ما سيدركه غيرهم، لأن غيرهم ممن ظعن منهم إلى المواضع هم الأقل، فالأخبار عنهم أخبار آحاد؛ لأن عددهم مضبوط، وأخبار المدينة تواتر، فكانت أولى من أخبار الآحاد .

فإن قيل: فقد نقل إلى أهل المدينة أشياء، كانت من النبي ﷺ في مغازيه، لم يكونوا علموها قبل ذلك

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

فقد حصر ابن القصار استدلال الإمام مالك بإجماع أهل المدينة في النوع الثقلي فقط، وادّعى أن كلّ ما قال فيه مالك: "الأمر الذي لا اختلاف فيه عندنا" هو من هذا النوع. وأما النوع الثاني وهو إجماعهم على عمل من طريق الاجتهاد والاستدلال؛ فقد نفى أن يقول مالك به، أو أن يكون مذهبه أو مذهب أئمة أصحابه¹.

=====

من النبي ﷺ . قيل: الذين نقلوا إليهم ذلك عن النبي ﷺ من أهل المدينة، فلم يخرج النقل عنهم . فإن قيل: فقد كانت منه ﷺ أشياء بمكة كما حجّ كم تكن بالمدينة ! قيل: قد كان أهل المدينة معه في حجه وغيره .

فإن قيل: فإنه اتفق لأهل مكة مثل خبر أهل المدينة في إجماعهم؛ لأنهم شاهدوا النبي ﷺ كما شاهده أهل المدينة، فإذا اتفقوا على شيء من توقيف أو الغالب منه أن يكون عن توقيف؛ يجب أن يقبل ذلك منهم . قيل: إن اتفق لهم ذلك كانوا هم وأهل المدينة سواء فيما نقلوه عنه ﷺ، ولكن لا يكاد أن يتفق هذا لغير أهل المدينة في أن يكون خبرهم طرفاه كوسطه، لا يتخلله أخبار آحاد؛ لأن أخبار غيرهم - وإن نقله جماعة - يتخللها أخبار الآحاد في طرفيها أو وسطها، فخرجت بذلك عن أن تكون تواتراً.

وأهل المدينة يحصل لهم في فعلهم صفة التواتر فلهذا كان خبرهم مقدماً على خبر غيرهم

مقدمة ابن القصار في أصول الفقه ص226-232.

¹ - نقل ذلك عنه القاضي عياض لما ذكر هذا النوع فقال: "فذهب معظمهم إلى أنه ليس بحجة ولا فيه ترجيح. وهو قول كبراء البغداديين منهم أبو الحسن بن القصار. قالوا: لأنهم بعض الأمة، والحجة إنما هي لمجموعهم، وهو قول المخالفين أجمع، وإلى هذا ذهب أبو بكر بن الطيب وغيرهم، وأنكر هؤلاء أن يقول مالك هذا وأن يكون مذهبه، ولا أئمة أصحابه". ترتيب المدارك 1/47-50، 57-59.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

وهذا عينه قول القاضي عبد الوهاب (ت422هـ)¹ حيث نُقل عنه قوله:

إجماع أهل المدينة ضربان: نقلي واستدلالي: فالأول: ثلاثة أضرب... وهذا النوع حجة يلزم عندنا المصير إليه، وترك الأخبار والمقاييس، لا اختلاف بين أصحابنا فيه"²...

"والثاني: اختلف أصحابنا فيه على ثلاثة أوجه"³: "أحدها: أنه ليس بحجة أصلاً، وأن الحجة هي إجماع أهل المدينة من طريق النقل، ولا يرجح به أيضاً لأحد الاجتهادين على الآخر، وهذا قول ابن بكير⁴ وأبي يعقوب الرازي⁵ والقاضي أبي

¹ - هو القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي، أحد أئمة المذهب المالكي في بغداد، ولما توجه إلى مصر حمل لواءها وملاً أرضها وسماعها واستتبع سادتها وكبرائها، له: كتاب النصرة لمذهب إمام دار المحجة، والمعونة، والإشراف، وله في الأصول، الإفادة والملخص. توفي سنة 422هـ. انظر الديباج 26/2؛ ترتيب المدارك 220/7-227.

² - ابن أمير الحاج، محمد بن محمد بن محمد، التقرير والتحجير - شرح التحرير - الطبعة الأولى، (مصر: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، 1316هـ، تصوير: بيروت: دار الكتب العلمية 1403هـ) 100/3؛ وانظر: القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس "نفائس الأصول في شرح المحصول"، أصول فقه، خط مغربي 1325هـ، دار الكتب المصرية 472، شريط مصور، لوحة 19/أ.

³ - التقرير والتحجير 49/1. وانظر: أعلام الموقعين 373/2.

⁴ - هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن بكير التميمي البغدادي، تفقه بالقاضي إسماعيل وهو من كبار أصحابه، أخذ عنه ابن الجهم والقشيري، له: كتاب في أحكام القرآن، وكتاب في مسائل الخلاف، توفي سنة 305هـ. انظر: الديباج 185/2.

⁵ - هو إسحاق بن أحمد بن عبد الله، من كبار أصحاب القاضي إسماعيل، كان فقيهاً عالماً زاهداً عابداً، قتله الديلم أول دخولهم بغداد - في الأمر بالمعروف - أخذ عنه عبد الملك السعدي الأندلسي. انظر: ترتيب المدارك 17/5-18.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

الحسن بن المنتاب¹ والطيالسي² والقاضي أبي الفرج³ والشيخ أبي بكر الأهرري⁴.
وأنكروا أن يكون هذا مذهباً لمالك أو لأحد من معتمدي أصحابه⁵.

والوجه الثاني: أنه وإن لم يكن حجة فإنه يُرجَّح به اجتهادهم على اجتهاد غيرهم، وبه قال بعض أصحاب الشافعي.

والثالث: أن إجماعهم من طريق الاجتهاد حجة، وإن لم يحرم خلافه، كإجماعهم من طريق النقل. وهذا مذهب قوم من أصحابنا، وهو الذي يدل عليه كلام أحمد بن المعدّل وأبي مصعب وغيرهما. وأن في رسالة مالك إلى الليث بن سعد ما يدل عليه وقد ذكر أبو مصعب في مختصره مثل ذلك، والذي صرح به القاضي أبو الحسين بن أبي عمر في رسالته التي صنفها على أبي بكر الصيرفي نقضاً لكلامه على أصحابنا في إجماع

¹ - هو عبيد الله بن المنتاب بن الفضل البغدادي، قاضي المدينة، وعدده في البغداديين، تفقّه به جماعة منهم أبو إسحاق بن شعبان، له: كتاب في مسائل الخلاف، والحجة لمالك نحو مائتي جزء. انظر: الديباج 460/1، شجرة النور ص77.

² - هو أحمد بن محمد الطيالسي، من أصحاب القاضي إسماعيل، أخذ عنه أبو الفرج البغدادي، وذكره أبو بكر الأهرري في كتابه، وهو من كبار أئمة المالكيين البغداديين. انظر الديباج 152/1.

³ - هو عمر بن محمد الليثي البغدادي، إمام فقيه، ثقة، تفقّه بالقاضي إسماعيل وكان من كتّابه، وعنه أخذ أبو بكر الأهرري وابن السكن وغيرهما، له: الحاوي في مذهب مالك، واللمع في أصول الفقه، توفي سنة 331هـ. انظر شجرة النور ص79.

⁴ - هو محمد بن عبد الله الأهرري، الفقيه المقرئ، الحافظ النظار، إليه انتهت رئاسة المالكية ببغداد، من تصانيفه: شرح المختصر الكبير والصغير لابن عبد الحكم، والأصول، وإجماع أهل المدينة، توفي سنة 375هـ. انظر: ترتيب المدارك 183/6، شجرة النور ص91.

⁵ - انظر: نفائس الأصول، لوحة 19/أ.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

أهل المدينة. وإلى هذا يذهب أصحابنا المغاربة أو جميعهم¹.

والذي قاله القاضيان ابن القصار وعبد الوهاب قد أشار إلى مثله القاضي أبو الوليد الباجي حيث وصف المخالف بأنه "عدل عما قرّره في ذلك المحققون من أصحاب مالك رحمه الله: وذلك أن مالكا إنما عوّل على أقوال أهل المدينة، وجعلها حجة في ما طريقه النقل"².

كما أشار إليه القاضي عياض لَمَّا ذكر إجماع أهل المدينة النقلى فقال: "وهو الذي تكلم عليه مالك عند أكثر شيوخنا"³.

أما ابن رشد الجلد (ت520)⁴ فقد ميّز شيئا، سماه العمل المتصل، وألحقه بالإجماع النقلى. استمع إليه حيث يقول: "إجماع أهل المدينة على الحكم فيما طريقه النقل حجة يجب المصير إليها والوقوف عندها، وتقديّمها على أخبار الآحاد وعلى القياس... وكذلك ما اتصل العمل به بالمدينة من جهة القياس والاجتهاد، فهو حجة أيضاً، كمثّل ما أجمعوا عليه من جهة النقل، يُقدم على أخبار الآحاد، وعلى ما خالفه من القياس عند مالك؛ لأن ما اتصل العمل به لا يكون إلا عن توقيف.

وأما إجماعهم على الحكم في النازلة من جهة الاجتهاد فقليل: إنه حجة يقدم

¹ - وانظر: نفائس الأصول، لوحة 19/أ.

² - إحكام الفصول، ص 480-482.

³ - ترتيب المدارك 1/47-50، 57-59.

⁴ - هو محمد بن أحمد بن محمد، أبو الوليد، المعروف بابن رشد، وهو جد ابن رشد الفيلسوف صاحب بداية المجتهد، أحد المقدمين من علماء الأندلس والمغرب، تفقّه بابن رزق، وتفقه عليه القاضي عياض وغيره، له: البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل، والمقدمات لأوائل كتب المدونة، وغيرها. توفي سنة 520هـ، انظر: الدياج 2/248-250؛ شجرة النور ص 129.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

على غيرهم وعلى أخبار الآحاد؛ لأنهم أعرف بوجوه الاجتهاد وأبصر بطرق الاستنباط والاستخراج... وقيل: إنه ليس بحجة من أجل أنهم بعض الأمة والعصمة إنما هي لجميع الأمة...¹.

المشاركة وموقفهم من إجماع أهل المدينة

بعد هذه المقدمة يأتي دور الكلام عن موقف المدرسة العراقية ونأخذ أنموذج القاضي عبد الوهاب وموقفه من الاحتجاج بإجماع أهل المدينة؟
لقد مر بنا² بعض ما نُقل عنه، وعن ابن القصار وابن المنتاب وكلهم ينتمون إلى تلك المدرسة ولم يصرّح القاضي هناك بموقفه، لكن وجدنا في كتابه المعونة تصريحاً بذلك وعباراته بنصها، قال رحمه الله تعالى:

“إجماع أهل المدينة نقلاً حجة تحرم مخالفته . ومن طريق الاجتهاد مختلف في كونه حجة: والصحيح عندنا أنه يرجّح به على غيره، ولا يحرم الذهاب إلى خلافه .
فأما إجماعهم من طريق النقل أو ما في معناه فإنه ينقسم إلى: نقل قول، ونقل فعل، ونقل إقرار، ونقل ترك . وعليه بنى أصحابنا الكلام في كثير من مسائلهم، واحتجوا به على مخالفهم، وتركوا له أخبار الآحاد والمقاييس . وهو مثل نقل الأذان والإقامة، وتقديم الأذان للفجر قبل وقتها، والصاع والمد، وترك أخذ الزكاة من الخضروات، وإثبات الأحباس والوقوف، وغير ذلك.
ودليلنا على كونه حجة اتصال نقله على الشرط المراعى في التواتر: من تساوي

¹ - الجامع من المقدمات، لابن رشد، محمد بن أحمد بن محمد، أبو الوليد، تحقيق: المختار بن طاهر التليبي، الطبعة الأولى (الأردن: دار الفرقان 1405هـ/1985م) ص 351-352.

² - المعونة ص 11.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

أطرافه وامتناع الكذب والتواطؤ والتواصل والتشاعر على ناقله، وهذه صفة ما يحجُّ نقله .

ولا معتبر لقولهم: (إنه لم تثبت هذه الصفة لنقلهم)؛ لأن الذين نقلوا ذلك هم الذين نقلوا موضع قبره ومنبره ﷺ وهم أهل المدينة قرناً بعد قرن، خلفاً عن سلف، ولد عن والد، وآخر عن أول .

وكذلك قال مالك لَمَّا احتاج لإثبات الوقوف قال: هذه صدقاتُ رسول الله ﷺ وأحباسه مشهورة عندنا بالمدينة معروفة . ولمسائلها رجع أبو يوسف إلى القول بأن مقدار الصاع ما يقوله أصحابنا، وترك مذهب أبي حنيفة؛ لَمَّا رأى من تَوَثَّرَ النقل وتَنَصَّرَ من الخلف والسلف، وإذا ثبت ذلك صح ما قلنا .

ومن ذهب إلى أن إجماعهم من طريق الاستنباط والاجتهاد حجة احتج: بأن لأهلها من المزية بمشاهدة خطاب رسول الله ﷺ، وسماع كلامه، والمعرفة بأسباب خطابه وألفاظه ومخارج أقواله؛ ما ليس لغيرهم ممن نأى وبعد عنه . وقد ثبت أن من جعلت له هذه المزية كان أعرف بطرق الاستنباط ووجوه الاجتهاد والاستخراج؛ فكانوا حجة بما يجتهدون فيه . ولأن السنن والأحكام منها ابتدأت وعنها انتشرت إلى غيرها من الآفاق - فإذا وجدناهم مجتمعين على ما لم يتبين نقله ولا اشتهر أنه توقيف حُمِلوا فيه على أنهم عرفوا منه ما لم يعرف غيرهم لأنه ليس إلا ذلك.

ووجه القول بأنه ليس بحجة -وهو الذي كان يقول شيخنا أبو بكر الأهرري وكافة البغداديين من أصحابنا إلا اليسير منهم- لأهم بشر يخطئ ويصيب، والعصمة تثبت لجميع الأمة دون بعضها، فلا يؤمن [الخطأ] منهم، وقد وقع الخطأ في بعض ما اجتهدوا فيه ...

“فصل . إذا ثبت أنه ليس بحجة ولا تحرم مخالفته، وهو أولى من اجتهاد غيرهم:

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

إذا اقترن بأحد الخبرين المعارضين رُجِّح به على ما عري عنه . [بحيث يكون القول]
ودليلنا أن الترجيح مطلوبٌ به قوةٌ الذي يقارنه [ليكون] أقرب إلى الحق وأولى
بالصواب؛ وذلك لأن لأهل المدينة - بما ذكرناه من مزية المعاينة والرححان بالمشاهدة
والمعرفة بمخارج الكلام والأحكام - ما ليس لغيرهم من راجعٍ إلى نقل، فكان
اجتهادهم أولى؛ لأن سببه الذي بني عليه أقوى . ولقوله ﷺ: (إن الإيمان ليأرز إلى
المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها)¹، وذلك يفيد أن اجتهادهم إلى الصواب أقرب
وعن الخطأ أبعد . وبذلك احتج من رجَّح اجتهاد عمر رضي الله عنه على اجتهاد
غيره، وقوله ﷺ: (إن الحق ينطق على لسان عمر وقلبه)² . ولأن الصحابة رضوان الله
عليهم كانوا يتوقفون عن الفتيا في الحادثة إذا نزلت بهم وهم غائبون عن المدينة
ويؤخرون ذلك إلى وقت عودهم إليها، وروي عن ابن مسعود وابن عمر، وأشار به
عبد الرحمن على عمر؛ وذلك لأن اعتقادهم أن الاجتهاد بها أقوى، وأن النفوس بها
أشرح، والصدور بها أرحب وأفصح، والتبين والتبصر بها أبهج وأوضح، وقد صرح
بذلك عبد الرحمن بن عوف في قوله لعمر بن الخطاب: أمهل يا أمير المؤمنين لتتقدَّم دار

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلى المدينة 2/222، ومسلم
في صحيحه كتاب الإيمان، باب إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وإنه يأرز بين المسجدين،
131/1.

² - أخرجه الترمذي في المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب، حديث رقم 3682؛ وأحمد في
مسند المكثرين من الصحابة، حديث رقم 5123.

وأخرجه أبو داود بلفظ: (إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ يَقُولُ بِهِ) في الخراج والإمارة والفيء،
باب في تدوين العطاء، حديث رقم 2926.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

المجرة وبها الصحابة¹. وهذا أوضح فيما قلناه بحمد الله .

فصل. إذا روى خبر من أخبار الآحاد في مقابلة عملهم المتصل وجب اطراحه والمصير إلى عملهم؛ لأن هذا العمل طريقه النقل المتواتر فكان إذن أولى من أخبار الآحاد - وذلك مثل ما ذكرناه في نقل الأذان، ووجوب المعاقلة بين الرجل والمرأة، وتقديم الأذان على الفجر، وما في معناه - وحمل ذلك على [غلط] روايه أو نسخه أو

¹ - أخرجه البخاري في عدة مواضع، وأبسط مواضعه، في الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، حديث رقم 6830.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت أقرئ رجلا من المهاجرين، منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله، وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها، إذ رجع إلي عبد الرحمن، فقال: لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت، فغضب عمر، ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمورهم، قال عبد الرحمن فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاك الناس وغوغاءهم فإلهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير وأن لا يعوها وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت، متمكنا فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها، فقال عمر: أما والله إن شاء الله، لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة. قال ابن عباس: فقدما المدينة في عقب ذي الحجة، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زاغت الشمس، حتى أحد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر، فجلست حوله تمس ركبتي ركبته، فلم أنشب أن أخرج عمر بن الخطاب، فلما رأيته مقبلا قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف، فأنكر علي، وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله، فجلس عمر على المنبر، فلما سكث المؤذنون قام، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: ... الحديث

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

غير ذلك مما يجب اطراحه لأجله .

وليس هذا من القول بأننا لا نقبل الخير حتى يصحبه العمل في شيء؛ لأنه لو ورد خبر في حادثة لا نقل لأهل المدينة فيه لقبلائه، وإن كنا نظرحه إذا عاد برفع النص . وهذا مذهب السلف وأكابر التابعين مثل سعيد بن المسيب إذ أنكر على ربيعة معارضته إياه في المعاقلة¹ وأبي الزناد وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهم². انتهى المقصود من كلامه.

إذن موقف القاضي عبد الوهاب أن إجماع أهل المدينة نقلاً حجة تحرم مخالفته . أما إجماعهم من طريق الاجتهاد فمختلف فيه، والصحيح عنده أنه يرجح به على غيره، ولا يحرم الذهاب إلى خلافه، إلا أنه إذا اقترن بأحد الخبرين المتعارضين رُجِّح به على ما

¹ - قصة سعيد وربيعه مشهورة، رواها مالك في الموطأ ج2 ص860، وغيره: فقد قال ربيعة لابن المسيب: كم في ثلاثة أصابع من المرأة؟ فقال: ثلاثون، فقلت: كم في أربعة؟ فقال: عشرون، فقال: حين عظم جرمها واشتدت بليتها نقص عقلها ! فقال: أعراقي أنت ؟ قلت: بل عالم متثبت، أو جاهل متعلم، فقال: هي السنة يا ابن أخي . قال ابن شاس: وهو إجماع أهل المدينة والفقهاء السبعة. ومعنى ذلك أن المرأة تعاقل أي تساوي الرجل من أهل دينها فتأخذ في أطرافها مثلما يأخذ الرجل، وتستمر مساوية له إلى أن تبلغ ثلث دية الرجل، والغاية خارجة كما هو الأصل في المغيا بلى، فإذا بلغت أي دية الرجل أي ثلثها، رجعت إلى عقلها، فإذا قطع لها ثلاثة أصابع فيها ثلاثون من الإبل، كالرجل، فإذا قطع لها بعد ذلك أتملة، رجعت إلى عقلها، وكذا إذا قطع لها أربعة أصابع أو ثلاثة وأتملة، فإنها تأخذ نصف ما يأخذ الرجل، فلها في المنقلة والهاشمة وفيما نقص من الأصابع عن الثلاثة وأتملة كالرجل، وأما في قطع ثلاثة وأتملة أو الجائفة أو الدمغة أو الأمة نصف ما للرجل، فيكون لها فيما ذكر ستة عشر بعيراً وثلاثا بعير، انظر: الفواكه الدواني ج2 ص193.

² - المعونة ج2 ص607-610.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

عري عنه، وأنه إذا روى خبر من أخبار الآحاد في مقابلة عملهم المتصل وجب أطراحه والمصير إلى عملهم.

بعض المسائل التي استدلت بها المدرسة العراقية بإجماع أهل المدينة من خلال

كتب القاضي عبد الوهاب

ومعرفة المسائل التي استدلت فيها أصحاب المدرسة العراقية بإجماع أهل المدينة،
لزم استقراء كتابيه الإشراف والمعونة للقاضي عبد الوهاب، اللذين عُني فيهما
بالاستدلال لمذهبه.

مسائله في الإشراف والمعونة

1) الأذان قبل طلوع الفجر، قال [في الإشراف ج1 ص 214] بعد أن استدلت
بحديث: (إن بلاً يؤذن ليليل) ويروى (يؤذن ليليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم
مكتوم) قال: "ولأن ذلك إجماع أهل المدينة وعملهم المتصل"¹.

2) تننية التكبير في الأذان، قال [في الإشراف ج1 ص 214-215] بعد استدلاله
بحديث أبي مخذوة وبلال وسعد القرظ: "ولأنه إجماع أهل المدينة نقلاً...". وفي
المعونة: [84/1] "ولأن ذلك إجماع أهل المدينة، ونقل خلفهم عن سلفهم".

3) الترجيع في الأذان، قال [في الإشراف ج1 ص 215-216] بعد أن استدلت
بحديث أبي مخذوة: "ولأنه إجماع أهل المدينة وعملهم المتصل"، وفي المعونة:
[ج2 ص 85] بعد أن استدلت بحديث أبي مخذوة، قال: "وبعضه نقل أهل المدينة المتواتر
وعملهم المتصل".

4) الثويب بالأذان في الفجر، قال [في الإشراف ج1 ص 216-217] بعد استدلاله

¹ - ولم يستدل في المعونة بإجماع أهل المدينة، بل بحديثين، وقياس. ج1 ص 86-87.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

بحديث بلال، وحديث أبي مخذورة: “ولأنه نقل أهل المدينة المتصل”. وفي المعونة: [85/1] قال بعد استدلاله بحديث بلال: “ويعضده عمل أهل المدينة المتصل”.

5، الإقامة فرادى، قال [في الإشراف ج 1 ص 216-217] بعد استدلاله بحديث أنس أن بلالاً أمر أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة، ويقول ابن عمر: كان الأذان على عهد رسول الله ﷺ، والإقامة فرادى، وبحديث سعد القرظ: أن رسول الله ﷺ علّم بلالاً الأذان مثنى مثنى، والإقامة واحدة واحدة: ولأنه نقل أهل المدينة خلفاً عن سلف”. وفي المعونة [ج 1 ص 85-86] قال بعد استدلاله بحديث سعد القرظ (أمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة، وحديث ابن عمر (كان الأذان على عهد رسول الله ﷺ مرتين مرتين، والإقامة مرة مرة، ورواية سعد القرظي، وقول إبراهيم بن عبد العزيز بن أبي مخذورة: أدركت جدي وأبي وأهلي يقيمون فرادى): “وكان ذلك نقل أهل المدينة وعملهم المتصل”.

6، قال: “ويقول: قد قامت الصلاة مرة واحدة... لما روى عمار بن سعد القرظ عن أبيه أنه سمعه يقول: هذا الأذان أذان بلال الذي أمر به رسول الله ﷺ وإقامته، فذكر له الأذان، وقال: الإقامة واحدة واحدة، ويقال: قد قامت الصلاة مرة واحدة. وهذا نص، وروى الحميدي عن إبراهيم بن عبد العزيز أن أبا مخذورة قال: أدركت أبي وجدي وأهلي يقيمون الصلاة فيقولون، إلى أن ذكر: قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر. ولأنه نقل أهل المدينة المتصل...”. [الإشراف ج 1 ص 217-218]. وفي المعونة [ج 1 ص 86] قال بعد استدلاله بحديث... وآخر... “ولأنه نقل أهل المدينة خلف عن سلف”.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

7) لا يسلم الإمام إذا رقى المنبر. قال في الإشراف [ج1 ص331]¹: “ليس من السنة أن يسلم إذا رقى في المنبر، خلافاً للشافعي، لأن ذلك عمل أهل المدينة المتصل بينهم، فلو كان عندهم شيء عن النبي ﷺ لم يعدلوا عنه”، ثم استدل بالمعقول².
8) قدر قيام رمضان ست وثلاثون ركعة، قال [في المعونة ج1 ص150-151]: “ولأن ذلك عمل أهل المدينة المتصل، قال نافع: لم أدرك الناس إلا وهم يقومون بتسع وثلاثين، يوترون منها بثلاث”³.

9) تكبيرات صلاة العيدين: قال [في الإشراف ج1 ص343-344]: “زوائد التكبير ست في الأولى وخمس في الثانية... لما روى ابن عمر وعائشة وأبو واقد الليثي وعمرو بن عوف المزني أن رسول الله ﷺ كان يكبر في العيدين سبعاً في الأولى وخمساً في الثانية قبل القراءة. وروى عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: ((التكبير في الفطر سبع في الأولى وخمس في الآخرة)). وهو إجماع أهل المدينة نقلاً”⁴.

10) مقدار الصاع والمد، قال في [المعونة ج1 ص250-251] قال: “ودليلنا نقل أهل المدينة خلفاً عن سلف وقرناً بعد قرن أن صاع النبي ﷺ على ما ذكرناه نقلاً يتساوى أطرافه، وهم من امتناع الكذب والغلط على مثل عددهم، ومن امتناع التواطئ والتشاعر والتراسل بينهم بصفة من يلزم العلم بنقل خبرهم، فكان نقلهم لذلك

¹ - وانظر: المنتقى 189/1.

ولم يستدل بإجماع أهل المدينة في المعونة ج1 ص166 بل قال: “لأنه لم يرد في شيء من الروايات الثابتة عن النبي ﷺ أنه كان يسلم، وإنما هو شيء محدث”، ثم استدل بمعقول.

² - ولم يورد المسألة في المعونة.

³ - لم يورد المسألة في الإشراف.

⁴ - ولم يستدل بإجماع أهل المدينة في المعونة بل بالحديث [المعونة ج2 ص178].

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

بمثابة نقل قبره ومنبره ﷺ في لزوم العلم، وكان أولى من أخبار الآحاد وغيرها، ولذلك رجع أبو يوسف عن قول أبي حنيفة في الصاع¹.

11) زكاة الفواكه والخضر، قال [في الإشراف ج 1 ص 396]: “لا زكاة في الفواكه والخضر ...؛ لأن ذلك إجماع أهل المدينة نقلاً؛ لأن الخضر قد كانت على عهد رسول الله ﷺ والأئمة بعده، فلم ينقل أنه طالبهم بزكاة عنها، ولو كان ذلك قد وقع لم يغفل نقله، ولأنه من الأمور العامة التي تمس الحاجة إلى نقلها، وقد روي (ليس في الخضروات صدقة). وفي المعونة [ج 1 ص 257-258] قال مباشرة: “لأن أهل المدينة نقلوا نقلاً متواتراً خلف عن سلف أن النبي ﷺ لم يأخذ من الخضر والبقول شيئاً، ولا أحد من الخلفاء بعده، وقد كانت تزرع في أيامهم، فلو كان فيها زكاة لأخذوها منها”.

12) قطع التلبية للحاج، قال: “يقطع الحاج التلبية إذا زالت الشمس يوم عرفة ... ووجهها أنه إجماع السلف، وروي عن عمر، وعثمان، وعلي، وابن عمر، وعائشة، وسعد، وجابر، وابن الزبير. وذكر مالك أنه إجماع أهل المدينة... [الإشراف ج 1 ص 480]، وفي المعونة [ج 1 ص 334] قال بعد استدلاله بإجماع الصحابة: “وروي عن الخلفاء الأربعة، وابن عمر، وعائشة رضي الله عنهم أجمعين، وذكر مالك أنه إجماع أهل المدينة”². وهذا الموضع الوحيد في الكتابين الذي أحال فيه على الإمام مالك في إجماع أهل المدينة.

13) بيع الثمرة جزافاً مع الاستثناء، قال في الإشراف [ج 2 ص 546]: “يجوز أن يبيع

¹ - ولم أحده في الإشراف.

² - عبارته: “وذلك الأمر الذي لم يزل عليه أهل العلم ببلدنا”. الموطأ، كتاب الحج، باب قطع التلبية، ج 1 ص 338.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

ثمرة جزافاً ويستثني كيلاً معلوماً، وقدره ما بينه وبين الثلث ...؛ لأن ذلك إجماع أهل المدينة عملاً متواتراً بينهم ...¹. وفي المعونة [ج2 ص44-45] قال مباشرة: “لأن ذلك عمل متصل بالمدينة مستفيض بين الصحابة والتابعين، أنهم كانوا يفعلونه إذا باعوا حائطهم”.

14) عهدة الرقيق، قال [الإشراف ج2 ص564]: “عهدة الرقيق ثلاثة أيام، وبعدها عهدة السنة من الجنون والجذام والبرص، وهذا كان بالمدينة... ودلينا حديث الحسن عن عقبة أن النبي ﷺ قال: ((عهدة الرقيق ثلاثة أيام))، ولأن ذلك إجماع أهل المدينة من طريق النقل”. وفي المعونة [ج2 ص82] قال: “ودلينا: ما روى الحسن عن عقبة بن عامر ... وروى قتادة عن الحسن ... ، ولأن ذلك إجماع أهل المدينة نقلاً؛ لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حَكَمَ في العهدة فقال: ((ما أجد لكم شيئاً أوسع مما جعل النبي ﷺ لحبان بن منقذ، فإنه جعل له عهدة ثلاثة أيام فيما اشترى، إن رضي أخذه وإن سخط ترك))، وقال محمد بن بن يحيى بن حبان: ما جعل ابن الزبير عهدة الرقيق ثلاثة أيام إلا لقول رسول الله ﷺ لمنقذ بن عمر: (أنت بالخيار ثلاثاً) وروى مالك عن عبد الله بن أبي بكر: ((أن أبان بن عثمان وهشام بن إسماعيل كان يذكران في خطبتهما عهدة الرقيق في الثلاثة الأيام من حين يشتري العبد أو الوليدة)). وهو قول عمر بن عبد العزيز وأبي الزناد والزهري، ورووه عن المشيخة السبعة”.

15) يحكم بالقافة في ولد الأمة إن أتت به لأكثر من ستة أشهر من وطء المشتري الأول أو الثاني بغير استبراء، قال في المعونة [ج2 ص96] بعد استدلاله بحديث عائشة ...: “وروى عن عمر وأنس الحكم بالقافة، وهو عمل أهل المدينة المنتشر

¹ - انظر: الإشراف 1/265-266. الطبعة الأولى

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري
بينهم...”.

16، دية جراح المرأة: في الإشراف [ج2 ص829]: “فدلينا أن ذلك إجماع أهل المدينة”، وقال في [المعونة ج2 ص276]: “لأنه إجماع أهل المدينة نقلاً...”
17، مسألة واحد استدل فيها بالعمل المتصل دون وصفه بإجماع أهل المدينة، قال [في الإشراف ج1 ص258]: “الاستحباب لمن نابه شيء في صلاته أن يسبح، رجلاً كان أو امرأة... لقوله ﷺ (من نابه شيء في صلاته فليسبح)، واعتباراً بالرجل، والخبر المروي في التصفيق فإن العمل المتصل وجد على خلافه، فهو أولى من الخبر”.

من خلال استدلال القاضي بإجماع أهل المدينة في هذه المسائل نجد:

■ عدد المسائل التي استدل فيها بإجماع أهل المدينة النقلي قليلة، مقارنة بما اصطلاح عليه ابن القصار من كل ما قال فيه الإمام مالك: (الأمر الذي لا اختلاف فيه عندنا) قد احتج به مالك رحمه الله بإجماع أهل المدينة في مسائل يكثر تعدادها¹.

■ أن تعبيراته في الاستدلال بإجماع أهل المدينة لها شكلان:

إما أن أن يصف إجماعهم أو عملهم بالاتصال أو النقل كقوله: “إجماع أهل المدينة وعملهم المتصل”، “إجماع أهل المدينة نقلاً”، “إجماع أهل المدينة وعملهم المتصل”، “نقل أهل المدينة المتصل”، “نقل أهل المدينة خلفاً عن سلف”، “ذلك إجماع أهل المدينة عملاً متواتراً بينهم”، “ذلك إجماع أهل المدينة من طريق النقل”. ويريد بذلك إجماع أهل المدينة النقلي.

■ وإما أن لا يقطع بوصفه بالإجماع أو النقل المتواتر، كمسألة قطع التلبية

¹ - في قوله: "وقد احتج مالك رحمه الله بذلك في مسائل يكثر تعدادها، حيث يقول: (الأمر الذي لا اختلاف فيه عندنا)". راجع صفحة 10.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

للحاج، فقد قال: "إنه إجماع السلف"، فلم يجزم كعاداته بإجماع أهل المدينة، وأسند الاستدلال بإجماع أهل المدينة إلى الإمام مالك، ولم أصل لسبب ذلك، وأستبعد أن يكون يرى ضعف الاستدلال بإجماع أهل المدينة هنا، فالأدلة التي أوردها العمل المتصل أو ما يسميه ابن تيمية العمل القديم، وهو وإن لم يكن من النقل لكنه أشبه شيء به.

■ غالباً ما يعتمد في استظهار إجماع أهل المدينة النقل على صحة القول به عقلاً، كأن يكون الأمر مما يتكرر وقوعه كل يوم، فتتوافر الدواعي على إنكاره إن كان غير صحيح، كمسائل الصلاة والزكاة، وهذا قريب من التواتر العملي، وهو مراده من قوله: "ودليلنا على كونه حجة اتصال نقله على الشرط المراعى في التواتر، من تساوي أطرافه، وامتناع الكذب والتواطؤ والتواصل والتشاعر على ناقله"¹.

■ وأحياناً يستدل لوجود إجماع لأهل المدينة بأن يُنقل حكمُ الخليفة بالمدينة، ثم يعمل به أمراؤهم، ويفتي به أئمتهم من التابعين، فيدل على وجود عمل متصل من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى التابعين، إلى من بعدهم. ويبدو هذا واضحاً في مسألة عهدة الرقيق، فذكر حكم عمر وابن الزبير رضي الله عنهما وأمراء المدينة أبان بن عثمان وهشام بن إسماعيل، وفتوى علماء المدينة من التابعين عمر بن عبد العزيز وأبي الزناد والزهرري، والفقهاء السبعة.

¹ - وفي مثل ذلك يقول الباجي: "إن الأذان أمرٌ يُؤتى به في كل يوم وليلة مراراً جمّة بحضرة الجمهور العظيم من الصحابة والتابعين الذين أدركهم مالك رحمه الله وعاصرهم، وهم عدد كثير، لا يجوز على مثلهم التواطؤ، ولا يصح على جميعهم النسيان والسهو عما ذكر بالأمس من الأذان، ولا يجوز عليهم ترك الإنكار على من أراد تبديله أو تغييره... فإذا رأينا الجماعة الذين شهدوا بالأمس الأذان قد سمعوه اليوم ولم يكن لأحد منهم إنكار لشيء منه، عُلِمَ أنه هو الأذان الذي كان بالأمس... وهذا أمر طريقه القطع والعلم". المنتقى 134/1-135.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

■ أنه لا يلجأ إلى الاستدلال بإجماع أهل المدينة إن أمكن الاستدلال بإجماع الصحابة، وهو يريد السكوتي، مع أنه لو استدل بإجماع أهل المدينة لكان صحيحاً عقلاً.

■ وأن مرتبة إجماع أهل المدينة عنده تلي مرتبة السنة الصريحة ولا تتقدم عليها، فإنه يقدمها على الاستدلال بإجماع أهل المدينة، ألا ترى - في غالب مسائله - كيف قدّم الاستدلال بالحديث على إجماع أهل المدينة في مسألة: الأذان للفجر قبل وقتها. والترجيع في الأذان، وتثنية التكبير في الأذان، والترجيع في الأذان، والتثويب بالأذان في الفجر، والإقامة فرادى، وإفراد لفظة الإقامة، وزوائد التكبير في العيدين، ونحو ذلك. وأرى - والله أعلم - أنه يجعل إجماع أهل المدينة معضداً للحديث، وكالمرجح في المسألة في حال تعارض الأخبار، وقد صرح بذلك في مسألة: الترجيع في الأذان، قال في المعونة: بعد أن استدل بحديث أبي مخذوة، قال: “ويعضده نقل أهل المدينة المتواتر وعملهم المتصل”. ومسألة التثويب بالأذان في الفجر، قال في المعونة: بعد استدلاله بحديث بلال: “ويعضده عمل أهل المدينة المتصل”.

■ وهو في حال ضعف الحديث مع صحة الاستدلال بإجماع أهل المدينة؛ يؤخر الاستدلال بالحديث ويستأنس به، كمسألة زكاة الخضروات.

■ أما في حال ضعف الاستدلال بعمل أهل المدينة فلا يصف عملهم بالإجماع أو النقل المتواتر، انظر إلى قوله في مسألة قدر قيام رمضان ست وثلاثون ركعة: “ولأن ذلك عمل أهل المدينة المتصل، قال نافع: لم أدرك الناس إلا وهم يقومون بتسع وثلاثين، يوترون منها بثلاث”، فهذا لا شك أنه عمل مبني على اجتهاد، فلم يثبت أن النبي ﷺ داوم على ست وثلاثين ركعة في صلاة التراويح.

وكما في مسألة: لا يسلم الإمام إذا رقى المنبر وقوله: “ليس من السنة أن يسلم

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

إذا رقى في المنبر، خلافاً للشافعي، لأن ذلك عمل أهل المدينة المتصل بينهم، فلو كان عندهم شيء عن النبي ﷺ لم يعدلوا عنه¹، وقد ثبت أن عمر كان يسلم إذا صعد المنبر، ويدل هذا على أنه ليس نقلياً، فكأنه من العمل الاجتهادي.

وكذا في مسألة الاستحباب لمن نابه شيء في صلاته أن يسبح، رجلاً كان أو امرأة، قال بعد أن استدل بعموم قوله ﷺ (من نابه شيء في صلاته فليسبح)، والقياس على الرجل، قال: "والخبر المروي في التصفيق فإن العمل المتصل وجد على خلافه، فهو أولى من الخبر". وهو هنا لم يصف العمل بالإجماع فكأنه ليس أجماعاً عنده. على أن الخبر الذي أشار إليه صحيح² اتفق الشيخان على إخراجه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (التسبيح للرجال والتصفيق للنساء)¹.

■ ألا ترى أنه يكتفي بالاستدلال بالحديث والمعقول على تكلف استدلال بإجماع أهل المدينة.

ربما يزيدنا تعرفاً على منهجه إن قارنا هذه المسائل ببعض المسائل التي لم يستدل فيها بإجماع أهل المدينة، واستدل بها غيره، ممن جاء بعده في قرنه.

بعض المسائل عند المدرسة الأندلسية احتجوا فيها بإجماع أهل المدينة

المسائل الآتية استدلت فيها بإجماع أهل المدينة بعض أئمة المالكية ممن جاء بعد القاضي عبد الوهاب في قرنه، كابن عبد البر (ت463هـ)² وأبي الوليد الباجي (ت474)، .

¹ - رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب التصفيق للنساء، حديث رقم1203؛ ومسلم في كتاب الصلاة، باب تسبيح الرجل وتصفيق المرأة، حديث رقم422.

² - ابن عبد البر هو: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، أبو عمر القرطبي، حافظ، أحد أعلام الأندلس وكبير محدثيها، كان ثقة زهياً متبحراً في الفقه والعربية والحديث والتاريخ، له كتب كثيرة

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

- 1- وقت صلاة المغرب واحد ليس له أول وآخر، استدل ابن عبد البر فيها بإجماع أهل المدينة على العمل به¹. وأما القاضي عبد الوهاب فنفي الخلاف فيه فقط².
- 2- تكبيرة الإحرام تكون بعد الإقامة وتسوية الصفوف. استدل ابن عبد البر على مذهب مالك بعمل أهل المدينة³.

=====

منها: التمهيد والاستذكار والاستيعاب وغيرها، توفي سنة 463هـ، وقيل: 458هـ، انظر: الديباج 367/2 شجرة النور ص119.
¹ - جاء في: التمهيد 84/8.

"المشهور من مذهب مالك ما ذهب إليه الشافعي والثوري في وقت المغرب... والحجة لهم كل حديث ذكرناه في كتابنا هذا في إمامة جبريل على تواترها لم تختلف في أن للمغرب وقتاً واحداً، وقد روى مثل هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو بن العاص وكلهم صحبه بالمدينة وحكى عنه صلاته بها كذلك. على أن مثل هذا يؤخذ عملاً لا ينفك منه، ولا يجوز جهله ولا نسيانه. وقد حكى أبو عبد الله بن خوازنداد البصري في كتابه الخلاف: أن الأمصار كلها بأسرها لم يزل المسلمون فيها على تعجيل المغرب والمبادرة إليها في حين غروب الشمس، ولا نعلم أحد من المسلمين تأخر بإقامة المغرب في مسجد جماعة عن وقت غروب الشمس. وفي هذا ما يكفي مع العمل بالمدينة على تعجيلها".

² - المعونة ج1 ص79.

³ - ففي معرض شرحه لحديث مالك بن أبي عامر (أن عثمان بن عفان كان يقول في خطبته قلما يدع ذلك إذا خطب: إذا قام الإمام يخطب يوم الجمعة فاستمعوا له وأنصتوا، فإن للمنصت الذي لا يسمع من الحظ مثل ما للمنصت السامع، فإذا قامت الصلاة فاعدلوا الصفوف، وحاذوا بالمناكب، فإن اعتدال الصفوف من تمام الصلاة. ثم لا يكبر حتى يأتيه رجال قد وكلوا بتسوية الصفوف فيخبرونه بأن قد استوت الصفوف)، قال ابن عبد البر: "وفيه أن العمل بالمدينة على خلاف ما رواه العراقيون (أن بلاً كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تسبقني بآمين)، واستدلوا بذلك

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

3- ترك الجهر بالبسملة في الصلاة. نقل الباجي في إحكام الفصول، وابن العربي في العارضة، والقاضي عياض في المدارك؛ أن العمل النقلي لأهل المدينة هو ترك الجهر بالبسملة¹. أما القاضي عبد الوهاب فاستدل على أن المصلي لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لا سراً ولا جهراً بعدم بيان الرسول ﷺ لذلك بيانا مستفيضاً، واستدل بحديث: قسمت الصلاة، وبحديث: كانوا لا يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم².

4- الواجب تسليمة واحدة للانصراف من الصلاة، استدل ابن عبد البر فيها بعمل أهل المدينة³. وأما القاضي عبد الوهاب فاستدل بإطلاق حديث: (وتحليلها التسليم)⁴،

=====

على أنه كان عليه الصلاة والسلام يكبر قبل فراغ بلال من الإقامة، وقالوا: يكبر الإمام إذا قال المؤذن: قد قامت الصلاة". الاستذكار 289/1.

¹ - قال الباجي: "إن مالكا إنما عوّل على أقوال أهل المدينة وجعلها حجة في ما طريقه النقل كمسألة الأذان وترك الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم...". إحكام الفصول ص 480-481.

وقال ابن العربي: ولا خفاء؛ فإن طريق مالك في هذا أهدى، فإن مسجداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبت بالنقل المتواتر من أهل المدينة إلى زمان مالك... عرى عن الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فلا يلتفت إلى أخبارٍ آحادٍ شذت عن علماء الصحيح المتقدمين". عارضة الأحوذى 44/2.

ومثل القاضي عياض لإجماع أهل المدينة النقلي بترك الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة . ترتيب المدارك 48/1.

² - المعونة ج1 ص 93-94.

³ - فقال: "والعمل المشهور بالمدينة التسليمة الواحدة، وهو عمل قد توارثه أهل المدينة كابراً عن كابر، ومثله يصح فيه الاحتجاج بالعمل في كل بلد، لأنه لا يخفى لوقوعه في كل يوم مراراً". الاستذكار 214/2.

⁴ - (مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الطهارة، باب ما جاء أن مفتاح الصلاة الطهور، 8/1-9.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

ومحدث عائشة رضي الله عنها ((أنه ﷺ كان يسلم واحدة تلقاء وجهه))¹. وبالقياس. ولم يستدل بإجماع أهل المدينة رغم أن للإمام مالك استدلال به، جاء في البيان والتحصيل: "سئل عن التسليمة الواحدة في الصلاة؟ فقال: على ذلك كان الأمر، ما كانت الأئمة ولا غيرهم يسلمون إلا واحدة، وإنما أحدث تسليمتان منذ كانت بنو هاشم"².

5- من أدرك من صلاة الجمعة ركعة صلى إليها ركعة أخرى. استدل ابن عبد البر فيها بإجماع أهل المدينة³.

6- لانداء ولا إقامة في العيدين، استدل بإجماع أهل المدينة هنا الباجي⁴.

7- تكبيرات الجنازة أربع. استدل ابن عبد البر فيها بإجماع أهل المدينة⁵.

¹ - حديث عائشة رضي الله عنها (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسلم في الصلاة تسليمة واحدة تلقاء وجهه إلى الشق الأيمن شيئاً).

أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الصلاة، باب منه (أي ماجاء في التسليم في الصلاة) 90/2-91، وابن ماجه في سننه، في كتاب إقامة الصلاة، باب من يسلم تسليمة واحدة، 297/1، وابن حبان في صحيحه، انظر: الإحسان 223/3، والبيهقي في سننه 179/2.

² - البيان والتحصيل 494/1.

³ - انظر: الاستذكار 291/2.

⁴ - انظر: المنتقى 315/1.

⁵ - قال ابن عبد البر في معرض ترجيحه للتكبيرات الأربع: "وما جمع عمر الناس عليه أصح وأثبت، مع صحة السنن فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كبر أربعاً، وهو العمل المستفيض بالمدينة ومثل هذا يجتج فيه بالعمل؛ لأنه قل يوم أو جمعة إلا وفيه جنازة، وعليه الجمهور وهم الحجة". التمهيد 340/6.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

- 8- تجب الزكاة في المعادن. استدل بعمل أهل المدينة هنا ابن عبد البر¹ ..
- 9- تحريم المسكر قليله وكثيره. استدل ابن عبد البر فيها بإجماع أهل المدينة² .
- 10- خيار المجلس. استدل ابن رشد بإجماع أهل المدينة على نفيه³ .
- 11- ضمان ما أفسدت المواشي بالليل. استدل ابن عبد البر فيها بإجماع أهل المدينة⁴ ..
- 12- القضاء باليمين مع الشاهد. استدل ابن عبد البر فيه بإجماع أهل المدينة⁵ ..
- 13- الوقوف والأحباس تصح من غير افتقار إلى حكم حاكم. استدل فيها بإجماع أهل المدينة الباجي وابن رشد والقاضي عياض⁶ .
- 14- لا وصية لوارث إلا أن يميز الورثة. استدل الباجي فيها بإجماع أهل المدينة⁷ ..
- 15- القتل شبه العمد. استدل ابن عبد البر فيها بإجماع أهل المدينة⁸ ..

¹ - التمهيد 33/7-34.

² - انظر: التمهيد 126/7.

³ - انظر: المقدمات ص565.

⁴ - انظر: التمهيد 82/11.

⁵ - انظر: التمهيد 157/2.

⁶ - انظر: المنتقى 122/6، الجامع من المقدمات ص351-352، ترتيب المدارك 48/1، 115/2.

⁷ - انظر: المنتقى 179/6.

⁸ - انظر: التمهيد 478/6.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

نتائج البحث

عدم استدلال المدرسة العراقية في هذه المسائل بإجماع أهل المدينة أكدت لنا ما سبق استنتاجه، فقد استدل هؤلاء الأئمة بإجماع أهل المدينة في مسائل استندوا فيها إلى منطقية الاستدلال بإجماع أهل المدينة فيها، كما أنهم يستأنسون بمرويات عن عمل الصحابة والتابعين بالمدينة، ويلاحظ أنهم لا يعتمدون على إطلاقات الإمام مالك ضابطاً في وجود إجماع لأهل المدينة أو عمل لهم.

كل ذلك يؤكد سبق المدرسة العراقية إلى هذا المنهج المعتدل في بناء هذا الأصل، ويؤكد إمامة أمثال القاضي عبد الوعاب في الفقه وأصوله، ومثته على المذهب المالكي أصولاً وفروعاً، والحمد لله.

خاتمة البحث

هذا البحث دار حول إجماع أهل المدينة وهو أحد أدلة فقه الإمام مالك، وكان رحمه الله لا يرى خلاف ما كان عليه أهل المدينة إذا كان الأمر بالمدينة ظاهراً معمولاً به، لكونه عنده ميراثاً ورثوه عن التابعين الذين ورثوه عن الصحابة .

وقد خالفه أئمة، منهم الليث بن سعد والشافعي ومحمد بن الحسن وغيرهم. ونقدوه، ولمّا كان النقد جديراً بالوقوف عنده وتأمله وتصحيح بعضه؛ اختلف أصحاب مالك في مراده منه واختلفوا في حقيقته، وقد دفع هذا النقد متأخري المالكية إلى الدفاع عن هذا الدليل، كما احتج بعضهم ببعضه، واختلف من بعدهم، فانقسموا إلى فرق منهم جعل الحجة في إجماع أهل المدينة النقلي ومنهم من عمّ الاجتهادي.

وهذا البحث محاولة لاستشراف منهج المدرسة العراقية والأندلسية في استدلاله بإجماع أهل المدينة من خلال معرفة مواقفهم النظرية التي نُقلت عنهم . وتأکید ذلك من خلال استخراج منهجهم في المسائل التي استدلو فيها بإجماع أهل المدينة.

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

فظهر أنه يرى أن إجماع أهل المدينة نقلاً حجة تحرم مخالفته، أما إجماعهم من طريق الاجتهاد فمختلف فيه، والصحيح عند العراقيين أنه يرجح به على غيره، ولا يحرم الذهاب إلى خلافه .

واتضحت طريقة الأندلسيين أنهم توسعوا في استظهار إجماع أهل المدينة النقلي والاجتهادي، وذلك من خلال صحة القول به عقلاً كأن يكون الأمر مما يتكرر وقوعه كل يوم، فتتوافر الدواعي على إنكاره إن كان غير صحيح، كالمسائل التي في أبواب الصلاة والزكاة. وأحياناً يورد مرويات عن الصحابة للاستدلال على وجود إجماع لأهل المدينة.

ولعل ذلك أن المدرسة الأندلسية والمغربية في العموم لم لهم منازع من المذاهب الأخرى التي تلجئهم إلى الدفاع ومناصرة مذهبهم، فقد خلا لهم الجو فتوسعوا في الاستدلال بعمل أهل المدينة بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فاعتمدوا أعمال مدن أخرى كفاس وغيرها خاصة في النوازل والوقائع.

هذا المنهج المعتدل أثر على من بعده، فزاهم اقتدوا به في طريقة استدلاله بإجماع أهل المدينة وعملهم، ونحو نحوه، وحذوا حذوه فرحم الله أئمة المالكية جميعهم وجميع أئمتنا، وحشرنا وإياهم في عليين إنه سميع مجيب.

مراجع البحث:

■ ابن القيم، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الفكر، 1397 / 1977م).

■ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم شيخ الإسلام، صحة أصول مذهب أهل المدينة، الطبعة "بدون"، تصحيح زكريا علي يوسف (مصر: مكتبة المتنبى، تاريخ النشر

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

"بدون")

■ ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري، الإحكام في أصول الأحكام، تقديم: إحسان عباس، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1400هـ - 1980م).

■ ابن رشد، أبو الوليد، محمد بن أحمد، البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد حجي، وآخرون (بيروت: دار الغرب الإسلامي 1406هـ / 1986م).

■ ابن رشد، أبو الوليد، محمد بن أحمد، الجامع من المقدمات، تحقيق: المختار بن طاهر التليلي، الطبعة الأولى (الأردن: دار الفرقان 1405هـ / 1985م).

■ ابن رشد، - الحفيد - محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الطبعة السادسة (بيروت: دار المعرفة 1402هـ / 1982).

■ ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، (القاهرة: دار التراث، تاريخ النشر "بدون").

■ ابن القصار، علي بن عمر بن أحمد أبو الحسن، البغدادى، مقدمة في أصول الفقه، تحقيق: مصطفى مخدوم، الطبعة الأولى (الرياض: دار المعلمة، 1420 - 1999).

■ ابن معين، يحيى بن معين بن عون بن زياد المري، التاريخ (أو تاريخ يحيى بن معين)، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، الطبعة الأولى، (مكة المكرمة: مركز البحث العلمي بكلية الشريعة 1399هـ).

■ الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف، إحكام الفصول في أحكام الأصول، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد المجيد تركي (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1407هـ - 1987م).

■ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، (إستانبول: دار الطباعة العامة، 1315هـ، تصوير: المكتبة الإسلامية).

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

■ **البیهقي**، أبابكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، الطبعة الأولى (حيدر آباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية 1354هـ)

■ **الجويني**، أبا المعالي عبد الملك بن عبد الله، إمام الحرمين، البرهان في أصول الفقه، الطبعة الثانية، تحقيق: عبد العظيم الديب، (القاهرة: دار الأنصار، 1400هـ)

■ **حلولو**، أحمد بن عبد الرحمن القيرواني، التوضيح شرح التنقيح، (تونس، المطبعة التونسية، 1328هـ/1910م)

■ **الدارقطني**، أبا الحسن علي بن أحمد، سنن الدارقطني، الطبعة الثانية، (بيروت عالم الكتب، 1403هـ/1983م)

■ **الرازي**، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، الحصول في علم الأصول، الطبعة الأولى، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1400هـ/1980م)

■ **الراعي**، محمد بن محمد الأندلسي، انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد أبو الأحفان (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981م)

■ **الزركلي**، خير الدين، الأعلام، الطبعة السادسة (بيروت: دار العلم للملايين، 1984م)

■ **سحنون**، عبد السلام بن سعيد التتوخي، المدونة الكبرى، (بيروت: دار الفكر مصورة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية، 1324هـ)

■ **السرخسي**، محمد بن أحمد بن أبي سهل، أصول السرخسي، تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني، الطبعة "بدون"، (حيدر آباد: لجنة إحياء المعارف النعمانية، 1372هـ).

■ **سيف**، أحمد محمد نور، عمل أهل المدينة بين مصطلحات مالك وآراء الأصوليين (دي: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الطبعة الثانية، 1421=2000)

■ **الشاطبي**، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، شرح وتعليق عبد الله دراز، الطبعة الثانية (بيروت: دار المعرفة، 1395هـ/1975م)

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

■ **الشافعي**، محمد بن إدريس، أبو عبد الله، الأم، الطبعة "بدون" (مصر: دار الشعب، 1388هـ).

■ **الشافعي**، محمد بن إدريس، أبو عبد الله، الرسالة: تحقيق: أحمد شاكر، الطبعة الأولى (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، تاريخ النشر "بدون")

■ **الشنقيطي**، عبد الله بن إبراهيم العلوي، المتوفى سنة 1235هـ، نشر البنود على مراقبي السعود، الطبعة "بدون" (المغرب، الإمارات: اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي)

■ **الشيرازي**، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، اللمع في أصول الفقه، الطبعة الثالثة، (القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، 1377هـ/1957م)

■ **عياض**، بن موسى بن عياض السبتي، ترتيب المدارك لمعرفة أعلام مذهب مالك، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي وآخرون (المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1403هـ/1983م)

■ **الغزالي**، محمد بن محمد بن محمد، المستصفى من علم الأصول، الطبعة الأولى (مصر: المطبعة الأميرية ببولاق، 1324هـ)

■ **الغزالي**، محمد بن محمد بن محمد، المنحول من تعليقات الأصول، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد حسن هيتو (دمشق: دار الفكر، 1400هـ/1980م)

■ **فلمبان**، حسان بن محمد حسين، خبر الواحد إذا خالف عمل أهل المدينة، الطبعة الأولى (دبي: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث الإسلامي، 1421هـ-2000م)

■ **الفيروزآبادي**، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1406هـ/1986م)

■ **القرافي**، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس، شرح تنقيح الفصول في اختصار

الاستدلال بإجماع أهل المدينة مقارنة بين المشاركة والمغاربة ----- د. نور الدين صغيري

الحصول، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (القاهرة: المكتبة الأزهرية، 1973م)

■ القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس "نفائس الأصول في شرح المحصل"، أصول فقه، خط مغربي 1325هـ، دارالكتب المصرية 472، شريط مصور.

■ اللكنوي، أبو الحسنات محمد بن عبد الحي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، (تصوير: بيروت، دار المعرفة، تاريخ النشر "بدون")

■ مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (مصر: دار إحياء الكتب العربية، تاريخ النشر "بدون")

■ محمد أبو زهرة، الشافعي - حياته وعصره، وفقهه -، الطبعة الثانية (مصر: دار الفكر العربي، 1978م)

■ محمد أبو زهرة، مالك، حياته وعصره، آراؤه وفقهه، الطبعة الثانية (مصر: دار الفكر العربي، 1978م)

■ مخلوف، محمد محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، الطبعة "بدون" (تصوير بيروت: دار الفكر، تاريخ النشر "بدون")

■ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، تاريخ النشر: "بدون")

■ المشاط حسن بن محمد، الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة، الطبعة الأولى، تحقيق شيخنا: د. عبد الوهاب أبو سليمان، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1406هـ/1986م)

■ الفسوي، أو البسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان، المعرفة والتاريخ، الطبعة الثانية، تحقيق أكرم ضياء العمري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1400هـ/1981م)

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه
ومظاهر وسطية الإسلام فيه
- دراسة مقاصدية في ضوء الكتاب والسنة -

أ.د. نصر سلمان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

ملخص:

يهدف هذا الموضوع إلى إبراز نقطتين رئيسيتين تتمثل أولاهما في إبراز وسائل وطرق الكسب المشروع والمتمثلة في العمل، وإحياء الأرض الموات، والبيع، والميراث، والدية، والزكاة، والغنمة، والفبيء، والضريبة، وأضراب ذلك، وثانيهما في بيان وسطية الإسلام في تشريعه لهذه الطرق، وهي قطب الرحى في عرض هذا الموضوع المهم في واقع الناس المعيش.

Abstract :

The subject of this article that concerns ways of gaining money and Islam's middle opinion about it, has two points that should be mentioned. first : ways of gaining money legally such as : work ; agriculture , selling , heritage ... , second : how Islam's dealt with these ways of gaining and its middle opinion ; this research comes from the need and the right of people to know about this interesting subject.

مقدمة:

لقد حثت الشريعة الإسلامية على اتباع الحلال في كسب المال، ونهت عن كل الطرق غير المشروعة في تحصيله لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ المائدة: ٨٨، ولقوله ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٢) البقرة: ١٧٢.

ولقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» وَقَالَ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ» ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبَّ يَا رَبَّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَحَابُ لِذَلِكَ»¹.

من خلال ما سبق تبين لنا أن الطرق المشروعة لكسب المال كثيرة للغاية نحاول التطرق إليها من خلال المطلبين الآتيين:

¹ — الجامع الصحيح: مسلم، ط: سنة 1374هـ/1954م، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان. كتاب: الزكاة، باب: "قبول الصدقة من الكسب الطيب"، حديث رقم: 1686، 703/2.

المطلب الأول

طرق الكسب المشروع على المستوى الفردي

وهي متعددة ومتنوعة نحاول تناولها من خلال الفروع الأربعة الآتية:

الفرع الأول: العمل: وسنتناوله من خلال الآتي:

أولا — مكانة العمل في الإسلام:

لقد حث الإسلام على العمل في مواطن عديدة من نصوص الكتاب والسنة؛

منها قوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ

عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ التوبة: ١٠٥، وقوله ﷺ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ»¹.

كما جاء في الحديث القدسيّ فيما يرويه رسول الله ﷺ عن ربه: «ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصَمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ رَجُلٌ أَعْطَىٰ بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَىٰ مِنْهُ، وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ»².

¹ — الجامع الصحيح: البخاري، ط: سنة 1407 هـ / 1987 م، دار ابن كثير، بيروت، لبنان
كتاب: البيوع، باب: "كسب الرجل وعمله بيده"، حديث رقم: 730/2، 1930.

² — الجامع الصحيح: البخاري، كتاب: البيوع، باب: "إثم من منع أجر الأجير"، حديث رقم: 2075، 792/2، السنن: ابن ماجه، كتاب: الأحكام، باب: "أجر الأجراء"، رقم الحديث: 2433، 816/2؛ بلفظ: «ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصَمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ كُنْتُ خَصَمُهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..... وَلَمْ يُؤْفِهِ أَجْرَهُ».

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

وفي المقابل على العامل واجباتٌ تتمثل في الإخلاص في أداء عمله وإتقانه.

ثانياً — مظاهر الوسطية في تشريع العمل في الإسلام:

إن نظرة سريعة في تشريع العمل باعتباره طريقاً من طرق الكسب في الإسلام تستشف من خلالها وسطية الإسلام، وذلك لكون الناس ليسوا على مستوى واحد من المعيشة، ومن امتلاك بعض الأدوات، واكتسابهم للمهارات والخبرات، فيحتاجون إلى خدمة بعضهم البعض فسرعت العقود الواردة على العمل كالزراعة، والمساقاة والإجارة والقراض وغيرها لما في ذلك من رفع الحرج عن الناس والتيسير عليهم في حياتهم، إذ الفقير محتاج إلى مال الغني، والغني محتاج إلى عمل الفقير، ومراعاة حاجة الناس أصل في شرع العقود، فيشرع على وجه ترتفع به الحاجة ويكون موافقاً لأصل الشرع¹.

وهذه هي قمة الوسطية التي تراعى فيها مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، فنجد مثلاً كثيراً من الناس تؤول إليهم ملكية بعض البساتين أو المصانع، وذلك عن طريق الهبة، أو الميراث ولا يتيسر لهم القيام على استثمارها، وكذلك كثير من الناس قد لا تتيسر لهم أسباب ودواعي الملكية، وهم من الخبراء بخدمة الأرض، وشؤون الزراعة، والصناعة والاستثمار، إذ من الوسطية والحكمة، والمصلحة تسهيل الاتفاق بينهما على ما يصلح الشجر، وينضج الثمر، وينمي الإنتاج، ويوفر الأرباح²

¹ — الموسوعة الفقهية لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، ط: 2 / 1410 هـ / 1990م 254/1.

² — الفقه الإسلامي: محمد فوزي فيض الله، ط: دار الفكر، بيروت 440.

الفرع الثاني: إحياء الأرض الموات وإقطاعها:

أولا — إحياء الأرض الموات: الأرض الموات: هي الأرض التي لا مالك لها ولا عمارة فيها¹.

وقد وجّه الإسلام أنظار أتباعه إلى إحيائها لتُدرّ عليهم، وعلى مجتمعهم من خيرات إنتاجها ولتشجيعهم على ذلك؛ كافأ من يُحيي أرضا بامتلاكها بعد استصلاحها لقوله ﷺ: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ، وَيُرْوَى عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ فِي غَيْرِ حَقِّ مُسْلِمٍ، وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ فِيهِ حَقٌّ»². هذا مع التنبيه هنا إلى أنّ الأرض المقصودة بالإحياء هي التي لا تكون ملكا لشخص أو هيئة ولا تمتدّ إليها يدُ الدولة لبعدها عن المناطق الآهلة بالسكان، وأن لا يتم احتجازها وتركها مهملة لثلاث سنوات فما فوق، فإن لم تُستغلّ جاز للحاكم استرجاعها؛ لقول عمر رضي الله عنه: «من أحيا أرضا ميتة فهي له وليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنين»^{3 4}.

والخلاصة أنّ إحياء الأرض الموات يُعتبر طريقا لكسب المال، وتحصيل الثروة، وامتلاك الأرض وذلك تشجيعا لليد العاملة على الاكتساب، ووجود حلول نفيسة للقضاء على البطالة.

¹ — القوانين الفقهية: ابن جزئي ط: 1344 هـ/1926 م، تونس، 367.

² — الجامع الصحيح: البخاري، كتاب المزارعة، باب: "من أحيا أرضا مواتا"، 823/2.

³ — الخراج: أبو يوسف دار المعرفة بيروت لبنان 65 .

⁴ — المجتمع الإسلامي وفلسفته المالية والاقتصادية: محمد الصادق عفيفي د ط: سنة 1980، 239 —

ثانياً — إقطاع الأرض:

كما أعطت الشريعة الإسلامية للحاكم المسلم صلاحيات عديدة منها إقطاعه أجزاء من الأرض لبعض رعايا الدولة الإسلامية إذا رأى في ذلك مصلحة ما، وقد سنَّ رسول الله ﷺ ذلك، فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «أَقْطَعَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَرْضَ كَذَا وَكَذَا، فَذَهَبَ الزُّبَيْرُ إِلَى آلِ عُمَرَ، فَاشْتَرَى نَصِيبَهُ مِنْهُمْ، فَأَتَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَقَالَ إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْطَعَهُ وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَرْضَ كَذَا وَكَذَا وَإِنِّي اشْتَرَيْتُ نَصِيبَ آلِ عُمَرَ، فَقَالَ عُثْمَانُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ جَائِزُ الشَّهَادَةِ لَهُ وَعَلَيْهِ»¹.

كما أقطع رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر بن الخطاب أرضاً من المدينة، وأقطع علقمة بن وائل أرضاً بحضرموت، وأقطع بلال بن الحارث المزني معادن القيلة جلسيتها وغوريها^{2 3}.

¹ — المسند: أحمد بن حنبل، ط: دار الجيل للطباعة. الفجالة. مصر. وط: مؤسسة قرطبة، مصر. مسند العشرة المبشرين بالجنة، حديث عبد الرحمن بن عوف الزهري، حديث رقم: 1690، 192/1، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على هذا الحديث: " رجاله ثقات، رجال الشيخين، غير حماد بن سلمة فهو من رجال مسلم، إلا أن في سماع عروة من عبد الرحمن بن عوف وقفة". المسند 192/1.

² — الجلس: كل مُرتفع من الأرض، وهي عكس الغور، النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير ط المكتبة الإسلامية 1 / 234 .

³ — السنن: أبو داود، ، دار الفكر. بيروت. لبنان كتاب: الخراج والإمارة والفیء، باب: "في إقطاع الأرضين"، حديث رقم: 2662، 173/3، والسنن: الترمذي، دار إحياء التراث العربي. بيروت،

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

ثالثاً — مظاهر الوسطية في إحياء الأرض الموات وإقطاعها:

قال أبو يوسف القاضي: «لقد جاءت الآثار بأنّ النبي ﷺ أقطع أقواماً وأنّ الخلفاء من بعده أقطعوا، ورأى رسول الله الصّلاح فيما فعل من ذلك، إذ كان فيه تأليفٌ على الإسلام، وعمارة الأرض، وكذلك الخلفاء إنّما أقطعوا من رأوا أن له غناء في الإسلام، ونكاية للعدوّ، ورأوا أنّ الأفضل ما فعلوا ولولا ذلك لم يأتوه، ولم يقطعوا حقّ مسلم، ولا معاهد»¹.

كما تتجلى في تشريع إقطاع الأراضي وإحيائها وسطية الإسلام وذلك بتشجيعه على إحيائها ومنحها لمن يستصلحها لتعود بالخير الوفير والنفع العميم عليه، وعلى أبناء مجتمعه وأمته.

وفي المقابل فإنّ للحاكم نزاع ملكية الأرض المقطعة، أو جزءاً منها إذا عطّلها من أقطع له أو لم يقدر على استصلاحها كلّها، وذلك لصنيع عمر بن الخطّاب رضي الله عنه مع بلال بن الحارث².

كتاب: الأحكام عن رسول الله، باب: "ما جاء في القطن"، حديث رقم: 1302، 665/3، وقال عقبه: هذا حديث حسن.

¹ — الخراج: أبو يوسف، 74.

² — السنن الكبرى: البيهقي، ط: سنة 1414هـ/1994م، مكتبة الباز، مكة المكرمة، كتاب: إحياء الموات، باب: "من أقطع قطعة أو تاجر أرضاً ثم لم يعمرها"، حديث رقم: 11050، 149/6، والمستدرک: الحاكم، ط: سنة 1411هـ/1990م مراجعة: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

من خلال ما سبق يتّضح أنّ الإقطاع مصدرٌ من مصادر الكسب التي تعود بالتّفع على المقطّع له، وعلى المجتمع، وذلك بتوفير ما يحتاج إليه من طعام وغذاء عن طريق استصلاح أراض جرداء، وتحويلها إلى جنة فيحاء، مع نزعها من أيدي معطليها، ومنحها لمن يستصلحها فما أحمله من تشريع، وما أروعه من فقه.

الفرع الثالث: البيع:

وستتناوله من خلال الآتي:

أولا — تعريف البيع:

أ — لغة: البيع من أَلْفَضَ الأضداد، إذ يُطلق على البيع والشراء، تقول: ابتاع الشيء: أي اشتراه، وأباعه: عرّضه للبيع، والبيع أيضا: هو مقابلة شيء بشيء، والمعنى مقابلة السلعة بالثمن¹.

ب — اصطلاحا: «نقل الملك بعوض»².

ثانيا — حكم البيع ومشروعيته:

إنّ الحكم العام للبيع هو الإباحة. قال ابن عبد السلام: «وكما أن حقيقة معلومة لكل الناس فحكمه من الإباحة معلوم من الدين بالضرورة، فلا استدلال المذكور

العلمية بيروت كتاب الزكاة، 561/1، وقال الذهبي معلقا على هذه الرواية: "قد احتج البخاري بنعيم بن حماد، ومسلم بالدرأوردی، وهذا حديث صحيح ولم يخرجاه". التلخيص: الذهبي 561/1.

¹ — معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ط: 1399هـ / 1979م. دار الفكر. مادة: بيع 327/1، والقاموس المحيط: الفيروزآبادي، دار الكتاب العربي. مادة باعه، 8/3.

² — الثمر الداني، للآبي مكتبة رحاب. الجزائر. 495.

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

على ذلك في الكتب والمجالس إنما هو على طريق التبرّك، بذكر الآيات، والأحاديث مع تمرين الطلبة على الاستدلال»¹.

هذا هو الحكم العام للبيع، وقد تعتريه الأحكام الشرعية الخمسة، وذلك حسب الحالات والملابس التي يتم فيها².

وهو مشروع لقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ البقرة: ٢٧٥.

ولما رواه رفاع بن رافع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أيّ الكسب أطيب؟ قال: عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور³.

ثالثاً — مظاهر الوسطية في تشريع البيع:

قال الخطّاب (رحمه الله): «وحكمة مشروعيته الرّفق بالعباد، والتّعاون على حصول المعاش»⁴.

¹ — شرح زروق للرّسالة: زروق، ط: 4102هـ / 1982م. دار الفكر. بيروت لبنان. 102/2، ومواهب الجليل: الخطّاب، 227/4.

² — الفواكه الدواني: النفراوي، ط: دار الفكر. لبنان 78/2، ومواهب الجليل: الخطّاب، ط 3: 1412 هـ/ 1992 م. دار الفكر 227/4، وشرح الزرقاني لمختصر خليل، . دار الفكر. بيروت 2/5.

³ — السنن الكبرى: البيهقي، باب: إباحة التجارة، وعلق عليه بقوله: "هكذا رواه شريك بن عبد الله، وغلط فيه في موضعين، أحدهما في قوله جُميع بن عُميّر، وإنما هو سعيد بن عمير، والآخر في وصله"، 263/5 .

⁴ — ومواهب الجليل: الخطّاب، 227/4.

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

كما أنّ المتأمل لماهية البيع في الإسلام يستشف من خلالها وسطيته في الكسب لأنه حينما حرّم طرق الكسب غير المشروع كالسرقة والخيانة وما شابههما أعطى بدائل لذلك تتمثل في طرق الكسب الحلال، والتي يأتي في مقدمتها البيع والشراء وهذا تشجيعاً على استقرار المجتمع، وازدهاره، وقضاء على السرقة، والخصومات، والمنازعات بين الناس.

وقد ورد في شرح الزرقاني لمختصر الشيخ خليل: «وحكمة مشروعية البيع التوصل إلى ما في يد الغير على وجه الرضا، وذلك مُفض إلى عدم المنازعة، والمقاتلة، والسرقة، والخيانة، والحيل المكروهة»¹.

الفرع الرابع: الكسب الناشئ عن الإرث والدية:

وستتناوله من خلال الآتي:

البند الأول: الميراث:

وستتطرق له من خلال الآتي:

أولاً — تعريفه:

أ — لغة: إنّ مادة وراث في اللغة العربيّة تُطلق على البقاء؛ إذ تقول: الوارث؛ أي الباقي، وتسمّى بذلك لبقائه بعد مورثه، كما تُطلق على ما يبقى من أموال الميت بعده.²

¹ — شرح الزرقاني على خليل: الزرقاني، 2/5.

² — لسان العرب: ابن منظور، دار المعارف مادة أرث 2 / 111 .

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

كما تُطلق وراث ومشتقاتها على الانتقال، إذ تنتقل أموال الميت إلى ورثته، أو شطر منها لمن أوصى لهم، أو إلى بيت المال إن لم يكن له وارث، وهذا بعد وفاته، ويُعتبر هذا الانتقال حسبيًا، كما أنّ هناك انتقالًا معنويًا كورثة العلم، أي انتقاله؛ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «العلماء ورثة الأنبياء»¹.

ب - اصطلاحاً: لقد عرف الميراث بتعاريف عديدة تصب جميعها في مصب واحد منها:

"استحقاق الإنسان شيئاً بعد موت مالكه بسبب مخصوص وشروط مخصوصة".

ثانياً - مظاهر الوسطية في تشريع الميراث:

إنّ الميراث مظهر من مظاهر الكسب المشروع الذي يخلف فيه الوارث مورثه في تركته، ويحلّ محلّه في التصرف في التّصيب الذي حدّده له الشرع سواء أكان ذلك بالفرض، أم بالتّعصيب.

هذا وإن التأمّل لتشريع الميراث يلمس وسطية الإسلام فيه، إذ لم يحرم المرأة من الميراث، بل كرمها وأعطاهها جزءاً منه، وفي المقابل أعطاهها نصف نصيب الوارث المتحد معها في الدرجة لقوله تعالى:

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِمَتُ لَحَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ...﴾ النساء: ١١

¹ — السنن: أبو داود، كتاب: العلم، باب: "الحث على طلب العلم"، حديث رقم: 3157، 317/3، والسنن: الترمذي كتاب: العلم عن رسول الله، باب: "ما جاء في فضل الفقه على العبادة"، حديث رقم: 2606، 48/5، والصحيح: ابن حبان، كتاب: العلم، باب: "ذكر وصف العلماء الذين لهم الفضل الذين ذكرنا قبل"، حديث رقم: 88، 289/1.

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

مراعاة منه لكثرة التزاماته المادية بالمقارنة مع التزامات المرأة فهي تأخذ نصيبها غالباً لتدخره أو تنفق على نفسها خلافاً للرجل المطالب بالإتفاق على أبنائه وزوجته، والمطالب بدفع المهر للمرأة التي يتزوجها وهلم جرى من النفقات الكثيرة اللصيقة بعائقه فكان من العدل والوسطية أخذه ضعف ما تأخذه المرأة.

البند الثاني: الدية:

وستتناولها من خلال ما يأتي:

أولاً — تعريفها:

أ — لغة: الدية بالكسر: حقّ القتل في العوض؛ وهي واحدة الديّات، تقول: وديت القتل، أديه دية أعطيت ديته، واتديت؛ أخذت ديته¹.

ب — اصطلاحاً: هي ما يُعطى عوضاً عن دم القتل إلى وليه².

ثانياً — موجباتها:

1- **القتل العمد:** إنّ القتل العمد يوجب أحد أمور أربعة؛ وهي: الإثم، والحرمان من الميراث، وهذا باتّفاق الفقهاء، والقَوْد أو الدية المغلّظة إن عفا أولياء الدم، أو بعضُهم عن القاتل؛ وذلك لكون النفس لا تتجزأ.

¹ - المصباح المنير: الفيومي، دار القلم. بيروت. لبنان.

مادة: ودى 900/2، والقاموس المحيط: الفيروزأبادي، مادة: ودى 399/4.

² - الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، . ط 2. دار الكتاب العربي. بيروت . 315/5.

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

2 - القتل شبه العمد: إن القتل شبه العمد يوجب الإثم لتعمد الضرب، والكفارة والدية المغلظة وهي مائة من الإبل؛ منها أربعون في بطونها أولادها.

3 - القتل الخطأ: مما لا شك فيه أن للقتل الخطأ أثرين بارزين هما: الدية المخففة، والكفارة.¹

ثالثا — مظاهر الوسطية في تشريع الدية:

إن المتأمل لتشريع الدية في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٢﴾ النساء: ٩٢، يتلمس سماحة الإسلام ووسطيته، إذ من غير المعقول قتل القاتل خطأ وفي المقابل لا يهدر دم المقتول فتعطى الدية تطبيقاً لخاطر أولياء القتيل، كما تكون زاجراً ودافعاً للناس على التوقي وأخذ الحيطة والحذر، فيقل بذلك قتل الخطأ في أوساط المجتمع، وفي حالة عفو أولياء الدم عن القاتل في العمد فإنه أيضاً ليس من المعقول إهدار دمه فتحل الدية المغلظة محل ذلك.

¹ - تراجع أقسام القتل المختلفة في الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 313/5، و 329 — 331.

المطلب الثاني: طرق الكسب المشروع على مستوى الدولة (الموارد المالية للدولة):

وستتناوله من خلال الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: طرق الكسب الأساسية لأموال الدولة:

وهي كثيرة ومتنوعة نحاول تناولها من خلال الآتي:

أولاً — الزكاة:

وستتناولها من خلال الآتي:

1 — تعريفها:

أ — لغة: هي الزيادة والثماء، تقول: زكى الزرع، يزكو، زكاة، أي: نما، كما تطلق على الطهارة والمدح¹ وذلك لأنّ المزكى يطهر بها نفسه من أدران الشحّ والبخل، وهو ممدوح عند الله وعند الناس.

ب — اصطلاحاً: هي: «اسم جزء من المال شرطه لمستحقّيه بلوغ المال نصاباً»².

¹ — مختار الصحاح: الرازي، ط: 1401 هـ/1981 م. دار الفكر. بيروت. لبنان. مادة: زكا 236—237.

² — مواهب الجليل: الخطاب، 1/80.

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

2 — حكم الزكاة: الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة، وهي مفروضة بقوله

تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ الزمل: ٢٠، وقوله ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ... وَإِتْيَاءِ الزَّكَاةِ»¹، وقوله في حديث أبي هريرة ﷺ: «أَنَّ أَعْرَابِيَا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: ذُلِّي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قَالَ ﷺ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ. قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا، فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»²، هذا فضلا عن إجماع الأمة على ذلك.

— مظاهر الوسطية في تشريع الزكاة:

مما سبق بيانه تتضح وسطية الإسلام في تشريعه للزكاة وذلك بمراعاته لجواني الأغنياء والفقراء، فلم يثقل كواهل الأغنياء بإخراج مقدار كبير من أموالهم إذ ربع العشر في زكاة النقيدين والتجارة، أو العشر أو نصف العشر في زكاة الزروع والثمار، أو إخراج شاة، من أربعين إلى مائة وعشرين في الغنم..... إلخ. كلها تعدّ مقادير زهيدة تقتطع من ثروات الأغنياء، ولا يكون لها تأثير مقابل ما يبقى لهم من أموال، وفي المقابل

¹ — الجامع الصحيح: البخاري، كتاب: الإيمان، باب: "بني الإسلام على خمس"، حديث رقم: 7، 11/1، الجامع الصحيح: مسلم، كتاب: الإيمان، باب: "بيان أركان الإسلام، ودعائمه العظام، حديث رقم: 21، 45/1.

² — الجامع الصحيح: البخاري، كتاب: الزكاة، باب: "وجوب الزكاة"، حديث رقم: 1310،

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

راعى جانب الفقير الذي يتضور جوعا مفترشا الأرض وملتحفا بالسماء فإن هذا المقدار الزهيد الذي يخرج به كل غني تسد به جوعة الفقير والمسكين والأرملة واليتيم فتسود في المجتمع روح المودة والأخوة، وتزول الأحقاد والضغائن من نفوس الفقراء تجاه الأغنياء، ويعم بذلك والصفاء والنقاء في ربوع المجتمع الإسلامي السعيد .

ثانياً — الغنيمة:

1 — تعريفها:

أ — لغة: الغنيمة من الغنم وهو الفوز بالشيء، ونيله من غير مشقة¹.

ب — اصطلاحاً: هي اسم للمال الذي يظفر به المسلمون من الكفار بالقتال، ويأخذونه عنوة وقهراً² أو هي اسم للمال المأخوذ من الكفار بالقهر والغلبة³.

2 — حكمها: الغنيمة مشروعة؛ وهي إحدى موارد بيت مال المسلمين؛ لقوله

تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفَاقُحِ وَالْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنفال: ٤١).

¹ — لسان العرب: ابن منظور، مادة: غنم، 2307/5، والمفردات: الراغب الأصفهاني، 366.

² — السياسة الشرعية: ابن تيمية، ط: 1988، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. 32 وما بعدها.

³ — الأحكام السلطانية: الماوردي، ط: 1: المكتب الإسلامي 121.

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

ولقوله ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي؛ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَعَانِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»¹.

3 — مظاهر الوسطية في تشريع الغنيمة:

مما سبق يتّضح أنّ خمس الغنيمة يُعدّ موردا من موارد بيت المال، وطريقا من طرق اكتسابه المدعّم لخزينة الدولة الإسلامية، هذا وإن المتأمل لأحكام تقسيم الغنائم تتجلى له وسطية الإسلام في تشريعاته، إذ لم يقصر تحصيلها على أفراد الجيش الذين حضروا الوقعة، وإنما جعل منها قسما يقدر بالخمس يصرفه الإمام في مصالح المسلمين، ثم تقسم الأربعة أخماس على من حضر الوقعة .

ومن وسطيته أيضا أنه لم يجعل الغنيمة هدفا بحدّ ذاته، وإنما هي هدف عارض؛ إذ الهدف الأساس هو حماية الدولة الإسلامية، وإرساء دعائمها وهيبتها، وذلك بالجهاد الذي يكسر شوكة المعتدين ويضعف قوة الظالمين، إذ لم يبعث رسول الله ﷺ جابيا، وإنما بعث هاديا.

¹ — الجامع الصحيح: البخاري، كتاب: التيمم، باب: "قول الله تعالى: "فَلَمْ يَحْدُوا مَاءً"، حديث

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

ثالثاً — الفيء:

1 — تعريفه:

أ — لغة: الفيء من فاء أي: رجع؛ يقال: أفاء الله علينا مال الكفار بالمدّ يفيء إفاءة¹ أي: أرجعه وردّه إلى المسلمين.

ب — اصطلاحاً: هو الراجع إلى المسلمين من مال الكفار من غير أن يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، كالذي تركوه فزعا من المسلمين وهربوا².

2 — حكمه: الفيء مشروع بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا

أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى

وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴿الحشر: ٦ - ٧﴾.

¹ — مختار الصحاح: الرازي، مادة: فياً 428.

² — المغني: ابن قدامة ط: 1403 هـ/1983 م. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. 7 / 297 .

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

ولما رواه سيدنا عمر رضي الله عنه أنه قال: «كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِمَّا لَمْ يُوجِفِ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ، فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً سَنَّتِهِ ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السَّلَاحِ وَالْكَرَاعِ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ»¹، ولصنيع رسول الله ﷺ مع أهل فذك؛ إذ لما بلغهم أنّ أهل خير سألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويحقن دماءهم، ويخلو بينهم وبين أموالهم، بعثوا إلى رسول الله ﷺ، وصالحوه على التّصف من فذك، فصالحهم عليه السّلام على ذلك².

والخلاصة أنّ الفيء يشمل كلّ ما تحصّل عليه المسلمون دون قتال كعشور التجارة، والجزية والخراج، وهو دون شكّ مصدر من مصادر كسب المال، وطريق من طرق تحصيله، ومورد دوريّ لبيت مال المسلمين يُصرف في مخصّصات رسول الله ﷺ، وأهل بيته يوم كان حيّاً، ويصرف أيضاً في مرتّبات أمراء المؤمنين، والعمال، والجند، والفقراء والمساكين، والمصالح العامّة للأمة³.

¹ — الجامع الصحيح: البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: "الجن ومن يتربص صاحبه"، حديث رقم: 2679، 512/1.

² — الجامع الصحيح: البخاري، 4/116.

³ — مبادئ المالية العامة في الشريعة الإسلامية — دراسة مقارنة في النفقات العامة —: عبد الجليل هويدي، دار الفكر العربي القاهرة، مصر. 109.

3 — مظاهر الوسطية في تشريع الفيء:

إن الناظر لأحكام الفيء بأقسامه العديدة يتلمس الوسطية في تشريعاته، إذ من الوسطية أن تشرع العشور، لأن مبدأ المعاملة بالمثل يقتضي تشريعه، إذ أهل الحرب هم الذين سبقوا لذلك بفرضهم العشر على تجار المسلمين إذا دخلوا أرضهم، فكان من العدل والوسطية أن يعاملوا بمثل طريقتهم، كما أنه من الوسطية أن تفرض الجزية على أهل الذمة مقابل حمايتهم والدفاع عنهم انطلاقاً من مبدأ الغرم بالغنم، كما تتجلى وسطية الإسلام في الخراج، إذ يقسم ما يحصل عليه المقاتلون من أموال منقولة، ولا تقسم العقارات والأهوار والأرضين وإنما تترك لعمّالها ويفرض عليها الخراج ليكون ذلك في أعطيات جميع المسلمين، ولولا هذه الوسطية لقسمت الأراضي على الفاتحين، ولم يبق شيء لمن يأتي بعدهم من المسلمين، فما أحسنها من وسطية وما أجمله من تشريع يفكر في أجيال المسلمين القادمة عبر العصور والأزمان.

الفرع الثاني: طرق الكسب الثانوية على مستوى الدولة:

وهي متعدّدة نحاول التّطرق إليها من خلال البندين الآتيين:

البند الأول: الأموال التي لا مالك لها:

1 — حكم المال الذي لا مالك له:

قال الماوردي: «أَنَّ كُلَّ مَالٍ اسْتَحَقَّهُ الْمُسْلِمُونَ، وَلَمْ يَتَّعِنَ مَالِكُهُ مِنْهُمْ فَهُوَ مِنْ حُقُوقِ بَيْتِ الْمَالِ، فَإِذَا قُبِضَ صَارَ بِالْقَبْضِ مُضَافًا إِلَى حُقُوقِ بَيْتِ الْمَالِ؛ سَوَاءٌ أُدْخِلَ إِلَى جِرْزِهِ، أَوْ لَمْ يُدْخَلْ؛ لِأَنَّ بَيْتَ الْمَالِ عِبَارَةٌ عَنِ الْجِهَةِ لَا عَنِ الْمَكَانِ»¹.

ويندرج ضمن ذلك تركة من لا وارث له²، إذ يعتبر بيت مال المسلمين أحد الورثة، وهو مستحق للمال الميت الذي لا وارث له كما يستحقه أقارب الميت لو كانوا موجودين، ولكون ما يودع فيه ميراثاً، فلا يُعطى منه القاتل شيئاً، وممن قال بذلك؛ زيد بن ثابت من الصحابة، ومن أئمة المذاهب مالك والشافعي.

كما يدخل ضمن الأموال التي لا مالك لها: الأوقاف التي لا ناظر لها³،

¹ — الأحكام السلطانية: الماوردي، 213 .

² — أحكام الموارث في الفقه الإسلامي: نصر سلمان وسعاد سطحي، ط: 1: 1428 هـ / 2007 دار الفجر قسنطينة الجزائر. 206 — 207 .

³ — الرقابة المالية في الفقه الإسلامي: حسين راتب يوسف ريان، ط: 1: 1419 هـ / 1999 م . دار النفائس عمان الأردن .

53، والرقابة المالية في الإسلام: عوف محمود الكفراوي، ط: 2: 2006 مركز الإسكندرية للكتاب مصر 98، والنظام المالي الإسلامي — دراسة مقارنة —: عوف محمود الكفراوي، ط: 2: 2003: مؤسسة الثقافة الجامعية مصر . 203.

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

والودائع والأمانات التي لا يعرف أصحابها وغيرها¹.

2 — مظاهر الوسطية في تشريعاته المتعلقة بالأموال التي لا مالك لها:

مما سبق يتضح أن المال الذي لا مالك، ولا وارث له تؤول ملكيته لبيت مال المسلمين، وهنا تتجلى قمة وسطية الإسلام إذ بيت المال يعقل عمن لا عاقلة له من الجنّة، كما تعقل عصباته من جهة أبيه لو وجدوا، فوجب أن يكون ماله لبيت مال المسلمين عند انعدام من يستحقّه من أقاربه، وهذا هو العدل حتى يكون الغنم بالغرم.

البند الثاني — مال الغلول ومظهر الوسطية فيه:

وهو كلّ مال يكتسبه الولاة، والعمّال وموظفو الدّولة بطريق غير مشروع، سواء حصلوا عليه من أموال الدّولة، أو من أموال النّاس، فإذا عُرف صاحب المال أعيد إليه، وإن لم يعرف فهو لبيت مال المسلمين؛ لعموم قوله ﷺ: «أنا وارث من لا وارث له أعقل عنه وأرثه» فرسول الله ﷺ وجّه الخطاب هنا باعتباره وليا لأمر المسلمين، يتعامل معهم بمبدأ: "الغنم بالغرم"، فكما أنّ الدّولة الإسلاميّة تدفع الدّية عن القاتل عند عدم قدرته، وأقاربه على دفعها، فإنّها تأخذ ماله بعد موته عند انعدام من يرثه، ويقاس عليه كلّ مال لم يتملّكه أحد بطريق مشروع في وجوب ردّه لوليّ الأمر؛ ليضعه في بيت مال المسلمين، سواء أكان مصدره الاختلاس أو الرشوة، أو السرقة، أو هدايا النّاس للعمال، أو أخذ من النّاس قهرا بقوة المنصب وسطوة السّلطان، فكلّ هذا

¹ — فقه السياسة المالية في الإسلام: معن خالد القضاة، ط: 1: 1427 هـ / 2007 م، عالم الكتب

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

وأشباهه يعدّ غلولا يجب ردّه لصاحبه، فإن لم يُعرف صاحبه ردّ لبيت المال يُنفق في مصالح المسلمين¹.

وهذه هي الوسطية السمحاء القائمة على مبدأ الغنم بالغرم، فما أجملها من وسطية، وما أبدعه من تشريع من حكيم خبير

البند الثالث — الضريبة: .

لقد حثّ الإسلام أتباعه على الدفاع عن بيضة الإسلام، وحماية مصالح الدولة الإسلامية قصد استمراريتها، وبقاء هيبتها بين الأمم، ممّا يستدعي وجود أموال وفيرة تغطّي نفقات المصالح العامة فيها؛ ممّا يتطلّب فرض بعض الضرائب العادلة، وفرض الضرائب مستند في شريعتنا، فمن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ»².

¹ — فقه السياسة المالية في الإسلام: معن خالد القضاة، 99 — 100.

² — الجامع الصحيح: مسلم، كتاب: اللقطة، باب: "استحباب المؤاساة بفضول المال"، حديث رقم:

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

هذا إضافة إلى ما هو مقرر في قواعد الشرع كقاعدة: "المشقة تجلب التيسير"؛ فنقص المال مشقة توجب التيسير بأخذ المال من الأغنياء للمصلحة العامة، وقاعدة: "الحاجة تنزل منزلة الضرورة في إباحة المحظور"، فالمحظور: هو أكل أموال الناس بالباطل، والحاجة: هي الحرج والمشقة بفقد المال اللازم لاستقامة حياة الناس؛ مما يكون سببا مقنعا لاستباحة أخذ الأموال من الغير، وقاعدة: "وجوب اختيار أخف الضررين"؛ إذ الأخذ من المقتدرين ضرر، لكنه أخف من ضرر تقويض أركان الدولة بعدم قدرتها على توفير ما تدافع به أعدائها، وأخف أيضا من ضرر إبقاء المجتمع كله في حالة من الفقر والفاقة، وقاعدة: "يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام"، وهي أوضح من سابقتها على المقصود؛ فالضرر الخاص هو أخذ أموال الغير، أو بعضهم، والعام: هو حاجة المجتمع الحقيقية لمزيد من المال لتغطية نفقاته، فيتحمل الضرر الخاص دفعا للضرر العام¹.

مظاهر الوسطية في تشريع الضريبة:

من خلال ما سبق تتضح وسطية الإسلام في تشريع الضريبة، إذ الأصل أن لا يطالب بها الأغنياء في حالة كون بيت المال في مجبوحة مالية، وفي المقابل تفرض عليهم إذا خلا بيت المال من الأموال، أو لم يكن به ما يكفي لسد حاجات المصالح العامة والذب عن حياض الإسلام، ولا شك أن المصلحة العامة مقدمة عن المصلحة الفردية.

¹ — فقه السياسة المالية في الإسلام: معن خالد القضاة، 146 — 147.

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

وقال الشَّاطِبيّ: «إنّا لو قدرنا إماما مطاعا مفتقرا إلى تكثير الجنود لسدّ حاجة الثَّغُور، وحماية الملك المتَّسع الأقطار، وخلا بيت المال، وارتفعت حاجة الجند إلى مال يكفيهم، فليُلامم إذا كان عدلا أن يوظّف على الأغنياء ما يراه كافيا لهم في الحال إلى أن يظهر مالٌ في بيت المال، ثمّ إليه النَّظر في توظيف ذلك على الغلات والثَّمار وغير ذلك»¹.

مما سبق يتّضح أنّ الضَّريبة لها مستندُها الشرعيّ، وأنّها تُفرض للحفاظ على المصالح الرّئيسة للدولة ومواطنيها، وأنّها طريق لكسب المال الَّذي توظّفه الدولة للحفاظ على هيبتها واستمراريتها.

الخاتمة:

إن المتفحص لموضوع وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ومظاهر وسطية الإسلام فيه، يخلص إلى:

أولاً— اتساع دائرة الحلال في تنوع طرق تحصيل المال واكتسابه، استنادا لقاعدة: "الأصل في الأشياء الإباحة"، خلافا لما نُهي عن امتلاكه من الأموال، إذ نجد دائرته ضيقة للغاية، لا تعدو المنصوص عليه وهذه إحدى مظاهر اللطف الإلهي بعباده المحبّولين على حب المال وامتلاكه.

ثانياً— إن ملكية الإنسان للمال ملكية نيابية، إذ المالك الفعلي له هو الله عز وجل، وهو مجرد مستخلف فيه، مقيد بتعاليم مالكة الحقيقي في تحصيله واكتسابه.

ثالثاً— اتسام تشريعات الإسلام بالوسطية والاعتدال في التعامل مع المال اكتسابا وإنفاقا، وذلك بجعله إياه وسيلة لا غاية .

¹ — الاعتصام، ط: 1: 1331 هـ / 1913 م مطبعة المنار مصر . 295/2 — 296.

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

قائمة المصادر والمراجع:

- الأحكام السلطانية: **الماوردي** أبو الحسن علي بن محمد . ط: 1: المكتب الإسلامي.
- أحكام المواريث في الفقه الإسلامي: **نصر سلمان وسطحي سعاد** ط: 1: 1428هـ / 2007 دار الفجر قسنطينة الجزائر .
- الاعتصام: **الشاطبي**: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، ط: 1: 1331هـ / 1913م مطبعة المنار مصر .
- الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني: **الآبي**: صالح عبد السميع الآبي الأزهرى. مكتبة رحاب. الجزائر.
- الجامع الصحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ط: سنة 1407هـ / 1987م، دار ابن كثير ، بيروت، لبنان .
- الجامع الصحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ط: سنة 1374هـ/ 1954م، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي ، بيروت. لبنان.
- الجامع لأحكام القرآن القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري . ط 2. دار الكتاب العربي. بيروت .
- الخراج: **يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف القاضي** ط: ؟ دار المعرفة بيروت لبنان
- الرقابة المالية في الإسلام: **عوف محمود الكفراوي** ط: 2: 2006 مركز الإسكندرية للكتاب مصر
- الرقابة المالية في الفقه الإسلامي: **حسين راتب يوسف ريان**: ط: 1 1419هـ / 1999م . دار النفائس عمان الأردن .
- السنن. **الترمذي**: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة .مراجعة: أحمد محمد شاكر وآخرون . دار إحياء التراث العربي. بيروت.

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

— السنن. أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني. مراجعة: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر. بيروت. لبنان.

— السنن الكبرى. البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي . ط: سنة 1414هـ/1994م، مكتبة الباز، مكة المكرمة .

— السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، ابن تيمية: تقي الدين أحمد. ط: 1988، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

— شرح الزرقاني على مختصر خليل: الزرقاني: عبد الباقي. دار الفكر. بيروت.

— شرح زروق على متن الرسالة. زروق: أحمد بن محمد البرنسي الفاسي . ط: 4102 هـ / 1982 م. دار الفكر. بيروت لبنان.

— فقه السياسة المالية في الإسلام: معن خالد القضاة ط: 1: 1427 هـ / 2007 م، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي إربد الأردن .

— الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: التّفراوي: أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي . ط: دار الفكر. لبنان.

— القاموس المحيط الفيروز أبادي: مجد الدين. دار الكتاب العربي.

— القوانين الفقهية. ابن جزوي: أبو القاسم محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن جزوي الكلبي الغرناطي ط: 1344هـ/1926م. قام بنشره عبد الرحمن بن حمدة الزمام الشريف، ومحمد الأمين الكتي بتونس.

— لسان العرب. ابن منظور: محمد بن مكرم جمال الدين. دار المعارف.

— مبادئ المالية العامة في الشريعة الإسلامية دراسة مقارنة في النفقات العامة عبد الجليل هوبيدي دار الفكر العربي القاهرة، مصر .

— المجتمع الإسلامي وفلسفته المالية والاقتصادية: محمد الصادق عفيفي د ط: سنة 1980 .

وسائل الحصول على المال وطرق اكتسابه ----- أ.د. نصر سلمان

- مختار الصحاح. الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. ترتيب: محمود خاطر بك. ط: 1401هـ/1981م. دار الفكر. بيروت. لبنان.
- المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري: محمد بن عبد الله. ط: سنة 1411هـ/1990م مراجعة: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت.
- المسند: ابن حنبل: أحمد تحقيق أحمد محمد شاكر. ط: دار الجيل للطباعة. الفجالة. مصر. وط: مؤسسة قرطبة، مصر.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير الرافعي أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي. دار القلم. بيروت. لبنان.
- معجم مقاييس اللغة. ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون. ط: 1399هـ/1979م. دار الفكر.
- المغني. ابن قدامة: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد موفق الدين. ط: 1403هـ/1983م. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان.
- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل. الخطاب: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي. ط 3: 1412 هـ/1992 م. دار الفكر.
- الموسوعة الفقهية: إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط: 2 / 1410هـ / 1990 م .
- النظام المالي الإسلامي — دراسة مقارنة: عوف محمود الكفراوي. ط: 2: 2003: مؤسسة الثقافة الجامعية مصر .
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري . ط المكتبة الإسلامية.

حكم التجارة بالعملات الأجنبية في الأسواق العالمية

د. فكري أبو صفيت

جامعة اليرموك - الأردن

د. قاسم أبو عيد

الأكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية - الأردن

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان شرعية المتاجرة بالعملات في الأسواق المالية العالمية (فوركس)، ومدى ارتباطها بعقد الصرف في الفقه الإسلامي، كما قامت الدراسة بتحليل آلية المتاجرة بالعملات الأجنبية في الأسواق المالية العالمية، كما وضعت الدراسة مجموعة من الضوابط الشرعية تعمل على تجنب المتعاملين مخاطر المضاربة بالأسواق العالمية. كما ناقشت الدراسة الفتاوى ذات العلاقة بهدف الوصول للحكم الشرعي في المضاربة بالعملات.

ABSTRACT

Foreign Currency World Trading in Islamic View

The main aim of this study is to state the opinion of the Islamic **Shariah** in trading with foreign currencies in International Financial Markets (FOREX) and it's relation with Exchange Contract in Islamic Fiqh. The study also conducts analyses of the process of FOREX Trading in International Financial Market. In addition to that, there are several rules and regulations are suggested to help the FOREX dealers and guide them to avoid the risks of currency speculation.

المقدمة:

التداول بالنقد في عصرنا أمر لا مفر منه، وقد كثرت الفتاوى في صحة بيع النقد بالنقد، وهي بين محلل ومحرم لهذا النوع من البيع، لذا اشتدت الحاجة للمسلم أن يقف على رأي الإسلام في هذه المسألة، والتي بحثت من قبل الفقهاء بعناية بالغة، مما يدل على عظمة الإسلام في بيان الأحكام التشريعية عامة والمتعلقة بحياة الناس خاصة.

ونحن في عصر طغت فيه أسواق المال الغربية على أسواق المال الإسلامية، وفي ظل ما نعيشه من اضطراب في هذه الأسواق فيما يتعلق بتفاوت الأسعار ببيع النقد بالنقد، وجدنا لزاما علينا أن نطرح هذه المسألة بين يدي المسلمين، ليقفوا على رأي الإسلام في هذا النوع من البيع الذي يحتاجه كل مسلم في حياته اليومية، حتى يكون على بينة من أمره قبل أن يقحم نفسه فيه ويختلط عليه الأمر.

ومما دخل على ذلك حديثا ما يعرف بالمتاجرة في العملات عن طريق وسائل الاتصال المعاصرة، وكثرت الفتاوى والجدل في هذه المسألة بين مجيز ومحرم للمضاربة (Speculator) في العملات الأجنبية في الأسواق المالية العالمية، مما يضطرنا الإجابة على التساؤلات ووجهات النظر وهو اجتهاد نرجو أن يفي بالمطلوب وأن ينتفع به المسلمون، والله الهادي إلى سبل الرشاد.

مشكلة الدراسة:

لقد انفتحت الأسواق على بعضها في السنوات الأخيرة، وصار العالم كالقريّة الواحدة من خلال وسائل التقنية ومن أبرزها الإنترنت، وتبعاً لهذا أصبح الدخول إلى الأسواق المالية العالمية ميسوراً، وكان بالإمكان أن يدير الإنسان تجارته في الأسواق المالية وهو في بيته من خلال هذه التقنية.

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

إن المتاجرة بالعملات الأجنبية في الأسواق المالية العالمية تتضمن متاجرة بالعملية بيعاً وشراءً، وتحويلاً، ورهنًا، وسمسرة، وشروطاً مرافقة للعقد. أما المتاجرة فمحلها الأسهم والسندات والعملات، وأما التمويل فطرفاه: البنك أو السمسار، والعمل. وأما الرهن: فطرفاه الممول (الدائن) والمتمول (العميل). وأما السمسرة: فإن البنك، أو شركة السمسرة تكون وسيطاً في المتاجرة، إما بمباشرة المتاجرة بالنيابة عن العميل، لصالح العميل أو بتأجير الموقع الإلكتروني الخاص بالوسيط على العميل لينفذ من خلاله إلى السوق المالية، فيتاجر فيها. وأما الشروط الموافقة للعقد فأبرزها: إذا استغرقت الخسارة رأس المال تمت تصفية الحساب.

وتتمثل مشكلة الدراسة ببيان الحكم الشرعي في مسألة المتاجرة بالعملات الأجنبية في الأسواق العالمية من خلال شبكة الإنترنت، ومدى علاقتها بعقد الصرف في

الفقه الإسلامي

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. بيان مفهوم الصرف في الفقه الإسلامي.
2. بيان حكم وشروط عقد الصرف - بيع النقد بالنقد - وضوابط العمل به.
3. بيان مفهوم المتاجرة بالعملات الأجنبية.
4. بيان مفهوم البيع بالهامش.
5. تحليل آلية المتاجرة بالعملات الأجنبية من خلال شبكة الإنترنت.
6. الوصول للحكم الشرعي لعمليات المتاجرة بالعملات الأجنبية في الأسواق المالية المعاصرة.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في تحليل آلية المتاجرة بالعملات الأجنبية في الأسواق المالية العالمية وبيان الحكم الشرعي لعملية المتاجرة في العملات الأجنبية، هذا بالإضافة إلى دراسة وتحليل الفتاوى الصادرة فيها ذات العلاقة للوصول إلى الحكم الشرعي، ومدى ارتباطها بعقد الصرف في الفقه الإسلامي.

منهج الدراسة:

تتخذ الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في بيان الأحكام الشرعية المتعلقة بمسألة المتاجرة بالعملات الأجنبية في الأسواق المالية العالمية.

الدراسات السابقة:

1. عبد الله بن محمد بن حسن السعيد، المتاجرة بالهامش، رابطة العالم الإسلامي، مجمع الفقهي الإسلامي، الدورة الثامنة عشرة للمجمع الفقهي الإسلامي. احتوت الدراسة على مبحثين، الأول بين فيه الدراسة التصويرية، وغايته تصوير المعاملة وبيان ما هي عليه من جهة عملية، والحكم عليها من جهة فقهية شرعية. أما المبحث الثاني فغايته بيان حكم ما تخرج عليه، وما تتلبس به المعاملة من شروط وآداب ونحوها. وقد خرجت الدراسة بتوصيات كان أهمها أن السوق المالية الدولية يشوبها كثير من المخاطر: كالباء، والغرر، والمقامرة.

2. محمد علي القرني، تجارة الهامش، رابطة العالم الإسلامي، مجمع الفقهي الإسلامي، الدورة الثامنة عشرة للمجمع الفقهي الإسلامي. احتوت الدراسة على مفهوم تجارة الهامش، وأطراف المعاملة، وقواعد تحديد مبلغ الهامش الأساسي، والحد الائتماني والقرض المقدم للعميل، وأنواع العقود، وحكم تجارة الهامش. وقد خلص الباحث إلى

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

أن بعضاً من صور التجارة بالهامش محرمة وصور أخرى غير محرمة (جائزة) ومن الصور
الجائزة أن يجري الشراء والبيع في يوم واحد.

خطة البحث

■ المقدمة

■ مشكلة البحث

■ أهداف البحث

■ أهمية الموضوع

■ حدود البحث

■ منهج البحث

■ الدراسات السابقة

■ خطة البحث

■ **المبحث الأول:** التعريف بالصرف وأحكامه

■ **المبحث الثاني:** المتاجرة بالنقود وأحكامها وعلاقتها بعقد الصرف

■ **المبحث الثالث:** الفور كس ماهيته وآلية العمل فيه

■ **المبحث الرابع:** الضوابط الشرعية للمتاجرة بالعملات الأجنبية

■ **المبحث الخامس:** خلاصة القول في وجهات النظر في المتاجرة بالعملات

ونتائج الدراسة

■ قائمة المراجع

المبحث الأول: التعريف بالصرف وضوابطه الشرعية

❖ مفهوم الصرف لغة واصطلاحاً:

الصرف لغة: رد الشيء عن وجهه، والصرف فضل الدرهم على الدرهم والدينار على الدينار، والصرف بيع الذهب بالفضة.

والتصريف في جميع البياعات: إنفاق الدراهم، والصراف والصيرف والصيرفي من المصارفة، وهو من التصرف والجمع صيارف وصيارفة.

ويقال صرفت الدراهم بالدينانير، وبين الدرهمين صرف، أي فضل لجودة فضة أحدهما¹.

والفضل الزيادة وهذا معنى الصرف، لذلك سميت الصلاة النافلة في الحديث صرفاً: (من انتهى إلى غير أبيه لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً)، أي لا نفلاً ولا فرضاً والنفل الزيادة.

وقيل إن الصرف في الحديث بمعنى: التوبة والعدل والفدية، وذكر الكاساني وابن عابدين أن معنى الصرف في الحديث هو الفضل، وقال: روي في الحديث (من فعل كذا لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً)، فالصرف الفضل وهو النافلة والعدل الفرض. ثم يقول: احتمال تسمية هذا النوع صرفاً لمعنى الرد والنفل يقال: صرفته عن كذا إلى كذا².

¹ - ابن منظور، لسان العرب، المطبعة الإمبريالية، 1889م، ج4، ص 2434 - 2436

² - الكاساني، بدائع الصنائع، مطبعة الإمام، ج5، ص 215 - وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، 1980م، ج4، ص 636، ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، المطبعة العثمانية، ج4، ص 244.

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

الصرف اصطلاحاً: عرفه الحنفية والمالكية بقولهم "أنه اسم لبيع الأثمان المطلقة بعضها ببعض، وقالوا أيضاً هو: بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة وأحد الجنتين بالآخر¹. وسواء، كان ذلك مصوغاً أو نقداً. وعرفه الشافعية والحنابلة بأنه: بيع النقد بالنقد، أو بيع الدراهم بالذهب وعكسه².

❖ الحكم الشرعي للصرف وأدلته:

عقد الصرف نوع من أنواع البيوع، وكما قلنا هو: بيع الأثمان المطلقة بعضها ببعض، أو بيع النقد بالنقد، لذلك أجمع العلماء على جواز عقد الصرف، وأنه ينطبق على البيع من حيث الصحة والفساد.

والأصل في جواز عقد الصرف: عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض ولا تبيعوا منها غائباً بناجز"³.

وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل، ولا تبيعوا الورق

¹- الكاساني، بدائع الصنائع، ج5، ص 215. ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ج5، ص 257.

²- عبد الله بن الشيخ حسن، زاد المحتاج في شرح المنهاج، قطر، ط1، ج2، ص 47. مرعي بن يوسف الحنبلي، غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى، قطر، ط1، ج2، ص 59. منصور بن يوسف الحنبلي، كشف القناع، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ج3، ص 266. الشوكاني، نيل الأوطار، مكتبة الحلبي، 1961، ج6، ص 282.

³- مسلم، صحيح مسلم، دار إحياء التراث، كتاب المساقاة، حيث رقم 1584.

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

بالورق إلا مثلاً بمثل، ولا تبيعوا الذهب والورق أحدهما غائب والآخر ناجز، وإن استنظرك حتى يلج بيته فلا تنظره إني أخاف عليكم الرماء - أي الربا¹.

وما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً قال: (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إني أبيع الإبل بالبقيع، فأبيع بالدنانير وأخذ الدراهم وأبيع بالدراهم وأخذ الدنانير، فقال: لا بأس أن تأخذ بسعر يومها ما لم تفترقا وبينكما شيء)، رواه الخمسة وفي لفظ بعضهم: (أبيع بالدنانير وأخذ مكانها الورق، وأبيع بالورق وأخذ مكانه الدنانير)².

❖ أركان الصرف:

بما أن عقد الصرف نوع من أنواع البيوع، فركنه هو ركن البيع، وركن البيع عند الحنفية "الإيجاب والقبول"³. وعند غيرهم ثلاثة:

1. العاقد: وهو البائع والمشتري.

2. المعقود عليه: الثمن والمثمن.

3. الصبغة: الإيجاب والقبول⁴.

¹ الكاساني، بدائع الصنائع، ج5، ص 510. الشوكاني، نيل الأوطار، ج6، ص 230، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج2، ص 196. البخاري، صحيح البخاري، ج2، ص 20.

² الكاساني، بدائع الصنائع، ج5، ص 215. الشوكاني، نيل الأوطار، ج6، ص 240، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج2، ص 196.

³ الكاساني، بدائع الصنائع، ج5، ص 215.

⁴ عبد الله بن الشيخ حسن، زاد المحتاج، ج2، ص6. الكشناوي، أسهل المدارك، طبعة عيسى الحلبي، مصر، ج2، ص 220.

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

يقول الحنفية: أما ركن البيع فهو مبادلة شيء مرغوب، وذلك قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل، أما القول فهو المسمى بالإيجاب والقبول في عرف الفقهاء، وأما المبادلة بالفعل فهي التعاطي ويسمى هذا البيع بيع المروضة¹.

وعلى هذا تكون الأركان هي نفسها لعقد الصرف، سواء عند الحنفية أو الجمهور والله تعالى أعلم.

❖ الضوابط الشرعية للعمل بعقد الصرف:

اشترط العلماء لصحة عقد الصرف شروطاً لا بد من توافرها فيه ضماناً لصحة العقد، وخلاصتها:

✓ أولاً: أن يتم القبض بين المتصارفين، قبل أن يتم افتراقهما عن بعضهما البعض، وذلك خشية الوقوع في ربا النسيئة، ولقوله صلى الله عليه وسلم: (الذهب بالذهب مثلاً بمثل، يدا بيد، والفضة بالفضة مثلاً بمثل يدا بيد). وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تبيعوا منها غائباً بناجز)².

✓ ثانياً: أن يكون التصارف متماثلاً، أي إذا بيع الجنس بالجنس كفضة بفضة، أو ذهب بذهب، فلا يجوز إلا مثلاً بمثل وزناً، وإن اختلفا في الجودة والصياغة، بأن يكون أحدهما أجود من الآخر، أو أحسن صياغة لقوله صلى الله عليه وسلم: "الذهب

¹ الكاساني، بدائع الصنائع، ج5، ص 133-134. ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ج4، ص 504.

² الشوكاني، نيل الأوطار، ج5، ص 19. الكاساني، بدائع الصنائع، ج5، ص 215. ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ج4، ص 245-246. البهوتي، كشف القناع، ج3، ص 266.

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

بالذهب مثلاً يمثل. "أي يباع الذهب بالذهب مثلاً يمثل في القدر لا في الصفة، للقاعدة الشرعية" جيدها ورديثوها سواء¹.

✓ ثالثاً: ألا يكون في عقد الصرف خيار شرط: لأنه لا يجوز في عقد الصرف اشتراط الخيار لكل من المتعاقدين أو لأحدهما، لأن القبض في هذا العقد شرط، وخيار الشرط يمنع ثبوت الملك أو تمامه، والخيار يخل بالقبض المشروط، وهو القبض الذي يحصل به التعيين، فلو شرط هذا الخيار، فسد العقد، ولو أسقط صاحب الخيار خياره في المجلس، ثم افترق المتعاقدان عن تقابض ينقلب العقد إلى الجواز.

وهذا خلاف خيار الرؤية والعيب فإن كلا منهما لا يمنع ثبوت الملك في مال مبيع، فلا يمنع تمام القبض، فلو افترق العاقدان وفي الصرف خيار عيب أو رؤية جاز، إلا أنه لا يتصور في بيع النقد، وسائر الديون خيار رؤية، لأن العقد ينعقد على مثلها لا على عينها².

✓ رابعاً: أن يكون عقد الصرف حالياً عن الأجل لهما أو لأحدهما وإلا فسد الصرف. لأن قبض البدلين مستحق قبل الافتراق، والأجل يؤخر القبض فيفسد العقد³. وأشار المالكية لشروط الصرف وأنه لا بد لصحته من شرطين:

الأول: عدم النسبة وهو الفور.

الثاني: عدم التفاضل وهو اشتراط المثلية⁴.

¹ الشوكاني، نيل الأوطار، ج5، ص 19. الكاساني، بدائع الصنائع، ج5، ص 215. ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ج4، ص 245-246. البهوتي، كشف القناع، ج3، ص 266.

² الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج4، ص 638. الكاساني، بدائع الصنائع، ج5، ص 219.

³ الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج4، ص 638. الكاساني، بدائع الصنائع، ج5، ص 219.

⁴ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج3، ص 194.

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

والملاحظ أن شرطي الخيار والأجل يتفرعان عن شرط القبض، وبذلك تكون هذه هي جملة الضوابط الشرعية التي لا بد من توافرها لصحة عقد الصرف عند العلماء.

المبحث الثاني: المتاجرة بالنقود وأحكامها وعلاقتها بعقد الصرف

❖ مفهوم المتاجرة بالنقود:

يقصد بالهامش ما يضعه العميل "المستثمر" لدى البنك، أو السمسار في حساب خاص، يسمى "حساب الهامش" من مال -أوراق مالية، أو نقدية - ليتمكن من المتاجرة (الاستثمار) في السوق المالية بمثله، أو أضعافه، على وجه القرض، أو البيع الآجل.

المتاجرة بالهامش من معاملات السوق المالية الدولية، وهي تتضمن تمويلًا، ومتاجرة، ورهنا، وسمسرة، وشروطًا مرافقة للعقد. أما التمويل فطرفاه: البنك، أو السمسار، وهما (الممول). والعميل (التمول). وأما المتاجرة: فمحلها الأسهم والسندات والعملات، أما الرهن: فطرفاه الممول (الدائن) والتمول (العميل). وأما السمسرة: فإن البنك أو شركة السمسرة تكون وسيطًا في المتاجرة، إما بمباشرة المتاجرة بالنيابة عن العميل، لصالح العميل، أو بتأجير الموقع الإلكتروني الخاص بالوسيط على العميل لينفذ من خلاله إلى السوق المالية فيتاجر فيها. وأما الشروط الموافقة للعقد، فأظهرها: "شرط ألا تنزل نسبة الرهن إلى القرض عن قدر معين، فإن نزلت باع المقرض ما للعميل في حساب الهامش"¹.

¹ عبد الله السعيد، المتاجرة بالهامش، بحث مقدم للدورة الثامنة عشرة للمجمع الفقهي الإسلامي، رابطة العالم الإسلامي، ص: 3.

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

❖ أنواع المتاجرة بالهامش:

1. المتاجرة بالهامش محل العقد

تقسم المتاجرة بالهامش - باعتبار محل العقد (الاستثمار) - إلى متاجرة بالعملات، والمتاجرة بالأسهم، والمتاجرة بالمعادن النفيسة، وفيما يلي بيان ذلك:

أ) المتاجرة بالعملات على أساس الهامش:

المتاجرة بالعملات على أساس الهامش هي: "شراء العملات الدولية (دولار أمريكي، جنيه إسترليني، يورو، ين ياباني) على أساس دفع جزء من قيمتها نقداً، وأن يدفع الآخر بسلة من السمسار أو البنك الممول، والانتظار حتى يرتفع سعرها لبيعها، فيستفيد فرق السعرين". وهنا يقوم العميل بطلب العملة لا لاستخدامها في سداد دين ما أو شراء أصل ما: وإنما لأن المشتري لها يتوقع ارتفاع سعرها مستقبلاً فيبيعها محققاً لأرباح.

ب) المتاجرة بالأسهم والسندات على أساس الهامش:

المتاجرة بالأسهم والسندات على أساس الهامش هي: "شراء أسهم الشركات العالمية وسنداتها على أساس دفع جزء من قيمتها نقداً. ودفع الآخر بسلفة من السمسار أو البنك الممول، والانتظار حتى يرتفع سعرها لبيعها، فيستفيد فرق السعرين"¹.

¹ - د. علي القرة داغي، ود. عبد الستار أبو غدة، المتاجرة بالعملات، ص 5، بحث مقدم لهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية والإسلامية.

أ) المتاجرة بالمعادن النفيسة على أساس الهامش:

المتاجرة بالمعادن النفيسة على أساس الهامش هي "شراء المعادن النفيسة من ذهب وفضة وبلاطين على أساس دفع جزء من قيمتها نقداً، ودفع الآخر بسلفة من السمسار أو البنك الممول، والانتظار حتى يرتفع سعرها لبيعها، فيستفيد فرق السعرين"¹.

2. المتاجرة بالهامش (ابتدائي واستمراري):

تنقسم المتاجرة بالهامش — باعتبار مدة القرض الذي يستلفه المستثمر — إلى المتاجرة على أساس الهامش الابتدائي والمتاجرة على أساس الهامش الاستمراري، وهما على النحو التالي²:

أ) المتاجرة على أساس الهامش الابتدائي: حيث تعني المتاجرة المتعلقة بالقرض لشراء الأوراق المالية (أسهم وسندات) أو العملات في اليوم الأول فقط، وفي العادة يستخدم هذا النوع للمضاربات السريعة.

ب) المتاجرة على أساس الهامش الاستمراري: وهي التي تتعلق بالقرض لشراء الأوراق المالية أو العملات لما بعد اليوم الأول.

المبحث الثالث: الفوركس (Foreign Of Exchange Market)

❖ ماهيته وآلية العمل فيه:

يطلق مصطلح الفوركس على سوق العملات الأجنبية أو البورصة العالمية للنقود الدولية، حيث تتم العمليات فيه من خلال تبادل العملات الأساسية التي تتمثل في

¹ فتحي سليم وزياذ غزال، حكم الشرع في البورصة، دار الوضاح للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2008، عمان الأردن. ص (26-27).

² محمد عثمان شبير، المتاجرة بالهامش والأحكام المتعلقة بها في الفقه الإسلامي، بحث مقدم للمجمع الفقهي — رابطة العالم الإسلامي الدورة الثامنة عشرة، ص 19.

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

الدولار الأمريكي، واليورو، والجنيه الإسترليني، والفرنك السويسري، والين الياباني. ويعتبر الفوركس أكبر سوق مالي في العالم كما يضم ما يقارب 2 تريليون متعامل في العملات الأجنبية من حكومات، وبنوك، ومؤسسات عالمية، وصناديق والأفراد. كما وتعني كلمة "الفوركس" المضاربة في سوق العملات الأجنبية أو البورصة العالمية للنقود الأجنبية. وتتم المضاربة عن طريق شراء وبيع العملات الرئيسية التي لها الحصة الأساسية من العمليات في سوق الفوركس وهي (الدولار الأمريكي) (العملة الأساسية) واليورو والجنيه الإسترليني (الباوند) والفرنك السويسري، والعملة اليابانية (الين).

وسوق الفوركس ليست سوقا بالمعنى الحرفي للكلمة (مكان) أي بمعنى ليس لديه مركزا، فليس لديه مكانا معينا تمارس فيه عملية البيع والشراء (تبادل العملات). وإنما المتاجرة تمارس عن طريق الاتصال عبر وسائل الاتصال الحديثة مثل الهاتف والإنترنت في وقت واحد بين مئات، بل آلاف المتعاملين من المصارف المؤسسات والأفراد في جميع أنحاء العالم.

يجمع سوق الفوركس أربع أسواق إقليمية: الأسواق الاسترالية، والأسواق الآسيوية، والأسواق الأوروبية والأمريكية. وتستمر عمليات المتاجرة في الأسواق على مدار أيام العمل الأسبوعي وعلى مدار 24 ساعة في اليوم. أما الهدوء النسبي فيكون من الساعة 20:00 حتى 01:00 بتوقيت غرينتش، ويعزى ذلك إلى إغلاق بورصة نيويورك في الثامنة مساء، وبدء العمل في بورصة طوكيو في الواحدة من صباح اليوم. بالإضافة إلى سوق العملات توجد أنواع أخرى من البورصات هي: الذهب والفضة ومخزونات النفط والأسهم والسندات والزراعية والطاقة. في بورصات العملات.

خصائص سوق الصرف الأجنبي:

يمكن تلخيص الخصائص التي يتمتع بها سوق الفوركس بالخصائص الآتية¹:

1. حجم السوق: Market Size يقدر حجم التعامل بسوق الفوركس حوالي تريليونين عملية كل يوم، وعدد الشركات العاملة فيه تقدر بـ 20 ألف شركة.
2. حرية الدخول إلى السوق: Easy of Entry يتمكن أي شخص أن يدخل إلى السوق بغض النظر عن الثروة التيملكها، حيث يوفر السوق فرصة لجميع الأفراد والمؤسسات أن يدخلوا السوق بحرية تامة.
3. Profit Potential: يمكن للشخص أن يحقق ربح، فإذا كان الدولار يرتفع أو ينخفض يمكن تحقيق ربح من قبل الشخص المتعامل. فإذا كان الشخص يتوقع أن يرتفع الدولار واشترى الدولار فهنا يحقق ربحاً. وإذا كان يتوقع أن ينخفض الدولار فقام بعملية بيع فالربح يتحقق كذلك.
4. ساعات الدوام، سوق الفوركس يعمل 24 ساعة لمدة خمسة أيام ونصف، فلذلك يتمكن جميع الأفراد من القيام بعملية البيع والشراء في فترات الصباح والنهار والمساء.
5. السيولة: من المعروف أن صناديق أسواق المال لا تتمكن من فتح وإغلاق أي صفقة بالأسعار المحددة للعملات في تلك اللحظة حيث تتميز هذه الأسواق بدرجة عالية من السيولة تشكل عامل جذب للمستثمر كما أنها تعطيه حرية في فتح أو إغلاق أي صفقة مهما كان حجمها.

¹⁻ John Fageron, CTA and S. Wade Hansen, CTA, Profiting With Forex, McGraw-Hill, New York, 2006 (Page 2-3).

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

6. الزيارات: نسبة لسوق العمل في وقت قريب أنها ليست على المتاجرين في السوق الانتظار للتفاعل مع حدث معين، كما يكون الحال في سوق الأسهم والأسواق الأخرى.

7. مرونة المعاملات: يتميز نظام التداول الأسواق العالمية بالمرونة، كونه يجعل الصفقة لوقت محدد سابقا حسب رغبة المستثمر مما يمكنه من أن يخطط مسبقا نشاطاته القادمة.

8. التكلفة: ليس لسوق فوركس تقليديا أي مصروفات عمولة أو أي مصروفات أخرى عدا مصروفات -- أو أرباح -- الفرق بين العرض والطلب والأسعار (العرض / الطلب)

9. سعر قياسي: نسبة للدرجة العالية من السيولة في السوق، فإننا نجد أن الغالبية العظمى من عمليات البيع يمكن أن تنفذ بسعر موحد، الذي يتفادى مشكلة تقلب المستثمر في السوق، والتي يقابلها في المستقبل بيع الأسهم التبادلات وأسواق النقد الأخرى حيث تباع في وقت معين وبسعر محدد فقط كمية محدودة من العملة.

10. اتجاهية السوق: إن الحركة في سوق العملات، اتجاه معين يمكن أن تتبعها فترة من الزمن. وتعطي كل عملة محددة السعر يتغير مع الزمن، يعطي المستثمر إمكانية التعامل في السوق بجنكة.

11. حجم الهامش: يتحدد حجم الهامش الذي يتعامل به المستثمر بناء على الاتفاق المبرم بينه وبين البنك أو مكتب السمسرة الذي يعطيه حق الدخول للسوق ويكون عادة نسبة الهامش 1: 100 ، ومن هنا يمكن للمستثمر أن يرفع تأمين مقداره 1000 دولار ويدخل في صفقة قيمتها 100 ألف دولار. ويشكل الهامش عامل ربح بالنسبة للمستثمر ولكن يزيد مقابل ذلك من مخاطرته.

❖ أنواع المضاربة في بورصات العملات:

المضاربة على العملة ينقسم إلى عدة أنواع:

1. المضاربة الآنية: وتعرف باسم (spot) وتتحرك فيها أسعار العملات بين ثانية وأخرى، وهي تستلزم أن يكون المضارب أمام شاشات الأسعار دائماً، ويتميز هذا النوع من المضاربات بالسرعة، وأنه يمكن أن يتم إجراء عدد كبير من العمليات في اليوم الواحد ولا يمكن تحديد الربح أو الخسارة فيها.

2. المضاربة على عقود المستقبل: وهو نوع من المضاربة على العملات في المستقبل على أساس سعر متوقع في المستقبل؛ حيث أنهم يعملون وفقاً لتقنية مختلفة عن غيرها من أنواع المضاربات، وكثيراً ما تخضع لتوقعات المضاربين على أساس تتوافر لديهم بيانات ومعلومات عن حركة العملات الحالية والمستقبلية واقتصاديات الدول.

3. مضاربة المشتقات وتعرف باسم: (Options) وهو نوع يعتمد على خطط معينة لدخول السوق والخروج منها، وفيه يتم تحديد نسبة الخسارة التي يمكن تحملها قبل بدء المضاربة، وأهم سمة من سمات هذا النظام هو أنه يتم تجهيز الخطط والوصول إلى السوق، وحالياً تتبع شركات الاستشارات في هذا المجال الأقراص الممغنطة أو قرص لتلك الخطط، ويمكن أن تصل تكلفتها إلى 250 ألف دولار لقرص واحد مدمج، والمضاربين في هذا المجال من الشركات الكبرى في هذا النوع من المضاربات يتم الربط بين أسعار الصرف ومتغيرات أخرى مثل أسعار النفط أو أسعار الذهب أو سعر سلعة من السلع مثل القمح وغيرها.

4. المضاربة التبادلية: وهذا النوع يقتصر على أصحاب شركات التصدير والاستيراد، حيث يتم المضاربة على استقرار قيمة العملة، ويكون مصدراً للربح المستورد من إجمالي تغيير أسعار الصرف للصادرات والواردات معاً.

❖ كيفية المتاجرة بسوق الفوركس:

تبدأ المتاجرة بسوق الفوركس بفتح حساب لدى أحد البنوك المحلية، حيث يودع المستثمر فيه مبلغا من المال، الغرض منه المتاجرة بالعملات من خلال شبكة الإنترنت. ومن الثابت أن المتاجرة بالعملات الأجنبية يعتمد على الهامش، حيث يقوم المستثمر بإيداع مبلغ صغير في حسابه الذي تم فتحه في أحد البنوك المحلية. وحسب متطلبات بنك ساكسو لا بد للمستثمر في العملات الأجنبية أن يودع هامش قدره 1%. ويعني هذا أنه حتى يتم التعامل في مليون دولار أمريكي فأنت تحتاج لإيداع 10000 دولار أمريكي فقط على سبيل التأمين.

ويعني آخر ستكون قد حصلت على القدرة على التعامل في 100 ضعف لذلك وهذا يعني أنك من الممكن مثلا أن تغير 2% من القيمة المنطوي عليها اتجارك مما ينتج عنها 200% ربح أو خسارة على مبلغك المودع. أو كما ترى هذا يتطلب أسلوب منظم للتجار حيث أن فرص الربح والمخاطرة لا يستهان بها.

ويمكن توضيح ما يقوم به المستثمرون بالتجارة بالبورصات العالمية (لندن/نيويورك/هونج كونج) بشراء وبيع العملات والمعادن بنظام المارجن Margin حسب المثال الآتي¹:

1. يفتح المستثمر حساب لدى الوسيط المالي في بنك في أمريكا مثلا، حيث يودع مبلغ (10000 دولار) .

2. يقوم بشراء / بيع العملات والذهب بواقع (2000 دولار لكل صفقة) حيث يتم تقسيم المبلغ (10000) إلى 5 صفقات، ويقوم الوسيط المالي بتزويده بباقي المبلغ

¹- John Fageron, CTA and S. Wade Hansen, CTA, Profiting With Forex, McGraw-Hill, New York, 2006 (Page 2-3).

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

لكل صفقة بحيث يشارك. بمارجن (20 %) على سبيل المثال من قيمة الصفقة، والوسيط المالي يقوم بدفع الباقي، ويتم تسجيل الصفقة باسم المستثمر حسب سعر السوق المبين على شاشات تداول الأسعار بيعاً أو شراءً.

3. ينتظر المستثمر الأسعار لتصبح في صالحه ربحاً، ويقوم ببيع الصفقة / الصفقات، وتُوضع قيمة المعاملة في حسابه في البنك، ويدفع مبلغ (35 دولاراً عمولة) عند البيع عن كل عملية تم إنهاؤها للوسيط المالي بغض النظر عن كونها ربحاً أم خسرت، ولكن لا يأخذ الوسيط منه أي عمولة عند عملية الشراء .

4. لا يتحمل الوسيط المالي قيمة الخسائر الناتجة عن التعامل بحيث يتحمل المستثمر جميع ما ينتج عن ذلك والمخاطرة بقيمة المبلغ الذي قام بدفعه (2000 دولار) لكل صفقة، ويمكنه تغطية المستثمر والاستمرار في التعامل ما دام في حسابه ما يغطي قيمة الخسائر، وإذا لم يكن هناك ما يغطي الخسائر يقوم الوسيط ببيع الصفقة مباشرة إذا تجاوزت قيمة الخسائر (2000 دولار) وأخذ (35 دولاراً عمولة) أيضاً عن عملية البيع مع الملاحظة أيضاً أنه لا يأخذ شيئاً من الأرباح في حالة الربح عند البيع، ولكن يأخذ عمولته فقط¹.

5. مبلغ (10000 دولار) الذي يملكه المستثمر لا يكفي لتسديد جميع قيمة الصفقة الواحدة؛ ولكن يدخل السوق بمساعدة الوسيط المالي في مقابل عدم ربحه أو خسارته، ولكن مقابل عمولته. ويكون هو بذلك قد وفر للمستثمر فرصة التعامل في السوق عن طريقه.

¹- John Fageron, CTA and S. Wade Hansen, CTA, Profiting With Forex, McGraw-Hill, New York, 2006 (Page 43).

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

6. في حال قيام المستثمر بإجراء عملية شراء وتبييت المبلغ في البنك يتقاضى البنك فائدة لقاء عملية التبييت، أما إذا قام المستثمر بعملية بيع يقوم البنك بدفع فوائد للمستثمر لقاء عملية التبييت.

❖ تحليل العمل بالفوركس:

من الواضح أن عملية الفوركس تحتوي على عملية بيع بالهامش (المارجن) والهامش له طريقتان:

الطريقة الأولى: أن يكون هذا القرض بفائدة، وهذا لا خلاف بين العلماء على تحريمه لتضمنه شرط رد القرض بأكثر منه.

أما الطريقة الثانية فإن القرض يكون بلا فائدة؛ حيث إن البنك أو المصرف لا يأخذ زيادة على القرض، لكنه يشترط أن تتم عمليات التداول والبيع والشراء عن طريقه، وهذه الطريقة فيها شبهة وذلك لما يأتي:

1. الهدف من الحساب الذي قام المستثمر بفتحه كان لتغطية الخسارة التي قد تحدث جراء عملية التعامل، أي بمعنى أن الحساب موجود لتغطية قيمة الخسارة وليس للاستثمار، والدليل على ذلك فإن كانت قيمة الخسارة مساوية للمبلغ الموجود في الحساب أو أقل فإن الحساب يغلق.

2. إنها قرض جر منفعة فالبنك أو السمسار يقرض المضارب مبلغاً مقابل أن يأخذ نسبة متفق عليها من قيمة كل صفقة يجريها المضارب، فعن أبي بردة بن أبي موسى قال قدمت المدينة فلقيت عبد الله بن سلام فقال "إنك بأرض الربا فيها فاش" فإذا كان لك على رجل حق فاهدي إليك حمل تب أو حمل شعير أو حمل قنقلا

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

تأخذه فإنه ربا"¹. ومن الواضح من عملية القرض الذي قدم للمستثمر أنها تشكل منفعة للسمسار وللبنك الذي قدم القرض، فالمنفعة تأتي لهم بطريقة غير مباشرة من خلال ضمان استمرار عمليات المضاربة في السوق.

وللدلالة على ذلك ما روي عن سالم بن أبي الجعد قال: (جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنه فقال له: إني أقرضت رجلاً يبيع السمك عشرين درهماً فأهدى إلي سمكة قومتها ثلاثة عشرة درهماً ، فقال (ابن عباس) خذ منه سبعة دراهم)².

فالقرض الذي يجزى منفعة مادية على المقرض حرام، بل هو من الربا ذلك لأن القرض في الإسلام من عقود الإحسان والإرفاق وقد شجع الإسلام على إقراض المحتاج.

3. وحقيقة الأمر أنه جمع بين عقد تبرع (وهو القرض)، وعقد معاوضة (البيع والشراء من خلاله) وهذا سلف وبيع، وقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَحِلُّ سَلْفٌ وَبَيْعٌ وَلَا شَرْطَانِ فِي بَيْعٍ وَلَا رِبْحٌ مَا لَمْ تَضْمَنْ وَلَا بَيْعٌ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ"³.

4. فيها الربا: أي أن الربا يظهر في رسوم التبئيت وهو المبلغ الذي يدفعه المضارب للسمسار في حال لم يتصرف المضارب في الصفقة في نفس اليوم. يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ((أهون الربا كالذي ينكح أمه)) حديث صحيح.

¹ البيهقي، السنن الكبرى، كتاب البيوع، مسألة رقم 10630 باب كل قرض جر منفعة فهو ربا، دار المعرفة.

² أحمد ابن تيمية، كتاب الفتاوى الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر، الجزء 3، صفحة 244. دار الكتب العلمية، بيروت، 1402، الطبعة الأولى.

³ أبي داود، سنن أبي داود « كتاب الإجارة » باب فِي الرَّجُلِ يَبِيعُ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ.

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

ويؤكد ذلك ما ذهب إليه الدكتور محمد العصيمي في جوابه على المتاجرة بالعملات بواسطة البورصة العالمية قوله¹: المتاجرة في العملات حرام عندي للأسباب التالية:

1. فهي السلف عن جعل النقود مجالا للمضاربة ومنهم ابن تيمية وابن القيم والغزالي والمقرئزي وغيرهم.

2. العملات التي يوفرها الوسيط هي عملات مبيعة على المكشوف فليس لدى السمسار شيء منها، أو عنده بعضها وليس عنده كل المبلغ.

3. لا يتم التقابض في بيع النقود الآن، بل البيوع تتم عبر آلية مخالفة للشرع وهي تسليم الثمن والنمو بعد يومي عمل، وما يحصل من تغيير في حسابات العميل ليس القبض الشرعي، بل هو تقييد في الحساب وتحصيل المقاصة في نهاية دوام اليوم، ويحصل التسليم الفعلي بعد يومي عمل.

4. كثير من الوسطاء العاملين في البورصة يقدمون خدمة الرافعة المالية: وهي مقرض من السمسار للعميل، وعليه فأى رسم يأخذه من السمسار على القرض فهو ربا، وأى رسم يأخذه السمسار على عمليات العميل فهو من المنفعة في القرض وهما محرمان.

5. دلت التجارب على أن المتاجرة في العملات ضارة بالاقتصاد وهذه مسألة تحتاج لدراسة موسعة.

6. ودلت التجارب على أن صغار المتاجرين في العملات هم أكثر التجار عرضة للخسارة، وعليه فمن كان مستعدا للخسارة الكبيرة وهم غالبا كبار المتعاملين

¹ د. محمد العصيمي، المتاجرة في العملات بواسطة البورصة العالمية، موقع المسلم دوت نت،

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

مثل: الصناديق الاستثمارية الكبيرة جدا وغيرهم، فهذا يدخل السوق ويتحمل الخسارة إلى أمد معين ثم يربح في النهاية، أما الصغار فهم حطب نار الخسائر التي تمر على العملات.

7. هل نحن بحاجة مثلاً إلى الدخول في هذه المخاطرة وإحراق أموال المسلمين لصالح هؤلاء الغربيين الكبار في السمسرة¹.

علماً أن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر أجاز البيع الآجل للعملات بالبورصات كما أجاز الصورة المصرفية التي تتم في العمليات المعاصرة بين المؤسسات المالية المعاصرة العالمية فوراً بوسائل العصر الإلكترونية.

وقال مجمع البحوث الإسلامية رداً على استفسار عن حكم بعض صور للمعاملات المصرفية التي تتم في البورصة العالمية: "التعامل بأسعار الصرف العالمية المعلنة على الشاشات الإلكترونية للتعاقد الحال بالسعر المستقبلي بحيث يتم التقابض في التاريخ المحدد والمتفق عليه بين الطرفين جائز على اعتبار أنه لا يوجد دليل يمنع ذلك"².

كما أوضح المجمع في بيان لأحكام تلك المعاملات أقرته وأعلنته لجنة البحوث الفقهية بالجمع: "أنه لا يجوز شرعاً ما يجري في البورصة من بيع عمله بعملة أخرى مختلفة القيمة والجنسية كبيع الدولار الأمريكي باليورو الأوروبي، كما يجوز للمؤسسات المالية الكبرى التعامل بالمصارفة فيما بينها بوسائل العصر الإلكترونية برأس مال ناتج عن عمليات مصارفة معاصرة لها وعليها.

¹ - د. محمد العصيمي، المتاجرة في العملات بواسطة البورصة العالمية، موقع المسلم دوت نت،

1428هـ <http://almoslim.net/node/55996>

² - قرار مجمع الفقه الإسلامي - إسلام أون لاين ص 1.

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

كما أكد المجمع أنه لا يوجد مانع شرعي من تقاضي الأجر المتفق عليه بين الطرفين مقابل أعمال الخبرة في عمليات المصارفة وذلك باتفاق الفقهاء حيث إن الأجر مقابل العمل"¹.

وأجاز مجمع الفقه الإسلامي عمليات المصارفة المعاصرة عبر القارات بوسائل العصر الإلكترونية وبمبالغ ضخمة يتعذر حملها وعليه يتم القبض بالقيود البنكية قيد الخصم والإضافة على أساس أن تكون هذه الصورة المعاصرة للقبض قائمة مقام التسليم يدا بيد وأرجعها البعض على المواعدة في الصرف.

وهذه الفتوى صدرت بناء على بيان الحكم الشرعي في سوق المال العالمي "الفوركس" وهو نظام التجارة في العملات التي تعمل فيه نحو 20 ألف شركة.

ويشير الدكتور محمد عبد الحليم عمر في بحثه الذي تقدم به للمجمع لمناقشته في هذا الأمر إلى: أنه إذا كان الغرض من التعامل الآجل في الصرف هو التغطية والحماية فيمكن تنفيذه بشكل يتفق مع أحكام الشريعة بعيدا عن المحظورات الشرعية، وهذا الشكل يمكن تنفيذه على أساس مسألة "المواعدة على الصرف" التي ذكرها الفقهاء فرما ملخصها أن يتواعد المتبايعان على عملية صرف تتم في المستقبل، إما بسعر اليوم من أجل الاحتياط - وهو الغالب، وإما بسعر يوم التنفيذ للعملية².

¹ - قرار مجمع الفقه الإسلامي - إسلام أون لاين ص 1 ابريل 2006.

² - د. محمد عبد الحليم عمر - حكم المتاجرة بالعملات، بحث مقدم لمجمع الفقه الإسلامي، 2006
إسلام أون لاين ص 2- 4

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

علما أن مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي الدولي في دورته الحادية عشرة عام 1998، ومجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورته الثالثة عشرة سنة 1992، حرم كل ما ذكر سابقا في بيع العملات¹.

المبحث الرابع: الضوابط الشرعية للمتاجرة بالعملات الأجنبية

بناء على ما سبق يمكن بيان الضوابط الشرعية للمتاجرة في بيع العملات على النحو الآتي:

❖ **أولا:** تجوز المتاجرة في العملات شريطة مراعاة الأحكام والضوابط الشرعية

التالية:

- 1- أن يتم التقابض قبل تفرق المتعاقدين، سواء أكان القبض حقيقيا أم حكما.
- 2- أن يتم التماثل في البدلين اللذين هما من جنس واحد، ولو كان أحدهما عملة ورقية والآخر عملة معدنية، مثل الجنيه الورقي والجنيه المعدني للدولة نفسها.
- 3- ألا يشتمل العقد على خيار شرط، أو أجل لتسليم أحد البدلين أو كليهما.
- 4- ألا تكون عملية المتاجرة بالعملات بقصد الاحتكار، أو مما يترتب عليه ضرر بالأفراد أو المجتمعات.
- 5- ألا يكون التعامل بالعملات في السوق الآجلة.

❖ **ثانيا:** عدم الصرف الآجل ولو كان لتوقي انخفاض ربح العملية التي تتم بعملة يتوقع انخفاض قيمتها، سواء أكان بتبادل حوالات آجلة، أم بإبرام عقود مؤجلة لا يتحقق فيها قبض البدلين كليهما.

❖ **ثالثا:** يحق للبنك لتوقي انخفاض العملة في المستقبل اللجوء إلى ما يلي:

¹ قرار الهيئة الشرعية لبنك البلاد، رقم (18) جلسة (115) يوم الأحد 2005/3/13. الموقع

الإلكتروني لبنك البلاد <http://www.bankalbilad.com.sa/ar/Sarf.doc>

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

1. إجراء قروض متبادلة بعملات مختلفة بدون أخذ فائدة أو إعطائها، شريطة عدم الربط بين القرضين.

2. شراء بضائع أو إبرام عمليات مربحة بنفس العملة.

3. يجوز أن يتفق البنك والعميل عند الوفاء بأقساط العمليات المؤجلة (مثل المراجعة) على سدادها بعملة أخرى بسعر يوم الوفاء.

4. لا يجوز للبنك تقديم تسهيلات مالية (قروض) للعميل للمتاجرة في العملات إذا تضمنت هذه العمليات منفعة مشروطة للبنك ومن ذلك:

✓ أن يكون القرض بفائدة

✓ أن يشترط أن تكون متاجرة العميل من خلال أجهزة البنك.

✓ أن يأخذ عمولات مقابل عمليات العميل.

❖ العلاقة بين الصرف والمتاجرة بالعملات:

مما سبق يتبين لنا أن المقصود بالسؤال عن المتاجرة بالعملات ليس هو عقد الصرف المعروف في الفقه الإسلامي، وكذلك الفتاوى التي صدرت حول الموضوع وكان مقصد السائل المضاربة على العملات، والمقصود بها شراء عملة يتوقع أن يرتفع سعرها لبيعها وقت ارتفاع سعرها، أو بيع عمله يتوقع هبوط في سعرها أو مزيد في هبوط سعرها تفاديا للخسارة أو تقليلا لها.

ومن المعلوم أن من أعظم مقاصد الشريعة في البيوع حماية النقود من أن تتخذ سلعا معدة للربح، لما يترتب على ذلك من الأضرار بعموم الناس.

وعلى هذا فإن عقد الصرف، الفقهي هو تبادل العملات بعضها ببعض، فإن العقد من حاجات الناس التي لا غنى لهم عنها، ولذلك كان عقد الصرف جائزا بإجماع الفقهاء كما مر ذكره، بل إن حاجة الناس اليوم تزداد عن ذي قبل بسبب وجود

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

معاملات ضرورية ومهمة تقتضيها ظروف التعامل الاقتصادي حالياً، كاحتياجات التجارة العالمية والتعاون الاقتصادي الدولي بكل أشكاله، وهذه المعاملات لا تتم إلا بالعملات الدولية¹.

❖ وجهات النظر في فتاوى المتاجرة بالعملات:

كثرت الفتاوى ووجهات النظر في القول بمتاجرة العملات في البورصة العالمية، بين محرم ومجيز مما يجعل المسلم في حيرة من كثرة الفتاوى بين التحريم والإباحة، ولتوضيح الصورة أكثر نذكر نماذج على ذلك قبل بيان النتيجة التي يمكن التوصل إليها:

1. فتوى الدكتور محمد العصيمي برفض المتاجرة بالعملات وعلل ذلك

بأسباب كثيرة كما بينا سابقاً. وخلاصة ما قاله: "أما المضاربة بالعملات فلا أرى جوازها بل هي من الربا، وأن كثيراً من الذين يزعمون تشغيل الأموال في البورصة غير صادقين، أو مشغولون لها فيما حرم الله².

2. وهذه بعض قرارات المجمع الفقهي الإسلامي حول الصور الحلال والحرام فيها: "لا يمكن إعطاء حكم شرعي عام بشأن البورصة بل يجب بيان حكم المعاملات التي تجري فيها كل واحدة منها على حدة".

3. قرار هيئة الفتوى في الأزهر موضوع تجارة العملة والملايسات المحيطة بها من نواحيها الشرعية والاقتصادية والقانونية وتوصلت بعد الدراسة والبحث إلى³:

¹ حامد العطار، المضاربة على العملات، موقع إسلام أون لاين

<http://www.islamonline.net/livefatwa/Arabic/Browse.asp?hGuestID=ACQwCl>

² د. محمد العصيمي، المتاجرة في العملات بواسطة البورصة العالمية، موقع المسلم دوت نت،

<http://almoslim.net/node/55996> 1428هـ

³ هيئة الفتوى، المضاربة بالعملة، موقع إسلام أون لاين، ص 1، 2000

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

"الأصل أن الاتجار بالعملة مباح شرعا ولا شيء فيه بشرط أن يتم التعامل في حدود العرض والطلب المعتاد للناس وإذا تعدى التعامل هذه الحدود إلى درجة الاحتكار والاستغلال كان ضارا بالمجتمع وأصبح غير جائز شرعا" ويجوز لولي الأمر تغيير المباح بما يمنع الضرر عن المسلمين ويحقق مصلحتهم عملا بقاعدة: (لا ضرر ولا ضرار).

وعلى الأفراد الامتنال لما يحقق مصلحة الجماعة، وترى اللجنة بعد إمعان النظر في واقع الأحوال أن مشكلة انخفاض عملة بعض البلاد ترجع أساسا إلى الخلل الاقتصادي العام وإلى فرض النظام الربوي غير الإسلامي وإلى الشطط في التغيير والتسعير دون مراعاة للواقع الاقتصادي، وبناء على ذلك فإن الاتجار بالعملة إذا كان متسما بالاحتكار والاستغلال كان غير جائز شرعا.

1. ما أحاب عليه الدكتور خالد الماجد حول سؤاله عن المتاجرة في العملات وخلاصة ذلك أنه قسم حكم المتاجرة في العملات بحسب نوعها وصورة قبضها وبين ذلك من خلال أربعة أنواع للتعامل¹:

النوع الأول: التعامل الحاضر تسليم العملة المبيعة وتسلم العملة المشتراه في محل العقد وهذا يعد أقل الأنواع وقوعا وتأثيرا في سوق العملات.

النوع الثاني: التعامل العاجل حيث يتم التسليم والتسلم خلال يومين من تاريخ عقد البيع، مع مراعاة أيام العطلات حيث لا تحسب ضمن المدة، لتوقف الأسواق عن العمل.

النوع الثالث: التعامل الآجل بما يزيد على الفترة المحددة للتسلم والتسليم في التعامل العاجل، وعادة ما يكون خلال شهر أو أكثر بالسعر المتفق عليه يوم العقد.

¹ د. خالد الماجد، المتاجرة بالعملات، موقع المسلم دوت نت، فتوى رقم 6981، <http://almoslim.net/node/55927>

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

النوع الرابع: التعامل بالمقايضة، بأن يبيع عملة بأخرى حاضرا، ثم يشتري ما باعه بما اشتراه آجلا. وحقيقته أنه استغناء مؤقت عن العملة ثم رجوع إليها. وأما صور قبض العملة، فمنها المناولة بالأيدي، ومنها التحويل عبر وسائل الاتصال الحديثة (التلفون، والفاكس وغيرها)، ومنها الدفع عبر وسائل بنكية كالشيكات والاعتمادات المستندية والبطاقات الائتمانية. وبعد بيانه للأصناف الأربعة أجاز العمل في المتاجرة بالعملات وقيد ذلك بشرطين¹:

الشرط الأول:

أن يكون نوع التعامل حاضرا أو عاجلا، ويغتفر في العاجل تأخير القبض يومين أو ثلاثة وذلك لعدم إمكانية إجراء التقابض الحقيقي الحاضر للعوضين لظروف خارجة عن إرادة المتعاقدين، حيث إن عملية الصرف تتم عبر بلدان متباعدة وتشترك في تنفيذها أطراف عدة، مما يحتم تأخر القبض هذه المدة حتى تكتمل إجراءاته النظامية. ولأن في منعه ضررا بالدول والتجار الذين لهم مصلحة راجحة، وحاجة خاصة لمثل هذا التعامل من أجل الوفاء بالتزاماتهم تجاه الآخرين. وقد أكد الدكتور خالد فيما ذهب إليه في هذا الشرط بقرار مجمع الفقه الإسلامي وفيه، "ويغتفر تأخير القيد المصرفي بالصورة التي تمكن المستفيد بها من التسلم الفعلي لمدد المتعارف عليها في أسواق التعامل، ولما في ذلك من التوسعة على التجار".

الشرط الثاني:

أن تسلم كل طرف عملته التي اشتراها بما يعد قبضا حقيقيا كالمناولة بالأيدي، أو حكما كالشيك المصدق، أو التحويل العاجل الذي لا يمكن إيقافه أو الرجوع عنه، كالبطاقات البنكية التي تخصم من الحساب الجاري مباشرة.

¹ د. خالد الماجد، المتاجرة بالعملات، موقع المسلم دوت نت، فتوى رقم 6981،

<http://almoslim.net/node/55927>

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

وأفاد الدكتور خالد الماحد أن التحويل عبر البطاقات الائتمانية لا يجوز شرعا
لأمرين¹:

1- كونها سداد بالآجل يمتد لشهر أو أكثر.

2- كون التأخر عن السداد في مدته يرتب على العميل فائدة ربوية.

علما أن هذا يكون في المصارف التقليدية وليس في المصارف الإسلامية، وإذا
أزيل هذا تكون المعاملة صحيحة.

المبحث الخامس: خلاصة القول في وجهات النظر في المتاجرة بالعملات

ونتائج الدراسة

❖ **أولا:** بالنسبة للفتاوى المتباينة في حكم المتاجرة بالعملات بين التحريم

والإباحة، إذا تأملنا ذلك نخرج بما يلي:

1- هناك شبه اتفاق بين عدد من الفتاوى أنها إذا جردت من الشبهات التي

توصلها للتحريم فيكون العمل بها شرعيا لا غبار عليه. وهذا يتوافق مع شرط عقد

الصراف في الفقه الإسلامي والذي لا يتعارض مع بيع العملات بالمضاربة بشروط

خلاصتها على النحو الآتي:

✓ أن يتم البيع والشراء بصورة فورية ولا يوجد فيها شرط التأجيل.

✓ أن تدخل العملتان وتسجلا في حسابي البائع والمشتري.

✓ أن يدفع ثمن الصفقة بالكامل دون أي تأخير (في السلع)

✓ ألا يكون هناك فائدة في إجراء هذه الصفقات فإذا وجدت أي فائدة ربوية

بطل العقد. والسبيل للخروج من الحرم:

أ- إما أن يشتري بقدر ما عنده من نقود.

¹ د. خالد الماحد، المتاجرة بالعملات، موقع المسلم دوت نت، فتوى رقم 6981،

<http://almoslim.net/node/55927>

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

ب- أو يأخذ قرضا بدون فائدة من الوسيط كما أنه لا يأخذ فائدة ربوية من نقوده.

2- تتفق وجهات النظر على أن المواعدة على الصرف ليس محل خلاف بين

العلماء قديما وحديثا، فإن عمليات الصرف الآجلة التي تنشأ على سبيل التواعد إنما هي عقود لازمة منظمة لتعامل مختلف المتعاملين¹.

بمختلف عقائدهم، ولم يراع فيها أبدا أن تكون وعودا، بل إن اعتبارها وعدا

يمكن عدم الوفاء به دون أن يترتب على ذلك جزاء قضائي يناقض فلسفة إنشاء أسواق الصرف الآجلة.

وفي هذا السياق يقول أحد الخبراء، في مجال أسواق الصرف أسواق الصرف

الآجلة²: "إنه عندما يتم الاتفاق على سعر معين، فإن هذا السعر يكون ملزما ولا يستطيع أي طرف التنصل منه، أو التراجع عنه مهما كانت النتائج المتوقعة، ومهما كانت الخسائر التي سوف يتحملها ذلك الطرف نتيجة الالتزام به". وهذا لا يتعارض مطلقا مع المواعدة على الصرف وهو جائز شرعا ولم يقل أحد بعدم جوازه.

ومن الواجب التنبيه إلى أن المضاربة في العملات مضر بالاقتصاد في المال، وعلى

المستوى العام، لذا نجد كثيرا من العلماء يحذرون من جعل النقود مقصورة بالبيع والشراء، لأنها وسائل إلى تحصيل المنافع وسد الحاجات بشراء السلع والخدمات، وليس سلعة بنفسها لكي يقع عليها الشراء والبيع، ولذا فمن صالح البلدان الضعيفة في اقتصادها التنبيه إلى خطورة المضاربة في العملات، ووضع كافة الضمانات التي تقي من أضرارها حتى لا تقع في المحذور³.

¹ الموقع الإلكتروني للسويسرية العالمية، حكم المضاربة في العملات،

<http://www.swissfs.com/sharia.asp>

² د. سعود عبد الله الفهيسان، بيع وشراء العملات، الموقع الإلكتروني لعلماء الشريعة دوت نت.

<http://www.olamaashareah.net/nawah.php?tid=4060>

³ د. خالد الماجد، المتاجرة بالعملات، موقع المسلم دوت نت، فتوى رقم 6981،

حكم التجارة بالعملات الأجنبية ----- د. فخري أبو صفية / د. قاسم أبو عيد

وهذا يدل على دقة التعامل الشرعي في العملات وتجنبها شبهات تحرمها عن التعامل الصحيح والذي يجنبها أيضا مخاطر التعامل في المضاربة بالعملات.

❖ ثانيا: النتائج

إن أهم ما خلصت إليه الدراسة ما يلي:

1. أن عقد الصرف، وهو بيع النقد بالنقد هو عقد شرعي صحيح سواء كان مناجزة، أي يدا بيد، أو مواعدة على الشراء شريطة أن يكون العقد بشرط التقابض في مجلس العقد والمماثلة ولا يوجد خيار الشرط وخلوه من الآجل. إلا أن الآجل في المواعدة على الصرف أجازته العلماء على الصواب من أقوالهم فيه.
2. أن المضاربة بالعملات عند من أجازها شرط لها تقريبا ما هو في عقد الصرف، وإذا توافقت مع شروط عقد الصرف فهي جائزة شرعا كما بينا ذلك سابقا.
3. عدم جواز المتاجرة بالعملات بالأسواق العالمية من خلال الهامش، إذا كانت شبهة الفوائد الربوية ظاهرة
4. شبهة المضاربة (Speculation) بالعملات في الأسواق العالمية قائمة لعدم وضوحها ولكن يمكن القول بجوازها في حالة خلو المعاملة من الفوائد الربوية وعدم تعارضها مع الضوابط الشرعية لعقد الصرف في الفقه الإسلامي.
5. وخلاصة القول: يمكننا أن ندعو لعدم التعامل في المضاربة بالعملات في الأسواق العالمية للأثر السلبي على الاقتصاد الوطني من ناحية، ومن باب قاعدة سد الذرائع من الناحية الشرعية، والله أعلم.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل

أ. سعيدة بوفاعس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

ملخص:

لقد صانت الشريعة الإسلامية غريزةً فطريةً في الإنسان هي نزوعه إلى حبّ تملك المال، وجعلتها من مقاصدها الخمسة الضرورية، فانتهجت لها الطرق الصحيحة التي تحقّق معها الخير لأفراد المجتمع عامة وتضمن تحقيق إيجاد كلية المال، وأهمّ طريق فيها هو العمل الذي يحترمه الإسلام ويعتبره أفضل العبادات. ويلتفت هذا المقال إلى عمل المرأة باعتباره وسيلةً محصّلةً للمال، من خلال التعرض إلى حكمه في الإسلام، وعلاقته بمقاصد الشريعة، مع محاولة تنزيل حكمه على أرض الواقع من خلال الإجابة على مجموعة من التساؤلات التي تمكن من التوصل إلى نتائج البحث.

Abstract:

The present paper deals with woman's work as a means to earn money and how Islamic law "chariaa" looks at this issue and its relationship with the objectives "Maquasid" in real life departing from the following questions: what is the judgement of woman's work? Should the Muslim woman initially stay at home as a housewife or should she go out to work and earn money? Does her work bring her advantages or helps in marginalizing her in society? If she has to work in given conditions and circumstances, what is the job that suits her better and does not contradict her instinct?

Finally, what are the conditions she should respect to carry out any activity?

تمهيد:

سعت الشريعة الإسلامية إلى إيجاد المال بسنّ الطرق المشروعة للكسب الحلال عن طريق العمل، كما أوجبت دفع الزكاة لمستحقيها والنفقة للواجب لهم، وشجعت أصحاب الأموال على صلة قرابتهم والتودّد إليهم عن طريق الهبة والهدية والوصية، وهذه الوسائل المتنوعة بين واجبٍ ومندوب، تكون الشريعة الإسلامية قد ضمنت تحقيق إيجاد كلية المال .

وستعرض في هذا البحث إلى عمل المرأة بعده وسيلة محصّلة للمال، وكذا رأي الشرع فيه، وعلاقته بمقاصد الشريعة، مع محاولة تنزيله في أرض الواقع؛ من الإجابة عن التساؤلات الآتية: ما حكم عمل المرأة؟ وهل الأصل قراؤها في البيت أم أنّ الأصل خروجها للعمل من أجل تحصيل المال؟ وهل يحقّ عملها إيجاد كلفة المال أم أنه يرجع عليها بالهدم والإلغاء؟ وإذا كان لها أن تعمل في حالاتٍ معينة فما هي الطبيعة التي تتناسب مع تكوينها وفطرتها؟ وما هي الشروط التي ينبغي أن تلتزم بها عند مزاولتها هذه الأعمال؟

والجواب على ذلك يتلخص في الآتي:

الفرع الأول: قيمة العمل في الإسلام

دعا الإسلام إلى العمل على جني المال بالطرق المشروعة، كالزراعة والتجارة والصناعة ومختلف المعاول التي يحصل بها الكسب الحلال، مثلما قال ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (المالك/15)، ومعناه: أن "الله جعل الأرض سهلة لينة يمكن الاستقرار فيها وتعميرها، فامشوا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أرجائها بأنواع المكاسب والتجارات"¹، وكما قال ﷺ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة/10)، ومعناه: "إذا فرغتم من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم، وابتغوا من فضل الله؛ أي: من رزقه بالبيع والشراء ونحوهما؛ إذ إن إيجاد التوازن بين الروح والمادة سمة من سمات المنهج الإسلامي، وهو ضرورة لا بد منها كي تستقيم الحياة، فكما أن الانكباب على طلب المادة وحدها مرفوض في الإسلام، فإن الانقطاع إلى العبادة والتواكل على الآخرين في تحصيل القوت مرفوض أيضاً"².

وحفلت السنة النبوية بالأحاديث المرغبة في الكسب الحلال، والمرهبة من الاعتداء على أموال الناس بالباطل، تقريراً لحرمتها، من ذلك قوله ﷺ: "ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل

¹ - انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 71/7.

² - انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 108/18، في ظلال القرآن، سيد قطب، 101/28.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيدة بوفاغس

من عمل يده"¹، وقوله ﷺ: "والذي نفسي بيده لأن يأخذَ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خيرٌ له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه"².

إن الإسلام يحترم العمل — أيًا كان نوعه — ويعتبره أفضل العبادات، ولذلك كان ﷺ يستعِذ بالله من العجز والكسل، وبهذا التشريع الحكيم نأى الإسلام بالمسلمين عن أن يكونوا عائلة على غيرهم في قضاء حوائجهم وتحصيل معاشهم، ما داموا قادرين على الكسب، لأن التعرّض للمسألة مع القدرة مذلةٌ في الدنيا، وخزيٌ وندامةٌ يوم القيامة.

لقد صانت الشريعة الإسلامية غريزةً فطريةً في الإنسان هي نزوعه إلى حبّ تملك المال، وجعلتها من مقاصدها الخمسة الضرورية، وعدتها حقًا ثابتًا مقررًا إذا تم اكتساب المال بطريق مشروع³، بدليل قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ (النساء/29)؛ حيث ورد سياق الآية بصيغة العموم⁴، وهي توجّه إلى ضرورة تداول الأموال

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، برقم 1966، 730/2.

² - أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، رقم 1401، 535/2.

³ - الفروق، القرافي، 3/236-238.

⁴ - وقد انتظم هذا العموم النهي عن أكل مال الغير وأكل مال نفسه بالباطل، وذلك لأن قوله ﷺ: ﴿أَمْوَالَكُم﴾ يقع على مال الغير ومال نفسه ... وأكل مال نفسه بالباطل إنفاقه في معاصي الله، وأكل مال الغير بالباطل قد قيل فيه وجهان: أحدهما: ما قال السدي: وهو أن يأكل بالربا والقمار والبخس والظلم، وقال ابن عباس والحسن: أن يأكله بغير عوض ...

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيده بوفافس

بوجه حق، حتى تُراعى الحقوق، وتروج المنافع، ويتحقق العدل، وتُصان المصالح العامة للأمة ويُحفظ نظامها العام.

وإذا تقرر أن النفس البشرية مجبولة على حبّ التملك والرغبة في الحياة، وأن الشارع قد راعى فيها هذه الغريزة وأقرّها وحماها وضبطها، وانتهج لها الطرق الصحيحة التي تحقّق معها الخير لأفراد المجتمع عامة، وأهمّ طريق فيها هو طريق العمل؛ فما حكم عمل المرأة في الشريعة الإسلامية من خلال الفرع الموالي؟

الفرع الثاني: عمل المرأة في ميزان الشرع

سوّى الإسلام بين المرأة والرجل في حق ممارسة العمل المهني، وفي حقّ التملك لما اكتسباه بعملٍ قاما به أو بأيّ شكلٍ مشروع آخر؛ قال ﷺ: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ (النساء/32)، كما سوّت الشريعة الإسلامية بين النساء والرجال في الاستقلال المالي والاقتصادي¹، فكان من النساء

أحكام القرآن، الجصاص، 171/2، 172، وانظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمر الزمخشري، 322/1، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، 53/3.

¹ - بل لقد سمح النبي ﷺ للمرأة أن تأخذ من مال زوجها ما تحتاج إليه الأسرة، فقال لهند لما اشتكت من شح زوجها أبي سفيان: "خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف".

أخرجه البخاري في كتاب النفقات، باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها من معروف، رقم 5049، 5/2052.

بل إنه ﷺ أذن للمرأة أن تصدق من مال زوجها غير مسرفة، ولم يُعطِ مثل هذا الحق للزوج، إذ لا يحق له التصرف في مال زوجته ولو كانت غنية وهو فقير؛ قال ﷺ: "إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة، كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجره بما كسب".

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيده بوفاجس

على زمن النبي ﷺ من تعمل في الزراعة، وفي الرعي، وفي الحياكة والنسيج، ومن تعمل في الصناعات المنزلية، وفي إدارة الأعمال الحرفية، ومن تعالج المرضى وتداوي الجرحى وتعمل في التمريض، بل وتغزو!

ولقد اختلف العلماء في جواز خروج المرأة إلى العمل خارج البيت بناءً على اختلافهم في حكم قرارها في بيتها على قولين:

القول الأول: وجوب قرار المرأة في بيتها، فلا تشارك الرجال في الأعمال، وبه قال جمهور المفسرين¹.

أدلة هذا القول: استدل أصحاب هذا القول بما يأتي:

1 - من القرآن: قوله ﷻ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب/33)، فالفعل "قَرْنَ" فعلٌ أمرٌ من القَرَار²، والأمرُ

أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب من أمر خادمه بالصدقة ولم يناول بنفسه، رقم 1359، 517/2، ومسلم في كتاب الزكاة، باب أجر الخازن الأمين والمرأة إذا تصدقت ...، رقم 1024، 710/2؛ عن عائشة رضي الله عنها.

وفي رواية أخرى: "إذا أنفقت المرأة من كسب زوجها عن غير أمره فلها نصف أجره". أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب قول الله تعالى: ﴿أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ (البقرة/267)، حديث رقم 1960، 728/2، واللفظ له، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ما أنفق العبد من مال مولاه، رقم 1026، 711/2؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

¹ - انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 116/14، فتح القدير، الشوكاني، 277/4، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 631/3.

² - القرار في اللغة: هو المكث في المكان والبقاء فيه.

وأما القرار في قوله ﷻ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب/33) فترد عليه قراءتان:

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيدة بوفافس

يفيّدُ الوجوبَ، ولقد "كانت المرأة تمشي بين يدي الرجال، فذلك تبرّجُ الجاهلية الأولى"¹.

قال في "روح المعاني": "والمرادُ على جميع القراءات أمرُهُنَّ رضي الله تعالى عنهنَّ بملازمة البيوت وهو أمرٌ مطلوبٌ من سائر النساء"².

وأكد صاحب "التحرير والتنوير" أن هذا الأمر على الوجوب لِنِسَاءِ النبي ﷺ، وأنه كمالٌ لسائر النساء؛ فقال: "هذا أمرٌ خُصصَ به وهو وجوبٌ ملازمتَهُنَّ بيوتهنَّ توقيراً لهنَّ، وتقوية في حرمتَهُنَّ، فقرارُهُنَّ في بيوتهنَّ عبادة، وأن نزول الوحي فيها وتردّد النبي ﷺ في حلالها يكسبها حرمة، وقد كان المسلمون لما ضاق عليهم المسجد النبوي يصلّون الجمعة في بيوت أزواج النبي ﷺ كما في حديث الموطأ، وهذا الحكم وجوبٌ على أمهات المؤمنين، وهو كما لسائر النساء"³.

الأولى: بكسر القاف، والثانية بفتحها. قال القرطبي: "فأما القراءة الأولى فتحمل وجهين: أحدهما: أن يكون من الوقار؛ تقول: قَرَّ يَقَرُّ وَقَاراً؛ أي: سَكَنَ، والأمر: قَرَّ . **والوجه الثاني** — وهو قول المبرد —: أن يكون من القرار؛ تقول: قَرَرْتُ بِالْمَكَانِ أَقَرُّ، والأصل: أَقَرَرْتُ".

ومن هنا يظهر أن للقرار معنيين: **الأول:** الثبات والسكون في المكان. **والثاني:** الوقار؛ فيكون معنى الآية الكريمة: أثبتنَّ في بيوتكنَّ واسكننَّ فيها، أو: ليكننَّ عليكنَّ الوقار في بيوتكنَّ.

انظر: مختار الصحاح، الرازي، ص221، المنجد في الأعلام واللغة، ص616، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 2/261، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 14/116، فتح القدير، الشوكاني، 4/277.

¹ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 3/636.

² - روح المعاني، الألوسي، 6/22، وهو ما نص عليه في تفسير المراغي، 6/22.

³ - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، 10/22.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيدة بوفاعس

واعترض على من يخصص هذه الآية بنساء النبي — لما ورد فيها من ألفاظ توحى بذلك، مثل قوله ﷺ: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ — بأن قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (الأحزاب/32) إنما يعني توجيهُنَّ وتربيتهنَّ توجيهاً سامياً وتربيةً عاليةً بأنَّهنَّ لسن كأحدٍ من النساء في المكانة والمترلة والرفعة والحرمة، إذ إنه أسلوب في التربية لا يختلف عن قولك لولدٍ نجيب مثلاً: "يا بني لست كأحدٍ من عامة الأولاد حتى تطوفَ في الشوارع وتأتي بما لا يليق من الحركات، فعليك بالأدب واللياقة"، فقولك هذا لا يعني أن سائر الأولاد يُحمد فيهم طواف الشوارع وإتيان الحركات السيئة، ولا يطلب منهم الأدب واللياقة، بل المراد بمثل قولك هذا تحديدُ معيارٍ لحاسن الأخلاق وفضائلها، كي يتطلَّع ويصب وإليها كلُّ ولدٍ يريد أن يعيش كنجباء الأولاد، فيسعى في بلوغها والحصول عليها.

إن القرآن قد اختار هذا الأسلوب وهذه الطريقة في مخاطبة نساء النبي ﷺ ليضبطهنَّ بضابطه على وجه خاص، حتى يكنَّ أسوةً لسائر النساء، وتتبعَ طريقتهنَّ وعاداتهنَّ في بيوت عامة المسلمين.

فقوله ﷺ: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب/32، 33)؛ هي وصايا ربانية وأوامر إلهية، فأَيُّ منها لا يصل بعامة النساء المسلمات؟ وهل النساء المسلمات لا يجب عليهن أن يتقين الله تعالى، أو قد أبيض هنَّ أن يخضعن بالقول ويكلَّمن الرجال كلاماً يغريهم ويشوقهم؟ أو يجوز هنَّ أن يتبرجن تبرج الجاهلية؟ ثم هل ينبغي هنَّ أن يتركن الصلاة ويمنعن الزكاة، ويعرضن عن طاعة الله ورسوله؟

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيدة بوفافس

وهل يريد الله أن يتركهنّ في الرجس؟ فإذا كانت هذه الأوامر والإشارات عامة لجميع المسلمات، فما المبرر لتخصيص ما ورد في سياق مخاطبة أمهات المؤمنين من قرار في البيوت وملازمة للحجاب وعدم مخالطة للأجانب بمن خاصة؟ إن التوجيه القرآني والتربية الإلهية لكل النساء عامة بشخص أمهات المؤمنين، من باب "إياك أعني واسمعي يا جارة"¹.

وعليه فالآية تدل على أمر النساء بلزوم البيت والاستقرار فيه، وعدم الخروج منه إلا للحاجة أو ضرورة².

¹ - فقه النظر في الإسلام، محمد أديب كلكل، ص 42، 43.

² - فتح القدير، الشوكاني، 277/4.

كما اعترض على من استدل بأن الآية خاصة بنساء النبي ﷺ، بأن كثيرا من العلماء قرروا أن نساء المؤمنين يدخلن فيها، ومن ذلك ما قاله الجصاص: "وقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ روى هشام عن محمد بن سيرين قال: قيل لسودة بنت زمعة: ألا تخرجين كما تخرج أخواتك؟ قالت: والله لقد حججت واعتمرت، ثم أمرني الله أن أقرّ في بيتي فوالله لا أخرج، فما خرجت حتى أخرجوا جنازتها. وقيل: إن معنى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾: كنّ أهل وقار وهدوء وسكينة، يقال: وقّر فلان في منزله يقرّ وقوراً؛ إذا هدأ فيه واطمأن به، وفيه دلالة على أن النساء مأمورات بلزوم البيوت منهيات عن الخروج... فهذه الأمور كلها مما أدب الله تعالى به نساء النبي ﷺ هن، وسائر نساء المؤمنين مرادات بها".

انظر: أحكام القرآن، 3/359، 360.

أما الإمام القرطبي فيرى أن نساء المؤمنين يدخلن في معنى هذه الآية فيقول: "معنى هذه الآية الأمر بلزوم البيت، وإن كان الخطاب لنساء النبي ﷺ فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى، هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء، كيف والشريعة الإسلامية طافحة بلزوم النساء بيوتهن، والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة على ما تقدم في غير موضع، فأمر الله تعالى نساء النبي ﷺ بملازمة بيوتهن، وخاطبهن بذلك تشريفاً لهن".

والثابت في التشريع الإسلامي أن القائم على الإنفاق والكسب هو الرجل، وأن هذا من أعظم حقوق الزوجة عليه، بدليل قول المولى ﷺ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء/34)، ومما يزيد الأمر وضوحاً قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (طه/117)؛ فقد خصَّ آدم بالشفاء¹ الذي يعني الاجتهاد في طلب القوت، ليدلَّ على أن قيام الرجل بالكسب والإنفاق هو الأصل، وأن المرأة لا تخرج للعمل إلا للضرورة؛ لأنها إن كانت

انظر: الجامع لأحكام القرآن، 117/14.

وجاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية ما يبين أن المرأة ينبغي أن تلزم بيتها ولا تخرج إلا لحوائجها الشرعية فقال: "أي الزَّمنَ يَبْوُكُنْ فلا تخرجن لغير حاجة، ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرط عدم التطيب مثلما أرشد إليه قول رسول الله ﷺ: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن وهنّ ثفلات — وفي رواية: ويوثهن خير هنّ".

انظر: تفسير القرآن العظيم، 464/3، بتصرف يسير في العبارة.

والحديث المذكور في الباب أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم، رقم 858، 305/1، ومسلم في كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة وأنها لا تخرج مطيبة، برقم 442، 326/1؛ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

¹ - فقلوه ﷺ: ﴿فَتَشْقَى﴾ معناه: فتتعب في طلب المعيشة بالكد والاكْتِسَاب؛ لأنه لا يحصل لقمة العيش في الدنيا بعد الخروج من الجنة حتى يحرق الأرض ثم يزرعها، ثم يقوم على الزرع حتى يدرك، ثم يدرسه، ثم ينقيه، ثم يطحنه، ثم يعجنه، ثم يجزه، فهذا شقاؤه المذكور.

والدليل على أن المراد بالشفاء في هذه الآية التعب في اكتساب المعيشة قوله تعالى بعده: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ (طه/118، 119)، يعني: احذر من عدوك أن يخرجك من دار الراحة التي يضمن لك فيها الشبع والري والكسوة والسكن.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، 74/3، 75.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التزويل ----- أ. سعيده بوفاغس

متزوجة فنفقته على زوجها، وإن كانت غير متزوجة فنفقته على وليها، وإن فقدت الولي فنفقته من بيت مال المسلمين.

وعليه اعتمد بعض الفقهاء على هذه الآية الكريمة في الاستدلال على وجوب نفقة الزوجة على زوجها، وأنها غير مطالبة بتحصيل المال عن طريق الخروج للعمل؛ لأن الله ﷻ لما قال: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُو لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ...﴾ (طه/117) بخطاب شامل لآدم وحواء، ثم حصّ آدم بالشقاء دونها في قوله: ﴿فَتَشَقَّى﴾؛ دلّ ذلك على أنه هو المكلف بالكّد عليها وتحصيل لوازم الحياة الضرورية لها من مطعم ومشرب وملبس ومسكن¹.

2 - من السنة: استدلوا بأن رسول الله ﷺ "لعن المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال"²، وبقوله ﷺ: "المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان"³؛ فالسياق واضح في تنفير النساء من الخروج، وترغيبهن في المكوث بالبيوت.

¹ - قال القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة ما نصه: "وإنما خصه بذكر الشقاء ولم يقل فتشقيان: يُعلمنا أن نفقة الزوجة على الزوج، فمن يومئذ جرت نفقة النساء على الأزواج، فلما كانت نفقة حواء على آدم، كذلك نفقات بناتها على بني آدم بحق الزوجية".
الجامع لأحكام القرآن، 11/253.

² - أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال، رقم 5546، 2207/5.

³ - أخرجه الترمذي في كتاب الرضاع، باب 18، حديث رقم 1173، وقال فيه: حديث حسن غريب، وصححه الألباني في التعليق عليه.
انظر: سنن الترمذي، 3/476.

3 - من المعقول: اقتضى العقل ضرورة ملازمة المرأة بيتها لترعى زوجها

وأطفالها، وتهتم بتربيتهم على النهج القويم، وعليه فإن قرارها في البيت ضروري خوفاً من الفتن والأذى الذي يحتمل حصوله بالخروج¹، وهذا من باب سد الذرائع.

المذهب الثاني: يرى أصحاب هذا المذهب استحباب قرار المرأة في بيتها، وقد

ذهب إلى هذا القول جماعة من الصحابة منهم: عمر وعثمان رضي الله عنهما²، كما قال بقولهما الحافظ ابن حجر العسقلاني³، وبناءً عليه قرر بعض المعاصرين أن الأصل في عمل المرأة الحواز، وذلك وفق ضوابط تختلف من مجتهد لآخر، فهي إن احتاجت إلى العمل فلتعمل في أعمال تناسب فطرتها وتكوينها مراعية لضوابط الشرع، ومن ذهب إلى هذا الرأي الدكتور يوسف القرضاوي؛ فقد سئل عن عمل المرأة فأجازه بثلاثة شروط هي:

1 - أن يكون العمل في ذاته مشروعاً، بمعنى ألا يكون عملها حراماً في نفسه أو

مفضياً إلى ارتكاب حرام، كالتّي تعمل خادمة لرجل أعزب، أو سكرتيرة خاصة لمدير تقتضي وظيفتها أن يخلو بها وتخلو به، أو راقصة تثير الشهوات والغرائز الدنيا، أو عاملة في ملهى تقدم الخمر التي لعن رسول الله ﷺ ساقبيها وحاملها وبائعها، أو مضيّفة في طائرة يوجب عليها تقديم المسكرات والسفر البعيد بغير محرم، بما يلزمه من المبيت وحدها في بلاد الغربة، أو غير ذلك من الأعمال التي حرّمها على النساء خاصة أو على الرجال والنساء جميعاً.

¹ - أحكام قرار المرأة في بيتها وخروجها منه في الفقه الإسلامي، أميمة محمد نعمان قراقع، ص 25،

نقلاً عن: حكم عمل المرأة في الفقه الإسلامي، عدنان بن ضيف الله آل الشوابكة، ص 44.

² - فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، 2413/4، 2414.

³ - نفسه، 2414/4، 2415.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التزويل ----- أ. سعيده بوفاغس

2 — أن تلتزم أدب المرأة المسلمة إذا خرجت من بيتها في الزيّ والمشي والكلام والحركة امتثالاً لقوله ﷺ: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (النور/31)، وقوله: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ (النور/31)، وقوله: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (الأحزاب/32).

3 — ألا يكون عملها على حساب واجبات أخرى لا يجوز لها إهمالها، كواجبها نحو زوجها وأولادها، وهو واجبها الأول وعملها الأساس¹.

ويقول شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق: هذا ويمكن القول — في نصوص القرآن والسنة — إن الأصل أن تنفرغ المرأة لمهمتها كزوجة وأم، وأن لها أن تعمل استثناء من هذا الأصل في حالات أربع:

1 — أن تكون المرأة ذات نبوغ خاص، يندر في الرجال والنساء معاً، وأن المصلحة الاجتماعية توجب في هذه الحالة أن تعمل.

2 — أن تتولى المرأة عملاً هو أليق بالنساء كترية الأطفال، وتعليمهم في سنينهم الأولى؛ ومثل هذا تطيب النساء والأطفال.

3 — أن تعين زوجها في ذات عمله، وهذا كثير في البادية؛ فالمرأة الريفية إذا كان زوجها عاملاً زراعياً أو صاحب أغنام أو مستأجراً لمساحة صغيرة، فإن امرأته تعاونه معاونّةً كاملة.

4 — أن تكون في حاجة إلى العمل لقوت عيالها، بأن فقدت العائل هي وهم².

¹ — فتاوى معاصرة، 305/2، 306.

² — هدية مجلة الأزهر "حول اتفاقية القضاء على أشكال التمييز"، عدد شهر صفر، ص 33 — 35.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيدة بوفافس

ويقول الدكتور عبد الكريم زيدان: "وإذا كان الأصل في عمل المرأة خارج البيت هو المنع والحظر فإن الجواز هو الاستثناء، إذا اقتضت الضرورة ذلك؛ لأن الضرورات تبيح المحظورات، وهي من القواعد الثابتة في الشريعة الإسلامية التي لا خلاف فيها، فإذا اقتضت ضرورة اكتساب المرأة عن طريق العمل المباح المشروع، ما تسدّ به متطلبات معيشتها جاز لها هذا العمل؛ لأن الضرورات تبيح المحظورات"¹.

أدلة أصحاب المذهب الثاني: استدلو على قولهم بأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وعمل الصحابة رضوان الله عليهم:

1 - من القرآن: قوله ﷺ: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (النساء/15)²؛ فقد أمر الله تعالى المسلمين أن يحبسوا النساء — اللاتي يقعن في الفاحشة — في البيوت، وهذا دليل واضح على أن الحبس في البيوت ليس هو الأصل، وإنما سببه الوقوع في الفاحشة.

واستدلو بقوله ﷺ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور/30، 31)؛ فقد أمر الله تعالى الرجال بغضّ البصر كما أمر النساء، وفي هذا دليل على جواز خروجهنّ، لأن غضّ البصر إنما يحتاج إليه عند مخالطة الرجال واحتمال رؤيتهم³.

¹ - المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم، 4/267.

² - علماً أن الله نسخ حكم الحبس، وأبدله بالرحم للمحصنة، والجلد للبركر.

³ - أحكام قرار المرأة في بيتها وخروجها منه في الفقه الإسلامي، أميمة قراقرع، ص 26.

ولعل في قصة ابنة شعيب — التي تلقت موسى مع أختها وهو شريدٌ طريد عند الماء — ما يعضد هذا الدليل؛ قال ﷺ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (القصص/23)، فقد رعى الغنم وسقىها، وكلمتا موسى وكلمتهما، فسقى لهما فذهبتا إلى أبيهما، وكان من فراسة إحداهما في موسى ما جعلها تدرك فيه مواطن العظمة وقوة الشخصية وخلق الأمانة، فوصلت بينه وبين أبيها، وقالت بصراحة وشجاعة بينهما قوله ﷺ: ﴿قَالَتِ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص/26)، فوضعت بكلمتها الموجزة أسس اختيار الرجال للأعمال، وتعانق بهذا الوصول فرعان نبويان، وبذلك تمت سلسلة من التدبير الإلهي تمهيداً لرسالة السماء في القضاء على البغي والطغيان، وكانت معظم حلقات السلسلة من صنع امرأة¹.

2 — من السنة: قوله ﷺ: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"².

وفي صحيح البخاري قصة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها مع زوجها الزبير ﷺ، حيث قالت: تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه، فكنت أعلف فرسه، وأستقي الماء وأخرزُ غربه، وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز لي جارات من الأنصار وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ، فجئت يوماً

¹ - انظر: تقديم أ.د يوسف القرضاوي لكتاب: تحرير المرأة في عصر الرسالة لعبد الحليم محمد أب وشقة، 11/1، ومكانة المرأة في التشريع الإسلامي، زينب رضوان، المجلة الاجتماعية القومية، عدد خاص بالمرأة، ص 270.

² - سبق تحريجه.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيده بوفافس

والنوى على رأسي فلقيتُ رسولَ الله ﷺ ومعه نفرٌ من الأنصار فدعاني ثم قال: "إخ ليحملي خلفه، فاستحييتُ أن أسير مع الرجال، وذكرتُ الزبيرَ وغيرَته وكان أغير الناس، فعرف رسولُ الله ﷺ أنني قد استحييت فمضى، فجئتُ الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب، فاستحييتُ منه وعرفتُ غيرَكَ . فقال: والله لحملك النوى كان أشد عليّ من ركوبك معه. قالت: حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك بخادم يكفيني سياسة الفرس فكأما أعتقني"¹.

فقصة أسماء وحملها النوى من أرض بعيدة عن بيتها لحاجة زوجها لهذا العمل، وإطلاع النبي ﷺ على حالها وفعلها وسكوته ﷺ دليلٌ واضح على جواز عمل المرأة خارج البيت، إذ كان زوجها الزبير في حال انشغالٍ بنصرة الإسلام والجهاد في سبيل الله، مع عجزه عن استئجار من يقوم له بما كانت تقوم به زوجته أسماء...².

ومن ذلك حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: طُلِّقْتُ خالتي، فأرادت أن تَجِدَّ نَحْلَهَا (أي تقطع ثماره)، فَزَجَرَهَا (نَهَاَهَا) رجل أن تخرج (وهي في العدة)؛ فأنت النبي ﷺ فقال: "بَلَى ! فَبُجْدِي نَخْلُكَ فَإِنَّكَ عَسَى أَنْ تَصْدُقِي أَوْ تَفْعَلِي معروفًا"³.

وكان بالمدينة تاجرة اسمها قَيْلَةُ الأَنْمَارِيَّةُ، فقالت: يا رسول الله ! إني امرأة أشترى وأبيع، فرمما أردتُ أن أبيع السلعة فاستامَ بها (أي أساوَمَ فأطلب) بها أكثر

¹ - أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الغيرة، برقم 4926، 2002/5، واللفظ له، ومسلم في كتاب السلام، باب جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق، رقم 2182، 1716/4.

² - المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم، د. عبد الكريم زيدان، 4/270، 271، بتصرف.

³ - أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب جواز خروج المعتدة البائن والمتوفى عنها زوجها في النهار لحاجتها، برقم 1483، 1121/2.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيدة بوفاغس

مما أريد أن أبيعها، ثم أنقص حتى أبيعها بالذي أريد، فقال ﷺ: "لا تفعلني يا قَيْلَة ! إذا أردت أن تشتري السلعة فاستأمني الذي تريدين أن تأخذي به، أُعْطِيتِ أو مُنِعْتِ"¹. وكان بالمدينة امرأة عطّارة تسمى الحولاء؛ وكانت قد زارت بيتَ أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها تشكو أمرَ زوجها، فدخل رسول الله ﷺ وقال: "إني لأجدُ ريحَ الحولاء، فهل أنتُكم؟ وهل ابتعنم منها شيئاً؟"²، وكذلك مليكة أمّ السائب بن الأقرع الثقفية، دخلت تبيع العطر للنبي ﷺ ... الحديث³، ومثلها سعيبة الأسدية كانت تجمع الصوف والشعر والليف فتغزله⁴، بل هذه أمّ رَعْلَة القُشَيْرِيّة قالت: يا رسول الله ! إني امرأة مُقَيَّنَة⁵ أُقَيِّنُ النساءَ وَأَزَيِّنُهُنَّ لأزواجهنّ، فهل هو حُوبٌ فَأَنْبِط عنه؟ فقال لها: "يا أمّ رَعْلَة! قَيِّينَ وزَيِّينَ"⁶.

¹ - أسد الغابة، ابن الأثير، 535/5.

² - نفسه، 432/5.

³ - أسد الغابة، ابن الأثير، 549/5.

⁴ - الإصابة، ابن حجر العسقلاني، 108/8.

⁵ - مُقَيَّنَة: ماشطة.

⁶ - أسد الغابة، ابن الأثير، 582/2، الإصابة، ابن حجر، 231/8. وقد روى الإمام أحمد والحميدي عن أسماء بنت يزيد بن السكن، قالت: "إني قَيَّنْتُ عائشة لرسول الله ﷺ ثم جِئْتُهُ فَدَعَوْتُهُ لِجُلُوسِهَا" الحديث ...

انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم 27591، 570/45، مسند الحميدي، حديث رقم 367، 179/1.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيدة بوفاعس

ومن ذلك أن رجلاً من الأنصار خرجت به نملة¹، فذُلَّ على الشفاء بنت عبد الله ترقى من النملة، فجاءها فسألها أن ترقيه فقالت: والله ما رقيتُ منذ أسلمت، فذهب الأنصاري إلى رسول الله ﷺ فأخبره بالذي قالت الشفاء، فقال: "اعرضني علي"، فعرضتها عليه فقال: "ارْقِهْ وَعَلِّمِهَا حَفْصَةَ كَمَا عَلَّمْتَهَا الْكِتَابَ"²، أي: الكتابة، وهو دليل على جواز تعلم النساء الكتابة³.

وعن عائشة قالت: وكانت زينب (أم المؤمنين) امرأة صَنَاعَةَ اليد، فكانت تدبغ وتخز (أي تخطط الجلد)، وتتصدق في سبيل الله ﷻ⁴.

هذا وقد تضافرت الأدلة على جواز خروج المرأة مع المجاهدين؛ لتقوم بأعمال الإسناد مثل: مداواة الجرحى، وردِّ القتلى، وفيهن من كانت تقاتل بالفعل؛ فقد ورد

¹ - التَّمْلَةُ بالفتح: قُرُوح تخرج في الجنب، وبالضم: النملة والإفساد بين الناس، وبالكسر مِشْيَةٌ مُقَارَبَةٌ. وكأُما سميت كذلك لتفشيها وانتشارها، شُبَّهَ ذلك بالنملة وديببها.

الفاقق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، 26/4، فتح الباري، ابن حجر، 196/10.

² - أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقي، رقم 3889، 13/4، وصححه الألباني في التعليق عليه، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الطب، باب رقية النمل، رقم 7543، 366/4، وأحمد في المسند، برقم 27095، 46/45، وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الطب، باب من رخص في رقية النملة، رقم 23542، 43/5.

كما أخرجه الحاكم بلفظه وصححه، ووافقه الذهبي. انظر: المستدرک على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ذكر الشفاء بنت عبد الله القرشية، رقم 6888، 63/4.

³ - عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، 267/10، زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، 185/4.

⁴ - أخرجه الحاكم في المستدرک وصححه، كتاب معرفة الصحابة ﷺ، ذكر زينب بنت جحش رضي الله عنها، رقم 6776، 26/4، وقال الحاكم بأنه على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيده بوفاغس

عن الرُّبِيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: كنا مع النبي ﷺ نسقي، ونداوي الجرحى، ونرد القتلى إلى المدينة¹، وعن حفصة بنت سيرين قالت: ... فجاءت امرأة فزلت قصر بني خلف، فأثيبتها، فحدّثت أن زوج ابنتها غزا مع النبي ﷺ اثنتي عشرة غزوة، فكانت أختها معه في ست غزوات، قالت: فكنا نقوم على المرضى ونداوي الكلّمى².

وعن أم سليم رضي الله عنها أنها اتخذت يوم حنين خنجرًا، فكان معها فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: "ما هذا الخنجر؟" قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه. فجعل رسول الله ﷺ يضحك. قالت: يا رسول الله، اقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك. فقال الرسول ﷺ: "يا أم سليم، إن الله كفى وأحسن"³.

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم أُحُد انهزم الناس عن النبي ﷺ، ولقد رأيتُ عائشة بنت أبي بكر وأمّ سَلِيم، وإِهما لَمْشَمَرَتَان، أرى خَدَمَ سوقهما (أي خلاخيل

¹ - أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب مداواة النساء الجرحى في الغزو، رقم 2726، 1056/3؛ عن الرُّبِيع بنت معوذ رضي الله عنها.

وعن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء ويداوين الجرحى.

أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال، برقم 1810، 1443/3.

² - الكلّمى: الجرحى.

والحديث المذكور في الباب أخرجه البخاري في كتاب العيدين، باب إذا لم يكن لها جلباب في العيد، رقم 937، 333/1.

³ - أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال، عن أنس رضي الله عنه، برقم 1809، 1442/3.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيده بوفافس

أرجلهم)، تَنْقُزَانِ الْقَرَبَ (أَي تَنْقُلَانِيهَا وَثَبًّا) عَلَى مُتُونِهِمَا (أَي ظَهْرَهُمَا)، ثُمَّ تُفَرِّغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ؛ ثُمَّ تَرْجَعَانِ فَتَمْلَأَانِيهَا ثُمَّ تَحِيثَانِ فَتَفَرِّغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ¹.

3- عمل الصحابة: وقد استدلووا بخروج أم المؤمنين عائشة إلى العراق للإصلاح

بين الناس في وقعة الجمل²، وبما روي عن عمر رضي الله عنه من أنه أذن لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم بالحج والعمرة، بعد أن كان متوقفاً في ذلك، وتبعه عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، والمغيرة بن شعبة، ومعاوية، وغيرهم ممن كان في عصرهم من غير نكير³، وهذا الخروج دون إنكار من الصحابة هو إجماع سكوّتي.

كما "أنشأ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه نظام الحسبة، وهي أول نظام في التاريخ يمثل السلطة العليا الموكلّة بضمان الجودة في جميع الأعمال التي تتم في الدولة، والرقابة على جميع الأنشطة الاقتصادية والعلمية والمهنية، وسائر الأنشطة التي تتعلق بمصالح الناس، للتأكد من أنها تتم بموجب الشريعة والقانون، وهذا يتمثل في جهاز يتمتع بسلطة رقابية وسلطة تنفيذية في الوقت نفسه⁴.

وقد أنشأ الخليفة الراشد الثاني هذه السلطة وهذا الجهاز⁵، وعيّن على رأسه سيدةً فاضلة هي الشفاء بنت عبد الله، وهي سيدة كانت تنهض بمحو أمية النساء،

¹ - أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء وقتلن مع الرجال، رقم 2724، 1055/3، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال، رقم 1811، 1443/3.

² - فتح الباري، ابن حجر، 2414/4.

³ - فتح الباري، ابن حجر، 2414/4.

⁴ - توصلت الدول المتقدمة مؤخراً إلى إنشاء مثل هذا الجهاز، وأطلقت على نظام الحسبة هذا اسم "stewardship". انظر: المرأة المسلمة وقضايا العصر، د. محمد هيثم الخياط، هامش ص 96.

⁵ - الآحاد والمثاني، أحمد بن عمر وابن الضحاك، رقم 3179، 4/6.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيده بوفاجس

وكان عمر يقدمها في الرأي ويرعاها ويفضلها¹، ومعنى ذلك أنها صارت لها ولاية عامة على كل من في السوق من الرجال والنساء.

وهذا النظام المؤسسي في المدينة المنورة واكبته مؤسسة مماثلة ثانية في مكة المكرمة، وأول محتسبة في مكة المكرمة هي أيضا سيدة اسمها سمراء بنت نُهيْكَ الأسدية، وكانت قد أدركت النبي ﷺ — وعليها درع (فستان) غليظة وخمارٌ غليظ، ويدها سوط تؤدب الناس وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر!²، وفي رواية — أنها أدركت رسولَ الله ﷺ وعمرّت، وكانت تمرّ في الأسواق تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتضرب الناس عن ذلك بسوط معها...³

وورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطاً (كسوة من صوف أو حرير) بين نساءٍ من المدينة، فبقي مرط جيد فقال بعض من عنده: يا أمير المؤمنين أعط هذه ابنة رسول الله ﷺ التي عندك — يريدون أم كلثوم بنت علي — فقال عمر: أم سليط أحقّ — وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ، قال عمر: فإنها كانت تزفر⁴ لنا القربَ يوم أحد⁵.

¹ - أسد الغابة، ابن الأثير، 162/7، 163، الطبقات الكبرى، ابن سعد، 196/8، الإصابة، ابن حجر، 333/4.

² - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير بسند جيد، رقم 785، 311/24.

³ - الاستيعاب، ابن حجر، 602/1، الإصابة، ابن حجر، 712/7.

⁴ - قال البخاري: تزفر، أي: تخط، وقال غيره: الزفر: الحمل، تزفر: تحمل.

انظر: فتح الباري، ابن حجر، 3542/6، 3543.

⁵ - أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب حمل النساء القرب إلى الناس في الغزو، برقم 2725، 1056/3.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيدة بوفاجس

ولأجل ذلك ذهب بعض المعاصرين إلى جواز تولية المرأة الولايات العامة مثل الوزارة ونحوها، إذ إننا "لا نجد في نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة ما يمنع من ذلك، إذا كانت المرأة مؤهلة له بحكم تعليمها وخبرتها، وبنفس الضوابط والقيود السابقة التي قررتها النصوص، ولا نجد فارقاً في ذلك بين المرأة والرجل، أما ما يذهب إليه بعض الباحثين المسلمين من أن قوله ﷺ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب/33) دليل على منعها أصلاً من احتراف أية مهنة — فضلاً عن أن تكون ولاية عامة أو وزارة — فهو قول — فيما يبدو لنا — غير صحيح؛ لأن هذه الآية مخصوصة بنساء النبي ﷺ كما يقطع بذلك نصها وسياقها"¹.

ولنا في قصة ملكة سبأ عبرة، إذ حدثت قومها بلغة الفكر كما قال ﷺ: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ (النمل/34)، ... وقد أقر الله سبحانه رأيها السديد بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (النمل/34)².

وعلى الرغم من أن مستشاريها تعاملوا مع تحذير سليمان بعصبية وانفعالية، فإنها أدركت بعقلها الراجح ضرورة التعامل معه بحكمة، فسارت الأمور كما ذكر لنا

¹ - وهو ما ذهب إليه الدكتور محمد بلتاجي؛ فيعد أن ذكر ما يثبت خصوصية هذه الآيات بنساء النبي ﷺ من خلال الوقوف على سياقها مجتمعة قال: "فإن قال قائل: إن نساء المسلمين أولى بهذه الوصايا — فالنص يندرج عليهن بالأولى — لأنه إذا كان الله وجهها إلى من شهد لهن بآئهن طيبات، فأولى بها من لم تشهد له النصوص بذلك وهو بقية نساء المسلمين قلنا: إنه يقف أمام هذا عبارات وردت في الآيات مثل: ﴿لَسَتْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ و﴿يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ و﴿وَنُؤْثِقُهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ و﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ و﴿اذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، وكلها عبارات قاطعة بالخصوصية لهن.

انظر: مكانة المرأة، ص255، 256.

² - انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 13/194، 195، بتصرف.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التزويل ----- أ. سعيده بوفاجس

القرآن الكريم، إلى أن التقت الملكة نبي الله سليمان، فافقتعت بما يدعو إليه من دين الله
﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
(النمل/44)، وكان في إسلامها هذا فلاحها وفلاح قومها الذين ولّوها أمرهم أجمعين.

الترجيح:

بعد النظر في أقوال الفقهاء وأدلتهم، يترجح لي ما ذهب إليه الفريق الثاني وهو
أنّ أمر المرأة بالقرار للاستحباب، وهذا مبني على القاعدة الأصولية التي تقول: الأمر
للوّجوب ما لم تأت قرينة تصرفه لغيره¹، وقد جاء ما يصرفه وهو: ما استدل به الفريق
الثاني من جواز خروجها للصلاة وطلب العلم، وغير ذلك.

ومعلوم أن مرجعية المسلم في الحديث عن المرأة المسلمة وقضايا العصر — كما
في غير ذلك من شؤون المسلمين — تنحصر في نصوص القرآن الكريم، وفي ما صحّ من
حديث رسول الله ﷺ وسنته، وفي ما يستنبط من هذه النصوص بالرد إليها، لقول الله
﴿إِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ...﴾ (النساء/59)، وهو مبدأ
لخصه الإمام ابن القيم بهذه العبارة الجامعة: "لا قول مع قول الله وقول الرسول"².

فالشريعة هي النصوص المحكّمة من كتاب الله وما صحّ من سنة رسوله ﷺ، أما
عمل الفكر الإسلامي في إعمال هذه النصوص فهو ما يطلق عليه اسم الفقه؛ أي هو
العمل البشري الذي يقوم به الفقهاء المتخصّصون لبيان أحكام الشريعة في كل ما جدّ
من حوادث الناس كي يعرفوا حكم الله فيه، وهو لا يعتبر شريعة ولا يحتجّ به على أنه
دين، بل يحتجّ به على أنه فهم للنصوص الشرعية وتزويل لها على الواقع، والفقيه ليس

¹ - شرح مختصر الروضة، نجم الدين الطوفي، 365/2.

² - إعلام الموقعين، 282/3.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيده بوفاغس

معصوماً، بل قد يقع في الخطأ كما يصيب الصواب، والمجتهد من الفقهاء مأجورٌ أجرين حين يصيب، وأجرٌ واحداً حين يخطئ .

وما دام القرآن قد نزل بلسان العرب، فلا بد حتى نفهم نصوص القرآن والسنة النبوية من أن نتعرف على معاني الكلمات كما كان يفهمها العرب يومَ نزلَ القرآن، فلقد قال سبحانه وتعالى عن كتابه مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿فَإِنَّمَا يَسِرَّنَا بِلِسَانِكَ ...﴾ (مريم/97)، ويعني ذلك أمرين اثنين:

أولهما: أن القرآن ميسرٌ للفهم؛ بيّنه قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ...﴾ (القمر/17).

وثانيهما: أنه قد نزل بلسان الرسول الذي كان يتحدث به: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (إبراهيم/14)، أي بلغة العرب المتداولة في ذلك الوقت، وهي لغة مُضَرّ، أي لغة قريش ومن جاورها من العرب؛ كما قال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه لكتاب القرآن من المهاجرين: "فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم"¹، ولذلك قال العلامة ابن خلدون: "وإنما وقعت العناية بلسان مُضَرّ ... وكان القرآن مُنزَلاً به، والحديث النبوي منقولاً بلُغته"².

فكثيرة هي الكلمات التي ابتعد عامة الناس — بل حتى فقهاؤهم ومفسروهم — بمعانيها عن المعاني التي نزل بها القرآن، أو جاء بها حديث النبي ﷺ، ثم أخذوا يَلَوْنُ أعناقَ النصوص القرآنية والنبوية لتتفق مع مصطلحات العصر الذي يعيشون فيه. وهو ما لَفَتَ النظرَ إليه شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال: "ومن أعظم أسباب العَلَطِ

¹ - أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب نزل القرآن بلسان قريش، رقم 3315، 1291/3، عن أنس رضي الله عنه.

² - المقدمة، ص 634.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيدة بوفافس

في فهم كلام الله ورسوله، أن ينشأ الرجل على اصطلاح حادث، فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الاصطلاح ويحمله على تلك العادة التي اعتادها"¹.

على أنه ينبغي التمييز في هذا المجال بين المقاصد والوسائل إذ إن "تعيين بعض هذه الوسائل كان من أسباب الخلط والزلل في فهم الشريعة ... فإن بعض الناس خلطوا بين المقاصد والأهداف الثابتة التي تسعى النصوص إلى تحقيقها، وبين الوسائل الآنية والبيئية التي تعينها أحياناً للوصول إلى المقصد المنشود، فتراهم يركزون كل التركيز على هذه الوسائل كأنها مقصودة لذاتها، مع أن الذي يتعمق في فهم النصوص وأسرارها يتبين له أن المهم هو المقصد، وهو الهدف الثابت والدائم، والوسائل قد تتغير بتغير البيئة أو العصر أو العرف، أو غير ذلك من المؤثرات ... فإذا جاء النص — ولا سيما من الحديث النبوي — على شيء منها فإنما ذلك لبيان الواقع لا ليقيدنا بها، ويمدنا عندها أبد الدهر"²، على أنه ينبغي أن نذكر بأن كل ما ورد بشأن المرأة من أحكام يُقصد منه الستر والحشمة والمحافظة على شخصيتها، كما أنه ينأى بها عما يחדش حيائها أو يمس كرامتها.

ومن أهم القضايا التي ينبغي الإشارة إليها في ما نحن بصدد قضية الخطاب القرآني؛ ففي القرآن الكريم واللغة العربية عموماً نوعان من الخطاب: أحدهما خطاب للإناث وحدهن، والثاني خطاب للذكور والإناث معاً، فليس في اللغة العربية خطاب للذكور وحدهم، وأكثر ما يطالعنا في القرآن الكريم هو هذا الخطاب المشترك، فقلوه ﷻ: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الحديد/07)، ليس موجَّهاً للرجال وحدهم كما لا يخفى على أحد .

¹ - الرسائل والفتاوى، 101/3.

² - دراسة في فقه مقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية، د. يوسف القرضاوي، ص 176، 177.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيده بوفافس

قال الإمام الخطابي معلقاً على حديث: "إنما النساء شقائق الرجال": "إن الخطاب إذا ورد بلفظ الذكور كان خطاباً للنساء (كذلك)، إلا مواضع الخصوص التي قامت أدلة التخصيص فيها"¹.

وقال الإمام ابن القيم: "وقد استقر في عرف الشارع أن الأحكام المذكورة بصيغة المذكّرين إذا أُطلقت ولم تقترن بال مؤنث، فإنها تتناول الرجال والنساء"².

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني: "والنساء شقائق الرجال في الأحكام إلا ما خُصَّ"، كما نَقَلَ قولَ الكرّماني: "حُكْمُ الرجل والمرأة واحدٌ في الأحكام الشرعية"³، وهو مثل ما قاله الإمام ابن رشد: "إن الأصل أن حكم الرجال والنساء واحد، إلا أن يثبت في ذلك فارق شرعي"⁴.

وقبله قال الإمام ابن حزم: "ولا خلاف بين أحد من العرب ولا من حاملي لغتهم، أوّلهم عن آخرهم، في أن الرجال والنساء وأن الذكور والإناث، إذا اجتمعوا وخُوطبوا أو أُخبر عنهم، أن الخطاب والخير يَرِدَانِ بلفظ الخطاب والخير عن الذكور إذا انفردوا، ولا فرق، وأن هذا أمرٌ مُطَرَّدٌ أبداً على حالة واحدة، فصَحَّ بذلك أنه ليس لخطاب الذكور — خاصةً — لفظٌ مجرّد في اللغة العربية غيرُ اللفظ الجامع لهم ولإناث، إلا أن يأتي بيانٌ زائدٌ بأن المراد الذكور دون الإناث. فلما صحَّ ذلك ... لم يَجُزْ أن يُخصَّ بشيء من ذلك الرجال دون النساء، إلا بنصّ جلي أو إجماع ..."⁵.

¹ - معالم السنن، 1/161.

² - إعلام الموقعين، 1/92.

³ - فتح الباري، 1/587.

⁴ - بداية المجتهد، 1/182.

⁵ - الإحكام في أصول الأحكام، 3/80.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيده بوفاغس

إلى أن قال بعد ذكر أزواج النبي ﷺ وعددٍ من كرائم الصحابيَّات رضي الله عنهن: "ولا خلاف بين أحد من المسلمين قاطبة في أنهن مخاطبات بقوله ﷺ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ...﴾ (المزمل/20)، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة/185)، وقوله: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ...﴾ (البقرة/278)، وقوله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ ...﴾ (النور/33)، وقوله: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ (البقرة/282)، وقوله ﷺ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ...﴾ (آل عمران/97)، وقوله ﷺ: ﴿ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ...﴾ (البقرة/199)، وقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة/91)، وقوله ﷺ: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ...﴾ (النساء/06)، وسائر أوامر القرآن"¹.

"وقد سأل عمرو بن العاص رسولَ الله ﷺ: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ فقال: "عائشة"، قال: ومن الرجال؟ قال: "أبوها"²، ورسول الله ﷺ أعلم الناس باللغة التي بُعث بها فحملَ اللفظ على عمومته في دخول النساء مع الرجال"³.

وعندما توهَّمت إحدى الصحابيَّات أمراً من هذا القبيل، وهي أم عمارة الأنصارية، أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كلَّ شيء إلا للرجال، وما أرى النساء

¹ - الإحكام في أصول الأحكام، 82/3، بتصرف.

² - أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: "لو كنت متخذاً خليلاً"، رقم 3462، 1339/3، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، رقم 2384، 1856/4.

³ - الإحكام، ابن حزم، 83/3.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيده بوفاغس

يُذَكِّرَنَّ بِشَيْءٍ"¹، فترلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ... أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب/35).

فلقد بيّن سبحانه بقوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾ أن هذه الصيغة المشتركة تمثل الرجال والنساء جميعاً، وأنه لا فرق بينهم، وذلك بعد أن طُيّب خاطر هذه الصحابة المجاهدة بإبراز صيغة التأنيث في صفات المؤمنين.

أما "الدرجة" التي وردت في قوله ﷻ: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (البقرة/228)، فقد قال الإمام الطبري في تفسيرها: "هي الصفح من الرجل لامرأته عن بعض الواجب عليها، وإغضاؤه لها عنه، وأداء كل الواجب لها عليه. وهذا هو المعنى الذي قصده ابن عباس بقوله: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي، وما أحب أن أستنظف (أي أستوفي) كل حقي الذي لي عليها. وذلك أن الله تعالى ذكره قال: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ عقيب قوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة/228) ... وهذا القول وإن كان ظاهره الخبر، فمعناه معنى نذب الرجال إلى الأخذ على النساء بالفضل، ليكون لهم عليهن فضل درجة"².

وهذه الفوارق تبين بوضوح الاختلاف في بعض التكاليف: كفرض الجهاد على الرجل دون المرأة، وفرض النفقة عليه دونها؛ أمّا كانت أو بنتاً أو زوجة أو غير ذلك،

¹ - رواه الترمذي في السنن، كتاب تفسير القرآن، سورة الأحزاب، رقم 3211، 354/5، وقال فيه: حديث حسن غريب، وإنما يعرف هذا الحديث من هذا الوجه، وعلق عليه الشيخ الألباني فقال: صحيح الإسناد.

² - تفسير الطبري، 4/536.

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التزويل ----- أ. سعيدة بوفاغس

وعليه؛ اقتضت الحكمة تكليف المرأة بصيانة بيت زوجها، ورعاية أولادها، بدءاً من الحمل، ومروراً بالرضاع، وانتهاءً بالقيام بعامة شؤونهم الحوية¹.

مما سبق يتضح لنا جملة من الثوابت الأساسية التي تعين على بيان الرأي الراجح في قضية عمل المرأة في ضوء مقاصد الشريعة وفقه التزويل، وهي تتلخص في النقاط الآتية:

1- الإسلام كرم المرأة وأعلى من شأنها، وساواها بالرجل في الحقوق والواجبات والأحكام والجزاء إلا ما جاء فيه دليل على التخصيص.

2 - الإسلام لا يهون ولا يقلل من شخصية المرأة ولا من عقلها وذكاها، ولكنه يراعي تكوينها وطبعها وميولها التي تختلف عن خصائص الرجل بصورة لا محل للتراع فيها؛ قال ﷺ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك/14).

3- من أوجه تكريم الإسلام للمرأة أن جعلها جوهرة مصونة، فلم يحتّم عليها السعي لتحصيل قوتها، بل جعل القيام بها والنفقة عليها واقعين على زوجها إن كانت متزوجة، أو على وليها إن كانت بلا زوج، أو على بيت مال المسلمين إن كانت بلا عائل.

4 - لم يحرم الإسلام المرأة من حقوقها المطلوبة من التعليم وإبداء الرأي، والمشاركة الجادة في قضايا مجتمعتها، وخروجها لأداء مصالحها المختلفة، ما دامت ملتزمة بضوابط الشرع في اللباس والتعامل والخلطة وغيرها.

5- هناك حالات تبيح للمرأة أن تعمل، مثل أن تقوم بالأعمال التي تتناسب مع فطرتها وطبعها كالتعليم وتطبيب النساء وغير ذلك ما دامت ملتزمة بضوابط الشرع الحنيف، وحينئذ فإن عملها يكون وسيلة إلى جلب المال، وهو يرجع على أسرها بتحسين مستوى المعيشة، ولقد ثبت أن الصحايات كنّ يتصدقن ويأتين المعروف من

¹ - حكم عمل المرأة في الفقه الإسلامي، عدنان بن ضيف الله آل الشوابكة، ص 40 .

عمل المرأة بين مقاصد الشريعة وفقه التنزيل ----- أ. سعيده بوفاغس

حصائل أعمال أيديهن، فكان دليلاً على أن عمل المرأة وسيلة إلى رواج المال وتوزيع الثروة، وهما من أهم الأركان الداعمة لكلية حفظ المال.

§ - ينبغي أن ننظر إلى الواقع الحالي ونحن نعالج قضية عمل المرأة حتى نحافظ على سلامة المجتمع المسلم، وحتى نأخذ بيد الأمة إلى ما فيه رشدتها وتقدمها، فالواقع الحالي — كما هو واضح لكل أحد — مليء بالفتن والاختلاط والمنكرات، حتى أصبح التحلل والتفسخ من قيم الدين هو المظهر الغالب.

لذلك كان من الضروري أن نصون المرأة من الولوج في بعض الوظائف التي تزيد الأسرة تمزقاً والمجتمع تفككاً، وهذا الرأي هو الجاري على أصل النظر للمآلات؛ لأن خروج المرأة إلى العمل مع عدم التزامها باللباس الشرعي، وخروجها عن الآداب العامة، قد أدى إلى اتساع خرق المفاسد على الواقع، وهو أمر فيه من الوضوح ما لا يحتاج إلى دليل.

منهج ابن الكلبي في وصف ديانت العرب القديمة من خلال كتاب "الأصنام"

أ. د. طير طيبات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

ملخص المقال:

ستتعرف من خلال هذا المقال عن بعض القضايا الغيبية المتعلقة بالإنسان في المصادر الدينية اليهودية لا بمنهج وصفي إثباتي فقط، ولكن بمنهج تحصيلي نقدي ينفذ إلى عمق النص الديني، كاشفا ما فيه من تناقض، وعلى أساس هذا المنهج في البحث وصلت إلى جملة من النتائج تضمنتها خاتمة هذا المقال.

Abstract:

In the present article we will deal with some unseen issues relative to man in different Jewish religious references not only through a supporting descriptive method that considers the profoundness of religious text revealing the contradictions it entails.

On the basis of such a method in research, I reached the couple of results lying in the conclusion of the present article.

مقدمة:

لقد خص المسلمون علم التاريخ بعناية بالغة لملهم إلى معرفة مصائر الأمم الماضية وحوادث الأزمان السابقة، واهتموا بالأنساب فرووا الأخبار، وجمعوا ما استطاعوا من الروايات وألفوا، ولم يتركوا ميدانا من ميادين النشاط الإنساني المادي والفكري إلا وسجلوا تاريخه، ومن بين هذه الميادين الميدان الديني الذي انصب عليه اهتمام جل المؤرخين لارتباطه بالجانب الروحي لدى الإنسان الذي انبرى علماء الاسلام في التأليف فيه، خاصة ما تعلق بالديانة العربية القديمة، وممن حسن تأليفهم في هذا الميدان من العرب القدماء هشام بن الكلبي صاحب كتاب "الأصنام"، ومن هنا تتجلى لنا أهمية البحث في هذا الكتاب لأنه يعد المصدر الأول في التأريخ للديانة العربية القديمة، إذ أن كل الذين أرخوا لها قد رجعوا إلى هذا الكتاب، كما أنه يعرفنا بظاهرة دينية كانت منتشرة كثيرا في البيئة العربية القديمة، والتي كان لها الأثر الكبير في الحياة الدينية والاجتماعية للعرب آنذاك، هي ظاهرة الوثنية الدينية.

ومن أجل ذلك ولأهمية الكتاب وصاحبه يجدر بنا التعرف إليهما من خلال طرح السؤال الآتي: من هو ابن الكلبي؟ وما منهجه في كتابه الأصنام؟ وما قيمته العلمية؟

التعريف بابن الكلبي:

هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمر الكلبي، كنيته أبو المنذر، نسابة، إخباري، كان عالماً بالنسب وأخبار العرب وأيامها، ووقائعها ومثالبها، نشأ بالكوفة وتوفي بها¹، أخذ العلم عن أبيه ابن أبي النضر محمد المفسر، الإخباري² الذي كان من أصحاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون أن علياً لم يمت، وأنه راجع إلى الدنيا قبل قيام الساعة، فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً، وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها، حتى تقرأ واحد منهم وقال:

ومن قوم إذا ذكروا علياً يصلون الصلاة على السحاب³

بالإضافة إلى أخذه عن أبيه، فقد أخذ عن مجموعة من فحول العلماء وأكابر الرواة المحققين، أمثال مجالد وأبي مخنف لوط، وقد حدث عنه ابنه العباس ومحمد بن سعد، وخليفة ابن خياط، وابن أبي السري العسقلاني،

وأحمد ابن المقدام العجلي⁴، وقد ذكر الخطيب في "تاريخ بغداد" أن هشاماً كان يقول: "حفظت ما لم يحفظه أحد، ونسيت ما لم ينسه أحد، كان لي عم يعاتبني على

¹ - ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم الأدياء، ط1 (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، 1411 هـ/ 1991 م) مجلد 5، ص 595.

² - منير البعلبكي، موسوعة المورد، ط1 (دار العلم للملايين - بيروت - 1981 م) مجلد 5، ص 152.

³ - ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 595.

⁴ - أبو سعد عبد الكريم بن منصور السمعاني، الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ط1 (دار الجنان - بيروت - لبنان: 1408 هـ/ 1998 م) ص 86.

منهج ابن الكلبي في وصف ديانة العرب القديمة ----- د. لمير طبيبات

حفظ القرآن، فدخلت بيتا وحلفت ألا أخرج منه حتى أحفظ القرآن، فحفظته في ثلاثة أيام، ودخلت يوما أنظر في المرأة فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة فأخذت ما فوق القبضة¹، وقال إسحاق ابن إبراهيم الموصلي: "رأيت ثلاثة إذا رأوا ثلاثة يذويون: علويه إذا رأى مخارقا، وأبا نواس إذا رأى أبا العتاهية، والزهرى إذا رأى هشاما"².

وقد كان الرجل آية في معرفة نسب العرب، حتى صار في زمانه فردا يضرب به المثل، ولقد بلغ من أمره أن القوم كانوا يقصدونه في معرفة أنسابهم أو في انتحال الأنساب لهم، إذا كانوا قد نالوا حظا من الاشتهار، ومن ذلك أن أبا نواس طلب منه أن يزج به في نسب بني مذحج وهدهد إذا لم يفعل ذلك وقد روى الجاحظ أن هشاما كان يأكل الناس أكلا، وكان علامة نسابة، وراوية للمثالب عيابة³.

توفي ابن الكلبي بالكوفة سنة 204 هـ وقيل سنة 206 هـ، والأول هو

الأصح⁴.

¹ - شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط1 (مؤسسة الرسالة- بيروت-1402 هـ/1982 م) ج10، ص 101.

² - الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، المكتبة السلفية- المدينة المنورة- مجلد 14 .

³ - ابن الكلبي، الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا (مقدمة المحقق)، ط3 (دار الكتب المصرية- القاهرة-1995 م) ص 16-18.

⁴ - ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، د.ط (دار صادر- بيروت-) مجلد 6، ص 184.

منهج ابن الكلبي في وصف ديانة العرب القديمة ----- د. لمير طبيبات

لقد خلّف ابن الكلبي مجموعة كبيرة من المؤلفات يقال إنّها بلغت مئة وخمسين مصنفًا¹، ذكر منها ابن النديم نقلًا عن أبي الحسن الكوفي ما يأتي:

1. كتبه في الأحلاف: كتاب حلف عبد المطلب وخزاعة، كتاب حلف الفضول وقصة الغزال، كتاب حلف كلب وتميم...

2. كتبه في المآثر والبيوتات والمنافرات والمؤودات: كتاب المنافرات، كتاب بيوتات قریش، كتاب شرف قصي ابن كلاب وولده في الجاهلية والإسلام، كتاب ملوك كندة...

3. كتبه في أخبار الأوائل: كتاب حديث آدم وولده، كتاب منطق الطير، كتاب المسوخ من بني إسرائيل، كتاب الأصنام...

4. كتبه فيما قارب الإسلام من أمر الجاهلية: كتاب مناحح أزواج العرب، كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم-، كتاب دخول جرير على الحجاج...
5. كتبه في أخبار الإسلام: كتاب التاريخ، كتاب تاريخ أجناد الخلفاء، كتاب المصلين...

6. كتبه في أخبار البلدان: كتاب البلدان الكبير، كتاب الأسرار، كتاب أسواق العرب...

7. كتبه في أخبار الشعر وأيام العرب: كتاب الكلاب، كتاب الأيام، كتاب مسيلمة الكذاب...

8. كتبه في الأخبار والأسمار: كتاب الفتیان الأربعة، كتاب السم، كتاب عجائب البحر...

¹ - شمس الدين الذهبي، المرجع السابق، ج10، ص102. انظر أيضا: ياقوت الحموي، المرجع السابق، مجلد 5، ص 596.

منهج ابن الكلبي في وصف ديانة العرب القديمة ----- د. لمير طيبات

هذا بالإضافة إلى كتاب النسب الكبير وكتاب أمهات النبي - صلى الله عليه وسلم-، وكتاب جمهرة الجُمهرة¹. الذي هو طبعة موسعة لمؤلف والده، ويحوي ملاحظات مختصرة، بعضها مهم عن مشاهير الرجال في كافة الحقول، وأصبح هذا الكتاب المرجع الأول للمؤلفين فيما بعد، ولكن الهمداني يعده ناقصا في أنساب قبائل اليمن²

ونشير إلى أن هذه المؤلفات قد اندثرت، فلم يبق من آثار هذا النابغة العربي الإسلامي إلا التز اليسير من الروايات التي نقلها بعض المصنفين، ولا يوجد الآن سوى ثلاثة كتب، وهي الجمهرة في النسب، وكتابان صغيران في الحجم ولكنهما احتويا على العلم الجَم، وهما كتاب نسب الخيل في الجاهلية والإسلام، وكتاب الأصنام³.

وقد اختلفت المصادر التي استقى منها ابن الكلبي مادته التاريخية والمعارف الدينية، ففي تاريخ الأنبياء أخذ عن "أهل الكتاب"، وفي تاريخ إيران يأخذ من الترجمات عن الفارسية ومن الأخبار والقصص المتداولة، كما أنه أخذ عن كتب عوانة وأبي مخنف ويبيدي حصافة خاصة حين يستفيد من الكتابات والوثائق في كنائس الحيرة

¹ - ابن النديم، الفهرست، ط(دار المعرفة - بيروت - لبنان-1415 هـ/1994 م)، ص ص 124 إلى 127.

² - عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (دار المشرق بيروت لبنان: 1983م) ص-4041 أنظر أيضا: عبد العزيز سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية (دار النهضة العربية- بيروت) ص 36.

³ - ابن الكلبي (مقدمة المحقق)، المرجع السابق، ص 19.

منهج ابن الكلبي في وصف ديانة العرب القديمة ----- د. لمير طيبات

وهي تتعلق بتاريخ عرب الحيرة والعلاقات بين العرب والساسانيين ويأخذ من القصص الشعبي في تاريخ اليمن¹.

والكتاب الذي نحن بصدد دراسته هو "كتاب الأصنام" الذي يعد سجلاً وافياً لأخبار العرب وأيامهم وأصنامهم وأشعارهم وكهانهم، وهذا الكتاب لا يمكن الاستغناء عنه في دراسات الديانات القديمة في الحجاز، لأنه يتضمن كل ما تعبد به العرب في تلك العصور الغابرة من الأصنام والأنصاب إلى جانب بيوت العبادة المعظمة عند العرب، بالإضافة إلى تناوله اليهودية والمسيحية وبقايا ديانة إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام² -

منهج ابن الكلبي في كتابه الأصنام:

يعد ابن الكلبي من أكثر مؤرخي الأديان عند المسلمين تأثراً بعلوم الحديث، والقارئ لكتاب الأصنام يجد أدلة عديدة على هذا، ويمكن تلخيص تأثير علوم الحديث على ابن الكلبي فيما يأتي:

أولاً: الإسناد

وفيه يقول ابن الكلبي: "الإسناد في الخبر مثل العلم في الثوب"، والإسناد في علم الحديث كما هو معروف هو إشارة إلى سلسلة رواة الحديث التي تسبق عادة متن الحديث، وقد نهج ابن الكلبي هذه النهج للدلالة على مصادر روايته للخبر الديني، وهو

¹ - عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 40 - 41 انظر أيضاً: عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 36.

² - الطاهر ذراع، الديانات القديمة في الحجاز قبل الإسلام من خلال المصادر العربية والكتب السماوية، إشراف: محمد البشير شني، رسالة ماجستير (جامعة قسنطينة - معهد العلوم الاجتماعية دائرة التاريخ: 1410 هـ / 1990 م)، ص 11.

ما يوضح اهتمامه بالتحري والاحتياط في نقل الأخبار الدينية¹. - خاصة أنه كان يمثل مرحلة انتقالية بين فترة سابقة كان ينعدم فيها الإسناد، وبين أسلوب المحدثين الدقيق في الإسناد². فاستخدامه للإسناد دليل على التثبت في النقل، فهو عبارة عن شهادة للسماع، حيث ينتهي الإسناد إلى آخر من شهد الخبر، ورأى مصدره وسمع عنه، وهو كذلك دليل على اتصال النسب العلمي بين راوي الخبر الديني وسماعه، فالراوي شاهد عيان لما يرويه، وهذا بمنطق علماء تاريخ الأديان المعاصرين يساوي الملاحظة المباشرة مع استخدام الإسناد لنقلها³، ومن أمثلة الإسناد في كتاب الأصنام "وحدثنا رجل من قریش عن أبي عبيدة بن عبد الله بن أبي عبيدة بن عمار ابن ياسر وكان أعلم الناس بالأوس والخزرج قال: كانت الأوس والخزرج ومن يأخذ يأخذهم من عرب أهل يثرب وغيرها، فكانوا يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها، ولا يخلقون رءوسهم. فإذا نفروا أتوه (يعني ودا)، فحلقوا رءوسهم عنده وأقاموا عنده. لا يرون لحجهم تماماً إلا بذلك"⁴، وفي بعض الأحيان كانت العننة أو سلسلة الإسناد تنتهي إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - "قال هشام: فحدثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قال النبي "عليه السلام": رفعت لي النار فرأيت عمراً رجلاً قصيراً أحمر أزرق يجر قصبه في

¹ - كابوري محمد، مالك بوناب، دراسات عربية معاصرة في علم تاريخ الأديان، إشراف: بشير كردوسي، مذكرة ليسانس (جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة - 1426 هـ / 2005 م) ص 89.

² - عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 125.

³ - كابوري محمد، مالك بوناب، المرجع السابق، ص 90.

⁴ - ابن الكلبي، المصدر السابق، ص 14.

منهج ابن الكلبي في وصف ديانة العرب القديمة ----- د. لمير طبيبات

النار. قلت: من هذا؟ قيل: هذا عمرو بن لحي، أول من بحر البحيرة، ووصل الوصيلة، وسبب السائبة، وحمل الحامية، وغير دين إبراهيم، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان...¹

ثانياً: التحمل والأداء

بالإضافة إلى استخدام ابن الكلبي للإسناد في توثيق مادته عن ديانة العرب، نجد أنه استخدم أيضاً مراتب مختلفة من مراتب تلقي العلم، ومراتب الأداء، التي يبين فيها كيف تحمل الخبر الديني، وكيف نقل إليه، وكذلك تحديد مصادر الكتب التي استقى منها مادته الدينية التاريخية.

ومن مراتب التحمل عنده السماع، حيث إنه يستخدم للدلالة عليه عبارات معينة تدل على أن الخبر الديني وصل إليه بطريقة شفوية، ومن هذه العبارات: "سمعت"، "حدثني"²، ومن أمثلة ذلك في كتابه الأصنام:

"حدثنا أبي وغيره - وقد أثبت حديثهم جميعاً - أن إسماعيل بن إبراهيم "صلى الله عليهما" لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق، ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضاً، فتنفسحوا في البلاد لالتماس المعاش"³، وفي موضع آخر قال: "وقد سمعت أن هذا البيت لم يكن بيت عبادة، إنما كان منزلاً شريفاً"⁴...، بالإضافة إلى هذا فإن ابن الكلبي يروي السماع المعتمد على رؤية، ومن أمثلة ذلك قوله: "فحدثني مالك بن حارثة

¹ - ابن الكلبي، المصدر السابق، ص 58.

² - كابوري محمد، مالك بوناب، المرجع السابق، ص 91.

³ - ابن الكلبي، المصدر السابق، ص 6.

⁴ - المصدر نفسه، ص 45.

منهج ابن الكلبي في وصف ديانة العرب القديمة ----- د. لمير طيبات

الأجداري أنه رآه، يعني ودا. قال: وكان أبي يبعثني باللبن إليه، فيقول: اسق إهلك. قال: فأشربه. قال: ثم رأيت خالد بن الوليد بعد كسره فجعله جذاذاً¹.

وفي موضع آخر قال الكلبي: فقلت للمالك بن حارثة: صف لي ودا حتى كأني أنظر إليه. قال: كان تمثال رجلٍ كأعظم ما يكون من الرجال، عليه حلتان، متمرر بحلة، مرتد أخرى. عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوساً، وبين يديه حربة فيها لواء، ووفضة أي جعبة فيها نبل²، ونجده يستخدم أيضاً عبارة: "وأنشدني" حين يشير إلى مصدر شعري: "قال أبو المنذر هشام بن محمد: وأنشدني الشرقي في ذلك لسراقة بن مالك بن جعشم المدلجي من بني كنانة: ألم ينهكم عن شتمنا، لا أبا لكم! ... جذام ولخم أعرضت والمواسم؟

وعلى الرغم من أن ابن الكلبي قد استخدم منهج المحدثين، الذي هو منهج دقيق لما يتسم به من خاصية البحث والتحري والنقد سواء في مصادر المعلومات أم في ناقلها، فإننا نجد عنده جانباً من التساهل في الإسناد، حيث ينقل عن أشخاص مجهولين، ويتجلى ذلك في قوله، حدثنا رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عبد الله...³، وقد بلغنا أن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ذكرها يوماً (العزى)، فقال: لقد أهديت للعزى شاةً عفراء، وأنا على دين قومي⁴..، ولعل السبب في ذلك راجع إلى كون ابن الكلبي كان متأثراً إلى حد كبير بالاتجاه القبلي أو التزعة القبلية العربية، بخاصة

¹ - المصدر نفسه، ص 55.

² - المصدر نفسه، ص 56.

³ - ابن الكلبي، المصدر السابق، ص 14.

⁴ - المصدر نفسه، ص 19.

أن البيئة الثقافية آنذ في الكوفة والبصرة، تشجع على ذلك ولم تخل من الآداب التي تعج برواية القصص والأساطير والإسرائيليات¹.

إن القارئ لكتاب الأصنام لابن الكلبي يجد أنه قد اعتمد على المنهج التاريخي الوصفي أيضاً، ومن ملامح هذا المنهج التاريخي تأريخه لبداية التوحيد بإرجاعه إلى عصر آدم- عليه السلام²، وهو في ذلك يتفق مع التصور القرآني من ناحية، ومع تصور بعض مؤرخي الأديان المسلمين وغير المسلمين، فيما يتعلق بالأصل الأول لنشأة الدين³. أما عن تاريخ بداية الانحراف في هذا الخط الديني التوحيدي، فيورد ابن الكلبي روايتين مختلفتين في ذلك، أولهما ترجع هذا الانحراف إلى الفترة التي جاءت بعد موت آدم- عليه السلام-، وقد كان الذي أدى ببني آدم إلى عبادة الأصنام رجل من بني قاييل بعد أن رأى بني شيث يعظمون قبر آدم، ويترحمون على جسده، فنحت لقييلته صنما يعظمونه ويطوفون حوله، أما الرواية الثانية فترجع بداية هذا الانحراف إلى زمن قوم نوح الذين نحتوا خمسة أصنام لرجال صالحين منهم ماتوا في شهر واحد لتخليد ذكراهم، ومع مرور القرون اختلط الأمر على المتأخرين منهم فأصبحوا يعبدونهم، فبعث الله فيهم نبيه نوح- عليه السلام- ليهديهم إلى الصراط المستقيم، وقصته معروفة انتهت بالطوفان الذي أغرق الجميع ماعدا الفئة المؤمنة منهم⁴. وعلى هذه السنة جرت الأحداث في الجزيرة العربية، حيث يبدأ التحديد الفعلي للتوحيد في هذه المنطقة بعصر إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام-، أما عن بداية تحول العرب القدماء إلى عبادة

¹ - عبد العزيز الدوري، المصدر السابق، ص 19.

² - ابن الكلبي، المصدر السابق، ص 50-51.

³ - كابوري محمد، مالك يوناب، المرجع السابق، ص 93.

⁴ - ابن الكلبي، المصدر السابق، ص 51-53.

منهج ابن الكلبي في وصف ديانة العرب القديمة ----- د. لمير طيبات

الأصنام والأوثان وهجرهم للتوحيد، فيرجعها ابن الكلبي إلى العصر الذي بدأت فيه الحروب والعداوات بين بني إسماعيل، الأمر الذي جعل وحدثهم الدينية تتصدع، وتظهر فيهم مظاهرو نوازع الشرك، والوثنية، وكان الذي أدخل هذا التزعة العقيدية الشركية إلى هذه المنطقة هو عمرو بن لحي، بعد توليه حجابة البيت، فدعا العرب إلى عبادة الأصنام فعبدوها، ومن هذا الوقت انتشرت عبادة الأصنام في المنطقة العربية بكل أنواعها، واختلطت الطقوس التوحيدية الأصلية بطقوس العبادة الشركية¹. وقد كان هذا الكتاب لوحا حافظا لمعلومات مهمة حول أصنام العرب، وكذا بعض أوصافها، وحتى زمن هدمها بعد مجيء الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالإسلام ومحاربتة للشرك والوثنية.

بالإضافة إلى هذا نجد أن ابن الكلبي اعتمد على المنهج الوصفي إلى جانب المنهج التاريخي، فحين يؤرخ لصنم ما فيقتضي بالضرورة عليه ذكر مواصفاته، وكذا مواصفات بعض الطقوس والعبادات التي كانت تؤدي له، وذكر القبائل التي اختصت بعبادته، وفي بعض الأحيان يورد ما قيل من أشعار في ذلك، ومن أمثلة المنهج الوصفي:

1- وصفه لعدد من الأصنام:

- (1) اللات: وقد كانت عبارة عن صخرة مربعة.
- (2) هبل: كان على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى، جعلت له قریش بعدها يدا من ذهب.
- (3) ذو الخلصة: كان مروة بيضاء منقوشة عليها كهيفة التاج.
- (4) سعد: كان عبارة عن صخرة طويلة.

¹ - ابن الكلبي، المصدر نفسه، ص 6 و8.

منهج ابن الكلبي في وصف ديانة العرب القديمة ----- د. لمير طبيبات

(5) ود: كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال، له حلتان متزرتان بحلة، مرتد أخرى، عليه سيف قد تقلده، وقد تنكب قوساً، وبين يديه حربة فيها لواء، وجعبة فيها نبال، وقد اتخذته ود بدومة الجندل.

(6) الفلّس: كان أنفاً أحمرًا في وسط جبهتهم الذي يقال أجاً أسود كأنه تمثال إنسان. هذا وقد هدمت كل الأصنام في عصر النبي على أيدي كثيرين من الصحابة بأمر منه -صلى الله عليه وسلم-.

2 - وصفه لبعض المناسك والهدايا التي كانت تقدّم للأصنام:

منها: - تلبية عك، وإذا خرجوا حجاجاً، قدموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانهم، فكانا أمام ركبهم.

فيقولان: نحن غرابا عك!

فتقول عك من بعدهما: عك إليك عانيه، عبادك اليمانيه، كيما نحج الثانية.

وما كانت تفعله الأوس والخزرج عندما تحج، فكانوا يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يخلقون رؤوسهم، فإذا نفروا أتوا مناة فحلّقوا رؤوسهم عنده وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماماً إلا بذلك، وقد كانوا من أشد الناس إعظاماً لهذا الصنم¹. ومما سبق يتبين لنا عناية ابن الكلبي بتاريخ ظهور الأصنام، وجهوده المتواضعة في بيان أوصافها باستخدامه لمناهج حديثة، كمنهج المحدثين والمنهج التاريخي الوصفي، ومن ثم يمكن القول بأن ابن الكلبي - سبق عصره - أو كان له السبق في مسألة المناهج التي أسس لها من بعده بزمان طويل.

¹ - ابن الكلبي، المصدر السابق، ص 16.

نظرة نقدية:

هناك ثلة من المؤرخين ممن كان لهم رأي خاص في ابن الكلبي، فخصوه بالثناء والتقدير، ونقلوا عنه الكثير من الأخبار المنسوبة إليه خاصة ما تعلق منها بالتاريخ والنسب والطرائف والأوابد¹ كابن سعد في (الطبقات الكبرى)، وأبي جعفر الطبري الذي أكثر في النقل عنه، والكل يعلم مقامهما بين أهل العلم، وروى عنه أيضا الجاحظ كثيرا، والمسعودي اعتمد عليه في كتبه، بل عده في مقدمة الإخباريين وأهل العلم بالتاريخ، ثم جرى على هذه السنة كذلك ياقوت الحموي وعبد القاهر البغدادي².

غير أننا نجد أن الذهبي لديه رأي آخر، وهو أنه على الرغم من أن هؤلاء السابقين قد نقلوا عنه الكثير من الأخبار، إلا أنهم ربما محصوا شيئا مما أخذوه عنه وردوه، لما رأوا فيه من افتعال وتوليد³. أما الخطيب البغدادي في كتابه "تاريخ بغداد"، فقد قال إنّه كان واسع الرواية، ومن الحفاظ المشاهير، ولم يبد حوله رأيا خاصا، بل أورد أقوال بعض المحدثين حوله أمثال أحمد ابن حنبل الذي قال بأنه كان متروك الحديث، وكان مرفوضا وغير ثقة، وقد نحا هذا النحو صاحب كتاب "قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر"، وكذلك ابن العماد الحنبلي في كتابه: "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"⁴.

¹ - المصدر نفسه، ص 28.

² - المصدر نفسه، ص 34.

³ - المصدر نفسه، ص 37.

⁴ - المصدر نفسه، ص 57.

هناك فريق من العلماء، وبخاصة من أهل الحديث الذين طعنوا في ابن الكلبي، ومن هنا نحوه، وحجتهم في ذلك أنهم تعرضوا لرواية الآثار دون أن تتوفر فيهم الشروط اللازمة فيمن يتصدر لإملاء الحديث، كما أقدموا على تدوين الآثار ممزوجة ببعض الأساطير والأقاصيص، وهذا هو السبب الذي دعا أصحاب الحديث إلى الطعن في أمثال أولئك المصنفين، والتحذير من الأخذ بأقوالهم، وأهل الحديث معذرون في ذلك، لكثرة ما رأوا من الوضعيين الذين دلسوا وأخلطوا الحق باليقين، خاصة وأن ابن الكلبي اشتهر عند أهل السنة بالرفض والغلو في التشيع¹.

وقد ذكر السمعاني: "أن هشام ابن الكلبي يروي العجائب والأخبار التي لا أصول لها... وأخباره في الأغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفها"، كما أنه روى عن والده الذي عرف بأنه كان من أصحاب عبد الله بن سبأ الذي كان سبياً في فتن كبيرة بين المسلمين، وكان مرفوضاً عند أهل الحديث، ونتج عن ذلك رفضهم لابنه كذلك، وقد قال عبد الله ابن أحمد ابن حنبل: سمعت أبي يقول: هشام ابن محمد ابن السائب ابن الكلبي، من يحدث عنه، إنما هو صاحب عر ونسب ما ظننت أن أحدا يحدث عنه².

وقال أحمد كذلك: هشام بن الكلبي الغالب عليه الأخبار والأسمار والنسب، ولا أعرف له شيئاً من المسند، وقال يحيى بن معين: غير ثقة، وليس عن مثله يروى الحديث، وقد اتهمه الأصمعي، وذكره العقيلي وابن الجارود وابن السكن وغيرهم في الضعفاء،

¹ - المصدر نفسه، ص 59.

² - ابن الكلبي، المصدر السابق، ص 14.

منهج ابن الكلبي في وصف ديانة العرب القديمة ----- د. لمير طيبات

وقال ابن عساكر: رافضي ليس بثقة¹. ومما سبق يتضح لنا أن أصحاب الحديث قد رفضوا ابن الكلبي رفضا كليا، وعدوه متروكا، وهذا راجع لنقله لبعض الأساطير والعجائب التي لا أصل لها.

الخاتمة: مما سبق نستنتج ما يلي:

- اشتهار ابن الكلبي بكثرة رواياته وغازاتها، وكذلك نبوغه في علم الأنساب واعتباره من أهم العلماء الذين جمعوا بين الأنساب والأخبار والدراسات الأدبية.
- كثرة كتب ابن الكلبي دليل على غزارة علمه، خاصة في أخبار العرب في الجاهلية، وكذا تنوع المصادر التي استقى منها مادته التاريخية. اعتبار ابن الكلبي إخباري أكثر منه مؤرخ، لعدم ظهور علم التاريخ في عصره كعلم مستقل له مناهجه وقواعده.
- اعتماد ابن الكلبي على منهج المحدثين بغية التدقيق والتثبت في الروايات التي نقلها.
- استخدام ابن الكلبي المنهج التاريخي والوصفي للتأريخ لبداية عبادة الأصنام في الجزيرة العربية، ووصفه لبعضها، وبعض العبادات والمناسك التي كانت تؤدي لها.
- نقل ابن الكلبي في بعض الأحيان لبعض القصص والغرائب والأساطير، وهذا دليل على نقله للأخبار دون تنقيحها وغربلتها وهذا ما وقع فيه الكثير من الإخباريين الأوائل.

¹ - شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ص 101.

منهج ابن الكلبي في وصف ديانة العرب القديمة ----- د. لمير طبيبات

- رفض المحدثين لكل الروايات التي رواها ابن الكلبي والسبب في ذلك هو تساهله في الإسناد، وروايته لبعض الأحاديث الموضوعة.

- تضارب آراء العلماء في ابن الكلبي، وجلهم كان يرفضه أي يرميه بالكذب، ومن ثم حق لنا التساؤل: هل بإمكاننا الأخذ عن ابن الكلبي واعتباره مصدرا نستقي منه معلوماتنا خاصة في ما يخص الديانة العربية

القديمة؟ أم أنه يجب علينا إعادة النظر في هذه الشخصية والتحري عما قيل حولها لأخذ الحيطة والحذر أثناء النقل عنه؟ وهو ما يفتح المجال من جديد لمواصلة البحث في الإرث التاريخي والديني والمنهجي لهذه الشخصية.

المصادر والمراجع المعتمدة:

- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، د. ط (دار صادر - بيروت-) مجلد 6.

- ابن الكلبي، الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا (مقدمة المحقق)، ط3 (دار الكتب المصرية - القاهرة-1995م).

- ابن النديم، الفهرست، ط1 (دار المعرفة - بيروت - لبنان - 1415هـ/1994م).

- باخمره أبي محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ط 1 (دار المنهاج: السعودية-جدة-: 1428هـ / 2008م)، مجلد .

- البعلبكي منير، موسوعة المورد، ط1 (دار العلم للملايين - بيروت - 1981م) مجلد5.

- البغدادي الخطيب، تاريخ بغداد، المكتبة السلفية - المدينة المنورة - مجلد 14

- منهج ابن الكلبي في وصف ديانة العرب القديمة ----- د. لمير طيبات
- الحموي ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء، ط1 (دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، 1411هـ / 1991م) مجلد 5.
- الحنبلي أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان-)، مجلد 1.
- عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب دار المشرق بيروت لبنان: 1983 م).
- العزيز سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية (دار النهضة العربية-بيروت).
- ذراع الطاهر، الديانات القديمة في الحجاز قبل الإسلام من خلال المصادر العربية والكتب السماوية، إشراف: محمد البشير شنيقي، رسالة ماجستير (جامعة قسنطينة- معهد العلوم الاجتماعية دائرة لتاريخ: 1410 هـ / 1990م).
- الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط1 (مؤسسة الرسالة- بيروت- 1402هـ / 1982م) ج 10.
- السمعاني أبي سعد عبد الكريم ابن منصور، الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ط1 (دار الجنان- بيروت- لبنان: 1408هـ / 1998م).
- محمد كابوري، مالك بوناب، دراسات عربية معاصرة في علم تاريخ الأديان، إشراف: بشير كردوسي، مذكرة ليسانس (جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة- 1426هـ / 2005م).
- يزبك فاسم، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ط1 (دار الفكر اللبناني- بيروت- 1990م).

من نصوص الكتب السماوية السابقة في القرآن والسنة

أ.د. صالح بومعوت

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

الملخص:

تناولت في هذا المقال النصوص الدينية السابقة لتزول القرآن الكريم، كالصحف التي أنزلت على سيدنا إبراهيم عليه السلام والتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام والزبور الذي أنزل على داوود عليه السلام والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام، التي وردت في القرآن الكريم بصريح العبارة والسنة النبوية الصحيحة، مع الإشارة إلى هذه النصوص الموجودة في الكتاب المقدس على صورته الحالية.

Abstract:

The present article sheds light on the religious texts previous the revelation of the holy book "QURAN" such as the books revealed to ABRAHAM (P.B.U.H), the torah revealed to mooses (P.B.U.H), the ZABUR that was revealed to DAVID (P.B.U.H) and the Gospel revealed to jesus (P.B.U.H) as was openly mentioned in the Quran and the authentic hadiths of prophet mohammed (P.B.U.H) mentioning the different texts in the holy bible in its current image.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أما بعد:

إن الله عز وجل خلق البشر ولم يتركهم هملاً، بل أرسل إليهم رسله ليرشدهم إلى طريق الهدى، ولا شك أن أعظم ما أيد به رسله الكتب التي أنزلها عليهم حيث كانت بمثابة دساتير يسير عليها أقوامهم بعدهم، وحاجة البشر للكتب السماوية تفوق كل الحاجات، كما يقول ابن تيمية: الرسالة ضرورية للعباد، لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأى صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة. والله قد سمى رسالته روحاً، والروح إذا عدمت فقدت الحياة، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} ¹ فذكر هنا أصلين، وهما: الروح والنور ².

يعد الإيمان بالكتب الإلهية المتزلة مزية خاصة بالدين الإسلامي فهو جزء لا يتجزأ من منظومة الإيمان الكلية لهذا الدين الحنيف، ولا يكتمل إيمان المسلم ولا يتحقق إلا بالإيمان بهذه الكتب، قال الله سبحانه وتعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ} ³، وقال سبحانه مادحاً المؤمنين: {وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ} ⁴ أي بالكتب كلها التي أنزلها

¹ - الشورى 52.

² - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج9، ص93-96.

³ - البقرة 285.

⁴ - آل عمران 119.

على الأنبياء السابقين عليهم السلام، وفي خطابٍ إلهي آخر: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} ¹ فقد قرن سبحانه الإيمان بكتبه بالإيمان به، وجعل عاقبة الكفران بها كعاقبة الكفران به، سواء بسواء وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على المكانة التي يوليها الدين الإسلامي للكتب السماوية السابقة، ولما كان القرآن الكريم خاتم هذه الكتب، فقد ضمنه الله تعالى بعض ما جاء في الكتب السابقة، لتثبيت قلب النبي عليه الصلاة والسلام، وإقامة الحجة على أهل الكتاب، وقد تطرقت في بحثي هذا إلى ذكر النصوص التي وردت مصرحة أو ملمحة في القرآن الكريم لأحد الكتب السابقة أو بعضها، وكذلك في السنة النبوية مكتفيا بالصحيح والحسن منها دون غيره، فكانت المحاور كالآتي:

1- الكتب السماوية في العقيدة الإسلامية:

من المعلوم بالضرورة في الدين الإسلامي أن الإيمان مبني على ستة أركان منها الإيمان بالكتب السماوية، ودل على ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} ² وقد أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم - في حديث جبريل المشهور - أن الإيمان الجمل بالكتب السماوية هو جزء من حقيقة الإيمان الكلي، وذلك بقوله: (الإيمان أن تؤمن بالله

¹ - النساء 136.

² - النساء 136.

من نصوص الكتب السماوية السابقة ----- أ. صالح بوجمعة

وملائكته وكتبه¹. ومما ينبغي أن يعلم أن على المسلم أن يؤمن بأربعة كتب ذكرت بأسمائها في القرآن الكريم، وهذه الكتب هي:

1.1. الصحف:

وهي صحف أنزلت على النبي إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} ²، ومفهوم مصطلح "صحيفة" في القرن الأول الهجري يعني تقيد التراث كتابيا، وقد اشتهر من الصحف التي تصب في هذا المفهوم ما ذكر عن صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص التي كتب هو نفسه فيها الأحاديث النبوية³، وعليه فإن للصحف المعنى نفسه للكتاب.

أما عن الإطار الزمني لتزول صحف إبراهيم عليه السلام، فإن القرآن والسنة النبوية لا يحددان عصرا محددا لبعثة إبراهيم عليه السلام، لكن يستدل من قصص التوراة، ومن بعض الوثائق التاريخية، على أن إبراهيم عليه السلام ظهر نحو عام 1850 ق.م، وحسب الرواية التوراتية، فقد تلقى إبراهيم الوعد الإلهي في حاران، ثم هاجر إلى كنعان، كما تنقل إلى مصر، ثم عاد واستقر في كنعان⁴

¹ - رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه 1/36.

² - الأعلى 14-19.

³ - فالخ شبيب العجمي، صحف إبراهيم، ط1، بيروت، دار العربية للموسوعات، 2006، ص 7.

⁴ - عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (الموسوعة الموجزة في جزأين)، ط5، 2009، دار الشروق، القاهرة، مج1، ص 400.

1. 2. التوراة:

وهو كتاب أنزله الله على موسى عليه السلام ويتضمن كتاب التوراة والصحف التي أنزلت على موسى عليه السلام والألواح التي جاء بها بعد مناجاته لربه في جانب الطور، قال الله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ} ¹.

التوراة: كلمة عبرية ومعناها الحرفي هو التعليم ² كما تعني الرشد والهدى، ويسمونها "بنتاتوك" باللغة اليونانية (pentateuch) وهي ترجمة بمعنى الكتاب ذو الأسفار الخمسة ³.

وتشير كلمة التوراة بالدرجة الأولى إلى أسفار موسى الخمسة (سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد وسفر التثنية)، ولكنها تشير كذلك إلى كتب الأنبياء، وكتب الحكمة والأمثال بعدها هي الأخرى كتب مدونة ⁴.

وقد أنزلت التوراة باللغة العبرية، وهي لغة اليهود زمن بعثة موسى عليه السلام، وقد حدد الباحثون فترة بعثته حوالى القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد، لكن الدراسات الحديثة قد أثبتت أن كل سفر من الأسفار الخمسة قد كتب في زمن ومكان مختلفين عما هو عليه في باقي الأسفار، حيث ألف سفر التكوين والخروج في القرن التاسع قبل الميلاد، أما سفر التثنية فقد ألف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، وأن

¹ - المائدة 44.

² - أحمد رجبى العرابي، سفر تاريخ اليهود، ط1، دار الأوائل، دمشق، 2004، ج1، ص 321.

³ - المصدر نفسه، ص 322.

⁴ - عبد الوهاب المسيري، المصدر السابق، مج2، ص 21.

من نصوص الكتب السماوية السابقة ----- أ. صالح بوجمعة

سفري العدد واللاويين قد ألفا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد¹، وهذا ما يفسر ما جاء في القرآن الكريم من تحريف اليهود للتوراة الموجودة بين أيدينا في العصر الحالي، قال تعالى: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ}².

وقد أنزلت التوراة باللغة العبرية القديمة، وهي لغة اليهود في أثناء بعثة النبي موسى عليه السلام، وسميت بالقديمة تميزا لها عن اللغة العبرية الحديثة التي انتشرت بين اليهود بعد السبي البابلي (586 ق.م)، وقد تم ترجمة التوراة وأسفار العهد القديم إلى اللغة اليونانية في سنتي 282-283 ق.م، ومن ثمة ترجمة إلى اللاتينية ومنها على اللغات العالم الأخرى³، وكانت أول ترجمة للتوراة إلى اللغة العربية في زمن الخليفة هارون الرشيد من طرف أحمد بن عبد الله بن السلام الإنجيلي نقلا عن اللغة الآرامية⁴ وهذه الأسفار هي:

1. سفر التكوين: ويتحدث عن خلق السموات والأرض، وآدم، والأنبياء بعده إلى موت يوسف عليه السلام
2. سفر الخروج: ويتحدث عن قصة بني إسرائيل من بعد موت يوسف عليه السلام إلى خروجهم من مصر، وما حدث لهم بعد الخروج مع موسى عليه السلام
3. سفر اللاويين: وهو نسبة إلى لاوى بن يعقوب، الذي من نسله موسى

¹ - علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة قبل الإسلام، ط7، دار نهضة مصر، القاهرة، 2006، ص17.

² - البقرة 79.

³ - علي عبد الواحد وافي، المصدر السابق، ص 12.

⁴ - أحمد رجي العرابي، المصدر السابق، ج2، ص 330.

من نصوص الكتب السماوية السابقة ----- أ. صالح بوجمعة

وهارون عليهما السلام، وأولاد هارون هم الذين فيهم الكهانة، أي: القيام بالأمور الدينية، وهم المكلفون بالمحافظة على الشريعة وتعليمها الناس، ويتضمن هذا السفر أموراً تتعلق بهم وبعض الشعائر الدينية الأخرى.

4. سفر العدد: وهو معنيّ بعدّ بني إسرائيل، ويتضمن توجيهات، وحوادث حدثت من بني إسرائيل بعد الخروج.

5. سفر التثنية: ويعني تكرير الشريعة، وإعادة الأوامر والنواهي عليهم مرة أخرى، وينتهي هذا السفر بذكر موت موسى عليه السلام وقبره، وقد يطلق النصارى اسم التوراة على جميع أسفار العهد القديم.

أما في اصطلاح المسلمين فهي: الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام نوراً وهدى لبني إسرائيل.

1.3. الزبور:

الزبور لغة هو الكتاب عامة، ويخصص بأنه الكتاب الذي يدون بخط غليظ، وقيل في تعريفه: إنه كل كتاب مقصور على الحكم العقلية دون الأحكام الشرعية. والزبور كتاب سماوي، فهو الكتاب المتّلى على نبي الله داود عليه السلام، وقد ورد لفظ الزبور في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم على أنه كتاب سماوي، كتاب وحي ورسالة¹، وقيل: الزبور كل كتاب يصعب الوقوف عليه من الكتب الإلهية، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ}².

¹ - النساء 163 وفي سورة الإسراء 55 والأنبياء 105.

² - الشعراء 196.

من نصوص الكتب السماوية السابقة ----- أ. صالح بوجمعة

واصطلاحا هو الكتاب الذي أنزله الله على داود عليه السلام، قال الله تعالى:

{وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا} ¹.

1. 4. الإنجيل:

وهو الكتاب الذي أنزل على عيسى ابن مريم عليه السلام قال الله تعالى: {ثمَّ

قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ} ².

الإنجيل كلمة يونانية تعني البشارة أو الأخبار السارة ³. ويكتب باللغة الإنجليزية

(Gospel)، وكان بولس هو أول من استعمل هذه الكلمة في رسائله، وهي تعني

البشارة كما استعملها لوقا في إنجيله. بمعنى الأخبار الملزمة التي تخص المسيح وملكوته

الله ⁴. ويطلق النصارى اسم الإنجيل على الكتب الأربعة التي تنصدر كتابه المقدس العهد

الجديد، وهو الذي يحتوي على الأناجيل الأربعة: إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا، ثم

أعمال الرسل، ثم رسائل بولس الرسول وعددها 14، ثم الرسائل الأخرى ورؤيا يوحنا

اللاهوتي.

وجميع أسفار العهد الجديد كتبت باللغة اليونانية، أما الترجمات إلى اللغات

الحديثة فتتم عن النص اليوناني ⁵، غير أن بعض الباحثين ذهبوا إلى أن متى كتب إنجيله

بالآرامية لما عزم على ترك منطقة اليهودية أراد أن يخلف لقومه اليهود كتابا يتضمن

¹ - النساء 163.

² - الحديدي 27.

³ - محمد السعدي، دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، ط1، دار الثقافة، دوحه، ص 11.

⁴ - مانع سعدون، المسيحية (العقيدة والمذاهب والتاريخ)، ط1، دار اليانبيع، دمشق، 2010،

ص547.

⁵ - توماس ميشال، مدخل إلى العقيدة المسيحية، د.ط، دار المشرق، بيروت، 1992، ص 33.

من نصوص الكتب السماوية السابقة ----- أ. صالح بوجمعة

حياة المسيح مع النبوات التي تدل على حقيقته من العهد القديم¹.

أما تاريخ كتابة الأناجيل التي يتضمنها العهد الجديد، فأول الأناجيل هو إنجيل متى الذي ألفه حوالي سنة 60 ميلادي، أما مرقس فقد ألف إنجيله على أرجح الأقوال حوالي 63 أو 65 ميلادي، وكذلك فعل لوقا، أما يوحنا فقد ألف إنجيله حوالي سنة 90 ميلادي².

ويتضمن الإيمان بالكتب عدة أمور نذكر منها:

* الإيمان بأنها كلام الله تعالى لا كلام غيره، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء، وعلى الوجه الذي أراد .

* الإيمان بأنه كان واجباً على الأمم الذين نزلت عليهم تلك الكتب الانقياد لها، والحكم بما فيها كما قال تعالى بعد ذكر إنزال التوراة: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}³، وقال تعالى: {وَلْيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}⁴ فدلّت الآيتان على وجوب أن يحكم أهل كل ملة بما أنزل الله عليهم، وذلك قبل أن يطرأ النسخ على تلك الكتب .

* اعتقاد أن جميع الكتب السماوية يصدق بعضها بعضاً ولا يكذبه، فكلها من عند الله سبحانه، فالإنجيل مصدق لما تقدمه من كتب كالتوراة، قال تعالى {وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ}⁵ والقرآن مصدق

¹ - منسى يوحنا، تاريخ انتشار الديانة المسيحية، د.ط، مكتبة المحبة، القاهرة، 2004، ص 80.

² - علي عبد الواحد وافي، المصدر السابق، ص 88.

³ - المائدة 44.

⁴ - المائدة 47.

⁵ - المائدة 46.

من نصوص الكتب السماوية السابقة ----- أ. صالح بوجمعة

لجميع الكتب السماوية السابقة قال تعالى: {وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ} ¹، وإنما حصل الاختلاف في التوراة والإنجيل بسبب التحريف الذي دخلهما .

* الإيمان بأن نسخ الكتب السماوية اللاحقة لغيرها من الكتب السابقة حق، كما نسخت بعض شرائع التوراة بالإنجيل، قال الله تعالى: في حق عيسى عليه السلام {وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} ²، وكما نسخ القرآن جميع الكتب السابقة فليس بعده كتاب مصداقاً لقوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} ³، كما ليس بعد محمد عليه الصلاة والسلام نبي ⁴.

تتفق الكتب السماوية في أمور عديدة منها:

أولاً- وحدة المصدر: فمصدرها واحد؛ فهي منزلة من عند الله، قال تعالى: {الَمْ (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ (4)} ⁵.

ثانياً- وحدة الغاية: فالكتب السماوية غايتها واحدة، فهي كلها تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى دين الإسلام؛ فالإسلام هو دين جميع الرسل، قال تعالى:

¹ - فاطر 31.

² - آل عمران 50.

³ - المائدة 48.

⁴ - أحمد بن حجر البغلي، العقيدة السلفية بالأدلة النقلية والعقلية، دار الإيمان، الاسكندرية، د.ط،

2005، ص 230.

⁵ - آل عمران 1-4.

من نصوص الكتب السماوية السابقة ----- أ. صالح بوجمعة

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} ¹.

وقال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} ².

والإسلام هو الدين الذي أُمِر به إبراهيم عليه السلام {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} ³.

وقال موسى عليه السلام لقومه: {يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ} ⁴

والحواريون قالوا لعيسى عليه السلام: {آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} ⁵.

فالغاية إذاً هي الدعوة إلى دين الإسلام، وإلى عبادة الله وحده لا شريك له.

ثالثاً- مسائل العقيدة: فالكتب اشتملت على الإيمان بالغيب، ومسائل العقيدة،

كالإيمان بالرسول، والبعث والنشور، والإيمان باليوم الآخر إلى غير ذلك.

2. من نصوص الكتب السماوية السابقة في القرآن والسنة:

2. 1. من نصوص الكتب السماوية السابقة في القرآن:

لقد جاء في القرآن الكريم التصريح بمضامين بعض الفقرات في الكتب السابقة،

وفي مواضع أخرى لا نجد التصريح بالكتب السابقة، وإنما نجدتها عامة، ولهذا ارتأينا

ذكر هذه الآيات في كل الكتب السابقة لاحتمال ورودها فيها كلها.

¹ - النحل 36.

² - آل عمران 19.

³ - البقرة 131.

⁴ - يونس 84.

⁵ - آل عمران 52.

2. 1. 1. الصحف:

لقد أورد الله عز وجل ذكر ما جاء في صحف إبراهيم في موضعين، وعطف عليها في كل منها بصحف موسى.

والموضع الأول هو في سورة النجم، عند قوله تعالى: {أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى • وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى • أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى • وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى • وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى • ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى • وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى • وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى • وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا • وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى • مِنْ تُفْطَةِ إِذَا تُمْنَى • وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى • وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى • وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَى • وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى • وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى • وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى • وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى • فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى • فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى • هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى • أَرَفَتِ الْآزِفَةَ • لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ • أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجَّبُونَ • وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ • وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ • فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا} ¹.

والثاني في سورة الأعلى، حيث قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى • وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى • بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا • وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى • إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى • صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} ².

2. 1. 2. التوراة:

ومن المواضع التي لم يحدد الله عز وجل فيها الكتاب التي وردت فيه هذه

¹ - النجم 36، 37 .

² - الأعلى 14-19 .

الآيات، ولما كانت أمة بين إسرائيل قد عرفت ثلاثة كتب مما هو مذكور عندنا في القرآن الكريم، ألا وهي التوراة والزبور والإنجيل رأينا أن نذكرها عند كل كتاب من هذه الكتب، وهي قوله تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ} ¹.

أما من الآيات التي تشترك فيها الصحف والتوراة، هي قوله تعالى: {أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بَمَا فِي صُحُفٍ مُّوسَى • وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى • أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى • وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى • وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى • ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى • وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى • وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى • وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا • وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى • مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى • وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى • وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى • وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى • وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى • وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى • وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى • وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى • فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى • فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى • هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذَرِ الْأُولَى • أَزِفَتِ الْآزِفَةُ • لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ • أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ • وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ • وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ • فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا} ².

وكذلك قوله تعالى في سورة الأعلى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى • وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى • بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا • وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى • إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ

¹ - المائدة 32.

² - النجم 36-37.

الأولى • صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى¹.

هذا، وقد اختلف العلماء في تصنيف صحف موسى عليه السلام، وهل هي التوراة أم هي مستقلة عنه، ورد في حديث عن أبي ذر مرفوعاً أن الله تعالى أنزل مائة كتاب وأربعة كتب منها ثلاثون صحيفة على شيث وخمسون صحيفة على إدريس وعشر صحف على إبراهيم وعشر صحف على موسى قبل التوراة ثم أنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان²، والحديث يفيد أن صحف موسى غير التوراة وأنها أنزلت عليه قبل التوراة .

أما الآيات التي تشترك فيها التوراة مع الإنجيل، نجد قوله تعالى في سورة الأعراف: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ³}.
قال الله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا⁴}.
1 - الأعلى 14-19.

2 - أخرجه الحسين الآجري وأبو حاتم البستي .

3 - الأعراف 157.

4 - الفتح 29.

أما ما اختص بذكر التوراة وحده، فنجد قوله تعالى: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ} لأن في الآية السابقة تم عطف جملة "كتبنا" على جملة "أنزلنا التوراة" ¹.

وهناك بعض الآيات، لا نجد تصريحاً بورودها في التوراة، لكن بعض العلماء يربطون بينها وبين الوصايا العشر التي وردت في التوراة، نظراً لاشتغالها على عشر وصايا عظيمة من الله للبشرية، وهذه الآيات جاءت في موضعين من القرآن الكريم:

الأول في سورة الأنعام في قول الله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)} ² والموضع الثاني في سورة الإسراء ويكاد أن يكون شرحاً للموضع الأول، قال الله تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ

¹ - طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون، ج6، ص 215.

² - الأنعام 151-153.

وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (25) وَءَاتَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (26) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (27) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (28) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (29) إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (30) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِئْتُمْ نَحْسًا تَرْتُفَهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطِئًا كَبِيرًا (31) وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (33) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنْ الْعَهْدُ كَانَ مَسْئُولًا (34) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (35) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (37) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (38) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (39) {¹

2. 1. 3. الزبور:

من الآيات العامة التي قد تكون وردت في الزبور هو قوله تعالى: {مِنْ أَجْلِ

ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَ ثَهُم رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ¹.

على الرغم أن اسم الزبور قد ورد في القرآن الكريم في ستة عشر موضعا، إلا أنه لم يصرح بمضمون ما جاء فيه إلا في آية واحدة، تمثلت في قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}². ونجد هذا المعنى واردا في فقرة من فقرات سفر المزامير المنسوب إلى النبي داود عليه السلام في العهد القديم "لأن عاملي الشر يقطعون، والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض"، كما جاء في إنجيل متى ما يشبهه، ونصه: "طوبى للودعاء، لأنهم يرثون الأرض"³.

وقد اختلف المفسرون في معنى الزبور، حيث نقل ذلك ابن كثير في تفسيره: عن الأعمش أنه قال: سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالى "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر" فقال الزبور: التوراة والإنجيل والقرآن، ثم أورد آراء أخرى لبعض الصحابة والتابعين: "وقال مجاهد الزبور الكتاب وقال ابن عباس والشعبي والحسن وقتادة وغير واحد: الزبور الذي أنزل على داود والذكر التوراة، وعن ابن عباس الذكر القرآن وقال سعيد بن جبير الذكر الذي في السماء وقال مجاهد الزبور الكتب بعد الذكر والذكر أم الكتاب عند الله واختار ذلك ابن جرير رحمه الله وكذا قال زيد بن أسلم هو الكتاب الأول وقال الثوري هو اللوح المحفوظ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الزبور

¹ - المائدة 32.

² - الأنبياء 105

³ - والمزامير 37:9. كما وردت أيضا في إنجيل متى 5:5

الكتب التي أنزلت على الأنبياء والذكر أم الكتاب الذي يكتب فيه الأشياء قبل ذلك" ¹.

2. 1. 4. الإنجيل:

من الآيات التي قد يشترك فيها الإنجيل مع التوراة والزبور، هو قوله تعالى: {مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَ تَهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ} ².

أما الآيات التي يشترك فيها الإنجيل مع التوراة، فنجدها في قوله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَاقِهِ يُعْجَبُ الزَّرَّاعُ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} ³.

وقوله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ⁴.

¹ - إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، ط 2، دار

طبية، الرياض المملكة السعودية، 1999م، ج4، ص 384-385.

² - المائدة 32.

³ - الفتح 29.

⁴ - الأعراف 157.

2. 2. من نصوص الكتب السماوية السابقة في السنة:

إذا كان التراث السني من تفاسير ومسانيد وإسرائيليات قد تضمن بكثرة نصوصاً من الكتب السابقة فإن القليل منها هو الذي يثبت لدينا عند اشتراط صحة السند، وأما في الأحاديث الضعيفة والموضوعة فهناك كم هائل، رأيت عدم التطرق إليه لأنه ليس موضع بحثي هذا، وقد ذكرت ما بلغ علمي أن علماء الحديث قد حسنوه أو صححوه، وهناك أحاديث عامة وأخرى خاصة بكل كتاب. وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن تاريخ نزول كل واحد منها، فقد ثبت عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أُنزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَتِ التَّوْرَةُ لِسِتِّ مَضَيِّنٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لثَلَاثِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ)¹.

2. 2. 1. الصحف:

من الأحاديث العامة التي أمكن ورودها في كل الكتب السابقة للإسلام، الحديث الذي رواه البخاري وغيره، عن أبي مسعود عقبة بن عامر الأنصاري البصري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»².

ومن الأحاديث التي حددت ما جاء في صحف إبراهيم عليه السلام ما أخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: قلت: يا رسول الله، ما كانت صحف إبراهيم (عليه السلام)؟ قال: «كانت أمثالاً كلها: أيها الملك المسلط المبتلى المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك

¹ - رواه أحمد في "المسند" (107/4) وحسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة" 1575.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الآداب، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها وإن كانت من كافر، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات: فساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله عز وجل، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب. وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً (مسافراً) إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو مَرَمَةً (إصلاح) لمعاش، أو لذة في غير محرم. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه...»¹ والحديث متواصل في ما يتعلق بصحف موسى عليه السلام، وهو ما سنذكره بعد قليل.

2. 2. 2. التوراة:

عن أبي مسعود عقبة بن عامر الأنصاري البصري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»². وقد أعدت ذكر هذا الحديث بنصه لأنه مشترك بين جميع الكتب السماوية، ونضيف إليه هنا بقية الحديث السابق، وهو حديث أبي ذر رضي الله عنه في صحيح ابن حبان قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف موسى (عليه السلام)؟ قال: «كانت عبراً كلها: عجت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، عجت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك، عجت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، عجت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها، عجت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل»³. وكذا ما جاء في صحيح البخاري، عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن

¹ - رواه ابن حبان في صحيحه، والإمام أحمد في المسند.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الآداب، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

³ - رواه ابن حبان في صحيحه، والإمام أحمد في المسند.

من نصوص الكتب السماوية السابقة ----- أ. صالح بوجمعة

عمرو بن العاص رضي الله عنهما: قلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: "يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا" وحزرا للأمم، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا"¹.

2. 2. 3. الزبور:

الحديث المذكور سابقا، والذي يعم سائر الكتب في قوله صلى الله عليه وسلم: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»².

2. 2. 4. الإنجيل:

ويتكرر معنى هذا الحديث النبوي الذي ذكرناه آنفا، والذي تطرق إلى عامة الكتب السماوية، إذ صرح لنا أنه قد ورد فيها: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»³.

¹ - رواه البخاري في صحيح البخاري كتاب البيوع باب كراهية السخب في السوق، تحت رقم 2018.

² - سبق تخريجه.

³ - سبق تخريجه.

الخاتمة

يتبين مما تقدم أن القرآن الكريم لم يهمل الكتب السماوية السابقة، ولم يكتف بذكر أسماء بعضها، بل عرض أهم ما تضمنته هذه الكتب، وفي ذلك حجة على أتباع هذه الكتب من اليهود والنصارى، وفيه نظرة إعجازية للقرآن الكريم، لأن الذي جاء به كان أمّياً لا يعرف الكتابة ولا القراءة، فذكر باختصار أهم ما تضمنته هذه الكتب، وأثبت ما حرفة أتباعها، وما غيروه فيها، كما في ذكر القرآن لهذه الكتب بيان ميزة هذه الأمة عن باقي الأمم التي جعلها شاهداً للأنبياء على أتباعهم.

الحركة الموحدية الإصلاحية بين المفاهيم الدينية والصراعات السياسية

أ.د. يوسف عابد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

الملخص:

ظهرت رغبة سكان بلاد المغرب السياسية في تغيير حكام بلادهم منذ نهاية الربع الأول من القرن الثاني الهجري - الثامن الميلادي وذلك على شكل ثورات وانتفاضات على الولاية العرب الوافدين.

وانطلقت من أبعد نقطة عن مركز نظام الحكم (القيروان) في بلاد المغرب. وهي بلاد السوس بالمغرب الأقصى، وقد شهدت المنطقة حين ذاك تنوعا قريبا (برغواطة، زناتة، ...صنهاجة ... الخ). هذا مع تنوع ديني نصرانية، يهودية، إسلام، وكان السكان جميعا محافظين ومتمسكين بالأعراف والتقاليد السائدة في الوسط الاجتماعي الريفية والحضري، الأمر الذي عمق سوء فهم أحكام الشرع الإسلامي.

مما أتاح الفرصة أمام السحرة والمشعوذين وأدعياء النبوة للظهور في هذه البيئة الدينية التي عرفت انتشار دعوة حركة الموحدين الإصلاحية.

Abstract:

The people of the Maghrib felt the political need for a change of the rulers of their countries since the end of the first quarter of the second century of the Islamic calendar- the 8th- C.A.D.- this need for a change took the form of revolutions and uprisings against the visiting arab governors.

This social and political unrest started in a place which is farthest from the centre of the power system- Cairouan- in Morocco. At that time, the whole region underwent a tribal renewal- Berghaouate, Zenata, Sanhaja, etc...-. In parallel, there was also a religious renewal: Christian, jewish, Islamic. All the people were conservative and close to the customs and traditions which existed in the rural and urban areas. As a consequence, the misunder standing of the Islamic legal rules deepened. That was an opportunity for sorcerers, charlatans and self- proclaimed prophets to appear in this religious environment where the activity of the movement for reform and unification expanded more and more.

عرض الموضوع:

عرفت أقاليم المغرب الأقصى انتفاضات سكانية منذ الربع الأول من القرن الثاني الهجري (122-740)¹ معلنة رفضها لأسلوب نظام الحكم الذي أسسه الفاتحون المسلمون، واتخذوا من الإسلام مفاهيم خاصة بهم. يعتمدون عليها في معارضة من يريد حكم بلادهم، ويعكسون رغبة مؤكدة في إضفاء طابع محلي على معتقداتهم في مجالات الحياة العامة.

ومن بين أهم الأقاليم التي عرفت تنوعا مذهبيا وجغرافيا إقليم السوس الأدنى والذي عُرف أيضا باسم تامسنا والذي أصبح جزءا من مملكة فاس² وكانت حدوده تنحصر بين نهر أبي الرقاق في الشمال ونهر أم الربيع في الجنوب وبين المحيط الأطلسي في الغرب وجبال الأطلس في الشرق³ وبغض النظر عن تغير مساحته اتساعا وانكماشاً فإنه كان إستراتيجيا وقد يكون موقعه هذا سببا في إنشاء عواصم المغرب الأقصى بالقرب منه⁴.

ومع أهمية موقعه هذا فقد تنوعت القبائل البربرية التي سكنته، ومن أشهرها قبيلة برغواطة المصمودية، وإلى جانبها سكنت قبائل من زهانة، وصنهاجة، وهوارة،

¹ - بدأت الثورة في إقليم طنجة (السوس الأدنى)، الرقيق لبقيرواني، تاريخ إفريقية والغرب، تحقيق ونشر المنحى الكعبي طبع تونس 1967، ص 110.

² - الابكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والغرب، الجزائر 1967، ص 161.

³ - ابن أبي زرع: روض القرطاس، الرباط 1973، ص 136.

⁴ - فمدينة فاس بنيت سنة 162هـ/808م، ومدينة مراكش التي بناها المرابطون عام 454هـ/1062م وكانت عاصمة لهم، ومدينة الرباط التي بدأ الموحدون في بنائها عام 545هـ/1150 (ابن سعيد المغربي، بسط الأرض، تطورات 1958، ص 72 الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج 1، ص 26..

الحركة الموحدية الإصلاحية ----- د. يوسف عابد
ومطماطة، وكانت الزعامة البرغواطية تدين بخليط من المعتقدات منها الجوسية
واليهودية والنصرانية والإسلام¹. ومعنى ذلك أن غالبية السكان من البربر اعتنقت
الإسلام خلال القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي، أما أقليتهم من اليهود
والنصارى فقد ظلوا على معتقداتهم. ويفهم من قول الحسن الوزان أن سكان هذا
الإقليم كانوا محافظين على عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم هي اللغة الإفريقية²، ويتحدث
بعضهم باللغة العربية لجاورهم للعرب وعلاقتهم معهم.

ويبدو أن ترجمتهم للشعائر الدينية وبعض السور والآيات القرآنية إلى لغتهم قد
زاد الخلط والخروج عن فرائض الإسلام، وزاد من عدد الأتباع الذين وجدوا في ما جاء
به البرغواطيون يحقق لهم رغبتهم، فتمدد شعبهم ليتواصل مع قبائل أخرى مثل زناتة،
وبعض من صنهاجة، وأهم القبائل التي انضوت تحت لوائهم واتبعتهم في مذهبهم قبائل
جراوة، وزواغة ومنجصة، وبني أبي نوح³.

وقد انتقلت فكرة إدعاء النبوءات إلى الأقسام الشمالية من بلاد المغرب فقد
عرفت قبيلة غمارة توجهات مماثلة لما انتشر في بلاد تامستنا، واستفحلت فيها أحوال
الردة وتكرار ظهور النبوءات، فقد تنبأ فيهم حاييم سنة 414هـ/1018م وشرع لهم
ديانات مستوحاة منه العقائد البرغواطية ثم جاء بني آخر مزعوم هو عاصم بن جميل
وبعده مرزوغ الغماري سنة 559هـ/1164م، وهكذا يظهر جليا أن منطقة الشمال

¹ - ابن عناري، البيان، ج1، ص 66.

² - اللغة الإفريقية التي يقصدها الحسن الوزان هي "أول أمزيغ" أي الكلام النبيل والتي تسمى
البربرية: وصف إفريقيا، ج1، ص 39.

³ - المراكشي، المعجب، ص 14-16.

الحركة الموحدية الإصلاحية ----- د. يوسف عابد
المغربي عرفت صورا خاصة من أحوال المروق عن الدين، وظهور المغامرين باسم الدين
والذين يثيرون الفتن الدينية، غارقين في انحرافات أخلاقية ودينية مدعمة بأفكار
مستوحاة من السحرة والمشعوذين.

ولم تكن مدينة سبتة بعيدة عن هذا الحراك الاجتماعي ذو الأساس الديني فقد
كانت سبتة تملك هوية دينية متواصلة بالأساس مع الأندلس بذلك عاشت تشكل
هاجسا للدولتين المرابطية والموحدية، وعرفت ما يشبه الاستقلال الذاتي¹.

لقد كانت البيئة الدينية في بلاد المغرب مضطربة لا تكاد تتخلص من موجة
مذهبية حتى تعود لاستقبال أخرى، فهذا المذهب خارجي وقد خفت حدته وقلّ أتباعه
بالمغرب الأقصى ومع ذلك وقعت انتفاضة على بن رزين الجزيري سنة 579هـ/1184م
وانظم إليه خلق كثير، ظهر في بداية أمره بمراكش ثم توسع نحو الشمال².

وعلى الرغم من مرور خمسة قرون على انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب
فإن أحوال الخوارج بمجالاتهم المعروفة لم تتغير كثيرا، وشهد على ذلك التحاني بقوله:
"ولا زالت تتقاسمهم مذاعب الوهبية والنكارية، لا يؤاكلون الغريب في آنيتهم، وإن
استقسى عابر سبيل ماء بعض آبارهم، استخرجوا ماء البئر كله لتطهيره، ولا يزالون
تاركين صلاة الجمعة لاشتراطهم وجود الإمام العادل لإقامتها³، وهذا يدل بوضوح
على حجم العمل الدعوي والتعليمي الذي تتطلبه البيئة الدينية خاصة في معقل السوس
الأقصى وجبال المصامدة وسجلماسة لأن سكان هذه المناطق يتحفظون على أفكار
أهل السنة بغض النظر عن صدقهم وتجردهم. فقد أدخل المصامدة عوامل أخرى في

¹ - الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص 228.

² - لين عزاري، البان الغرب، ج3، ص 141.

³ - التحاني ورحلته، ص ص 140-145.

الحركة الموحدية الإصلاحية ----- د. يوسف عابد
تقييم أهل السنة وطاعتهم كالمستوى الحضاري، والاقتصادي¹ حيث كان المصامدة
يمثلون البربر المستقرين والمزارعين، وأن الصنهاجيين صحراويين متخلفون وافدون على
مجالاتهم².

إن أحسن من قدم وصفا عن البيئة الدينية التي ظهرت فيها حركة الموحدين هو
الإدريسي إذ يقول: "أهل السوس فرقتان، فأهل مدينة تارودانت³ يتمذهبون بمذهب
الإمام مالك وهم حشوية، وأهل بلد تويوين يقولون بمذهب موسى بن جعفر (أي
شيعة) وبينهم أبدا القتال والفتنة وسفك الدماء⁴.

ومن المسائل التي أربكت البيئة الدينية التي شكلتها القبائل البربرية منذ بداية
عهد المرابطين إلى غاية ظهور الموحدين، نجد المبادئ الأشعرية تحرك بعض الفقهاء
والقضاة ورجال الخاصة بصفة عامة، مما يوسع الهوة بين العامة والخاصة، فقد كان
الغمام المازري من أكبر المتحمسين لمقالات الأشعرين⁵، ويشهد على ذلك القاضي
عياض عندما يشيد بمكانته في إفريقية⁶.

¹ - شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، ط2،
تونس، ص 123.

² - عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب خلال القرن السادس الهجري، دار
الشروق، ط1، بيروت 1983، ص 166.

³ - النويري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، من كتاب نهاية الأدب في فنون الأدب،
تحقيق وتعليق د/مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء 1984، ص 302.

⁴ - نزهة المشتاق، ج1، ص 228.

⁵ - السبكي، طبقات الشافعية، ج4، ص 124.

⁶ - محمد بن تاويت، القاض عياض، مجلة المناهل، ع19 سنة 1980، ص 8.

الحركة الموحدية الإصلاحية - - - - - د. يوسف عابد
وأكد الأستاذ عمار الطالبي انتشار المبادئ الأشعرية في أوساط الفقهاء وعلى
رأسهم الإمام ابن العربي (ت 543هـ/1148م) يظهر ذلك واضحا في كتابه العواصم
من القواصم¹.

لقد عمد ابن تومرت على وضع قواعد عمل لتأسيس أدوات الصراع السياسي
المنتظر، بعد أن فهم جيدا طبيعة البيئة الدينية لسكان بلاد المغرب، وتيقن من قوة
تعصب المفاهيم السائدة في كل ناحية، وكان أول عمل قام في أثناء عودته من المشرق
هو التزول إلى العوام، وتلقينهم المبادئ العامة للأشعرية².

يظهر من خلال السياق العام للأحداث أن ابن تومرت كان يهدف إلى إرباك
الوضع العام وإبعاد العامة من الناس عن السلطة الحاكمة.

لذلك سارع المرابطون إلى مناقشة مسألة جواز أو عدم إطلاع العامة عليها،
وأفضى النقاش بعلماء السلطة إلى ضرورة إخراج ابن تومرت من الحواضر حتى لا
يفسد عقول العامة، حسب ما صرح به عبد الواحد المراكشي³، وأكد البيدق هذا
التوجه العلمي حيث يقول: "إنه مر على ستة مواقع أو قرى صغيرة وبدأ يفظ القبائل
ويدعوهم للخروج على السلطة المرابطية"⁴ التي عجزت عن إصلاح العادات العادات
القديمة المناهضة للشريعة، ولمح إلى نشر عقيدة الأشعرية.

لقد كان ابن تومرت يدعو إلى إصلاح المجتمع ليستقيم أمر الدين الذي يقوم
أساسا على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحتى يتجنب مواقف شيوخ
القبائل المشكلة للوسط الديني، لم يعلن موقفه من المفاهيم الدينية المنتشرة في المجتمعين

¹ - آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، ش، الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1957، ص 100.

² - مجهول الحل الموشية ص ص 109، 113، 154.

³ - المعجب، ص ص 161-169.

⁴ - السابق، نفس الصفحات.

الحركة الموحدية الإصلاحية ----- د. يوسف عابد

الحضري والريفي، وإنما ركز على إظهار المفاصد الكبرى التي كرسها نظام المرابطين، حيث انتقد العلماء وحملهم مسؤولية تعاطي الناس المحرمات.

بعد أن لاحت بوادى نجاح دعوة ابن تومرت، راح يعزف على وتر العصبية القبلية إذ التفت إلى قبيلة مصمودية البربرية التي ينتمي إليها، وذكرهم بأوضاعهم التاريخية، موضحاً لهم الأوضاع الجديدة التي تتطلب التعاون والدفاع عن كيان القبيلة التي اضطهدت من قبل المرابطين سابق، وقال لهم: "فطالما كنتم في أيام زناتة يأتي الرجل على داره فيجد الزناتي بأمسك فرسه على باب الدار فما شبعتم الخبز إلا في أيامنا لا كسبتم المال إلى في دولتنا"¹.

ولما اتضح لابن تومرت أن دائرة الأتباع توسعت وكرهية الناس للمرابطين اشتدت أخذ بأساليب مدروسة ومحسوبة تتراوح بين اللين والشدّة لأجل إشعارهم بضرورة حفظ المشروع².

وعليه فقد تعاملت معه العناصر المكونة للبيئة الدينية لما تيقنت من أن مذهب ابن تومرت لا يؤيد مفاهيم أخرى قد تكون معادية لها، ومعلوم أن ابن تومرت جمع في مذهبه مشارب من المذهب المالكي، والشافعي، ولم يكن معتزلياً أكثر منه أشعرياً ولا ظاهرياً. فقد كان يظهر شيعته أو خارجيته أو اعتزاله أو أشعريته بقدر ما تطلبه الظروف والمواقف السياسية، لا أكثر.

مرحلة التأسيس للصراع السياسي:

بعد أن توترت واضطربت أحوال المجتمع حضره وريفه، وانقسم الناس بين مناصر لدعوة ابن تومرت ومتحفظ عليها وبين السلطة المرابطية ومؤيديها توجه إلى تعبئة الناس انطلاقاً من طبيعة الذهنية المغربية المنجذبة بقوة نحو الغيبيات والمقدسات،

¹ - البيدق، أخبار المهدي، ص 114.

² - ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 177-180.

الحركة الموحدية الإصلاحية ----- د. يوسف عابد
فراح يطرح أفكارا مناسبة لما يتطلبه الوضع، مثل إطلاق الموحدين على أنصاره وأتباعه
لما رآه من رغبة البربر في التوحد، وبذلك يزيد من عدد مناصريه، ويبتل إدعاء
خصومه الذين اهتموه بالخارجي¹.

وبعد ذلك نظر ابن تومرت إلى العناصر المكونة البيئة الدينية المغربية خلال
دعوته ولما تيقن من وجود جمهور عريض يكتم تشيعه ويتطلع إلى إعلان ذلك حتى
رآى الظروف مناسبة، ذلك أدى إلى إعلان ابن تومرت مهادوته لا لشيء وإنما
لاستقطاب المزيد من العناصر البربرية المتعاطفة معه، ويبدو أنه كان مضطرا من وجهة
النظر السياسية لإعلان ذلك تحقيقا لأهدافه المستقبلية وتخطيا للعراقيل المتوقع ظهورها
في تلك البيئة الدينية التي تحمل مفاهيم دينية غامضة ومغرضة². هذا من جهة ومن جهة
أخرى ثانية ليطمئن أهل الشيعة وهم أكثر أنصار دعوته³. وحتى لا يغضب أهل السنة
راح يعطي صورة مغايرة لما عرف عن عصمة المهدي في المعتقد الشيعي، فقد أخذ
محتوى العصمة من رأي أهل السنة للإمامة، الذين يشترطون العلم والعدالة.

وهكذا تمكن ابن تومرت من تحييد العناصر غير المؤيدة لدعوته على الأقل⁴ ولم
يبق أمامه غير المرابطين المحسمين حسب أدبياته المذهبية الأمر الذي دفعه على الانتقال
إلى مرحلة أخرى تمثلت في اتخاذ المبادرة العسكرية ضد المرابطين، ونقل ميدان القتال
إلى مناطقهم بين سنوات (518-523هـ، 1123-1128م)، ولم تدم مدة بقائه بعد
ذلك طويلا إذ وافاه الأجل بعد معركة البحيرة سنة 524هـ/1129م بثلاثة أشهر.

¹ - السابق، ص ص 186.

² - عاظم العلوي، حركة المهدوية في المغرب الإسلامي، مجلة كلية الآداب بفاس، ع 10، سنة 1989.

³ - النجار، المهدي بن تومرت، ص 252.

⁴ - هاشم العلوي، السابق، ص 189.

الصراع السياسي الداخلي:

بعد وفاة المهدي ابن تومرت تأكد أن اقتبس فكرة الإمامة المهديية لضرورات السياسة وذلك يرجع للوصية التي تركها فيما يتعلق بخلافة عبد المؤمن بن علي، والتي جاء فيها: " وقد اخترنا لكم رجلا منكم وجعلناه أميراً عليكم، هذا بعد أن بلوانه في جميع أحواله..."¹ وهذا على الرغم من وجود ثلاثة إخوة ذكور للمهدي ابن تومرت وهم شقيقه أحمد، وعيسى وعبد العزيز لوالدته.²

ومع الوصية ظهرت مناقشة حادة على قيادة الحركة الموحدية، ولم يمنع تطور الصراع على قتال سوى الاختفاء خلف المقدس والأسطورة، فقد أشار بعضهم إلى أن ابن تومرت كان قد تنبأ بخلافة عبد المؤمن له عندما كانا بملالة³، ودعم البيدق هذا التوجه بقوله: "الحمد لله الذي أنجز وعده ونصر عبده وأنفذ أمره وأقبل نحو المسجد، وركع ركعتين ثم قال، الحمد لله على كل حال قد بلغ وقت النصر وما النصر إلا من عند الله..." يصلحكم غذا طالب طوبي لمن عرفه وويل لمن أنكره⁴.

لقد مات المهدي ابن تومرت وأخفي خبر وفاته على الموحدين حتى لا ينفرد عقد الحركة الموحدية. وعمد المقربون إلى إيهام الناس بأنه مريض، وتصنعوا استشارته وتلقي أوامره، وهؤلاء نفرهم، عبد المؤمن بن علي، وإسماعيل إيكيك، وعمر بن عبد الله أزنك، وهم من أهل العشرة، وأبو محمد وأسنان من أهل الدار وزينب أخت ابن

¹ - المراهي، المعجب، ص 287.

² - يقول ابن القطان: إخوته رضي الله عنه عيسى وعبد العزيز لأب، وأحمد الكفيف وأخته زينب والأخت الأخرى لأب... نظم الجمان، ص 74.

³ - ابن أبي زرع، روض القرطاس مصر 179، 180، 183.

⁴ - أخبار المهدي، ص 14.

الحركة الموحدية الإصلاحية ----- د. يوسف عابد
تومرت¹، واستمرت الحال إلى سنة 527هـ / 1132م وكان تسيير شؤون الحركة
الموحدية خلال هذه الفترة جماعيا مع تفويض القيادة لعبد المؤمن²، وتجمع الروايات
التاريخية على أن سائر الموحدين قد بايعوا عبد المؤمن وتسمى منذ سنة 528هـ / 1133م
بأمير المؤمنين³، وهكذا نستنتج أن الموحدين لم يطبقوا نظرية السلطة السياسية من فكرة
الإمامة، فقد خرجت السلطة من عقب الإمام، وانتقلت إلى أبعد من ذلك حيث
خرجت من قبيلة هرغة المصمودية إلى قبيلة كومية الزناتية.

بداية الصراع السياسي:

بعد بيعه العبد المؤمن العلنية غادر تينملل متوجها على قلعة تازكورت بدرعة
للاستيلاء عليها، لكن بمجرد أن خرج انتهز ابن ملوية الفرصة واتجه نحو أمير المسلمين
علي بن يوسف المرابطي، واتفق معه على مهاجمة تينملل فأمدّه الأمير بقوة مرابطيه.
ولما وصل إلى مجال قبيلة كنفيسة وجد أحد زعمائها عبد الله وسدرن قد اتفق
مع الشيخ أبي سعيد يخلف على محاربة تلك القوة المرابطية، وتم قتله وحملت جثته إل
تينملل حيث صلبت⁴، ولعل دافع ابن ملوية للخروج على عبد المؤمن والانضمام
للمرابطين، هو أنه كان يرى نفسه أحق بخلافة ابن تومرت في قيادة الموحدين من عبد
المؤمن، فهو كان من أهل العشرة، ومن بين كبار قواد الموحدين، وعبد المؤمن نفسه
يعترف بأنه كان مرؤوسا له ويسمع أوامره أو على الأقل كان مساويا له في معركة
البحيرة⁵.

¹ - البيدق، السابق، ص 42.

² - ابن خلدون السير، ج6، ص 472.

³ - البيدق، المقتبس، ص ص 30-31.

⁴ - البيدق، أخبار المهدي، ص 121.

⁵ - ابن القطان، نظم الجمان، ص 122.

اتساع دائرة الصراع السياسي:

بعد الصراع الذي دشنه أحد أفراد العشرة، ها هو يتسع إلى أقارب ابن تومرت حول السلطة بعد إسقاط مراكش وفتح تلمسان. حيث أمر عبد المؤمن بأن لا تباع نساء بعض المرابطين الذين انضموا إلى الحركة الموحدية مؤخرا وبدأوا في نصرة توجهات الدولة الموحدية. لكن أخوي ابن تومرت عيسى وعبد العزيز أخذوا ابنتين كرها على الخليفة¹.

وعندما انتقل عبد العزيز وعيسى برفقة يصلاسن ابن عمهما² إلى اشبيليا وبعض مدن جنوب غرب الأندلس كشلب وبطليوس وقادس، انكشف أمرهم حيث توافدت الأخبار المؤكدة بأنهم شرعوا في الاتصال ببقايا المرابطين ونسقوا معهم في حشد المعارضة للدولة الموحدية، وفي هذا الخصوص يقول ابن خلدون: "... إن قرابة المهدي اعتمروا على الفتك بيوسف البطوررجي صاحب لبلة فلحق ببلده وأخرج الموحدون الذين بها وحول الدعوة عنهم ووصل يده بالمرابطين الذين كانوا بالعدوة وارتد ابن قسى في مدينة شلب، وبعد هذه النتائج المحفزة بالنسبة لأقارب ابن تومرت، عادوا إلى مراكش، وعلى إثر ذلك تبين لعبد المؤمن بن علي استخفاف أقارب ابن تومرت واستهتارهم بالسلطة الموحدية الناشئة التي يقودها عبد المؤمن، وعدوا أنفسهم أولى منه بتلك السلطة لأنهم من أقارب الإمام المهدي ابن تومرت.

ودخل عبد المؤمن في دائرة التربص بهم كما يفعلون، وأصبح كل طرف يحاول القضاء على خصمه، فعبد المؤمن يسعى جاهدا لتأكيد وتثبيت السلطة في ذاته، وأقارب

¹ - البيدق، السابق، ص 38، ابن خلدون، العبر، ج6، ص 478.

² - ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص ص 36-37.

الحركة الموحدية الإصلاحية ----- د. يوسف عابد
ابن تومرت يحاولون استردادها منه، فكان لا بد أن يدخل الطرفان في صدام مباشر خاصة وان دولة الموحدين بدأت تتذوق حلاوة النصر بعد ما بسطت نفوذها على أقاليم المغرب الأقصى وجزء كبير من الأندلس واتجهت نحو المغرب الأوسط.

لقد قاد عبد المؤمن بن علي جيشا نحو المغرب الأوسط سنة 546هـ/1151م فدخل جزائر بن مزغنة صلحا ثم انتقل إلى بجاية حيث انتزعها من بني حماد سنة 547هـ/1152م، ثم عاد إلى مراكش بعد أن مكث ببجاية أزيد من شهرين¹ حيث رتب الأوضاع، وحذر القبائل العربية من عواقب الشغب وفوضى العصيان ومع ذلك فإنهم استغلوا عودة عبد المؤمن بن علي إلى مراكش وأخذوا يجمعون القوائم ويعارضون السلطة المحلية، الأمر الذي دفع عبد المؤمن بن علي إلى تشكيل جيش من الموحدين بقيادة صهره عبد الله بن وانودين ويصلاسن بن المعز قريب ابن تومرت، وبهذا تكون الفرصة قد أتتحت ليصلاسن الذي خذل عبد الله ابن وانودين وتركه في المعركة وحيدا يواجه المصير المحتوم حيث هرب عنه وأفرده للعرب فقتلوه².

لقد فهم عبد المؤمن بن علي الرسالة بسرعة، وجهز جيشا كثير العدد، وأمر عليه عبد الله بن سليمان وقال له تخيل كيف تأخذ يصلاسن في البحر، وعليه قام عبد الله بتكيبيل يصلاسن أثناء عودتهم في البحر، وجاء به إلى سبتة وسجنه ثم أعدمه³، ثم وضع عبد المؤمن بن علي أخوي ابن تومرت تحت الرقابة ومنعهما من الخروج إلى أية جهة كانت خارج مراكش⁴.

¹ - ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 192-193.

² - البيدق، أخبار المهدي، ص 74.

³ - السابق، ص 75.

⁴ - ابن خلدون، العبر، ج6، ص 234.

الحركة الموحدية الإصلاحية ----- د. يوسف عابد

ولما ضاق الأمر بأخوي المهدي حاولا الفرار من مراكش، لكن واليها من قبل عبد المؤمن الشيخ أبو حفص بن تفرجي امتنع عن مساعدتهما، فقتلاه الأمر الذي أثار حفيظة إدارة المدينة التي سهلت الأمر لسكان مراكش فقتلوهما مع عبيدهما¹، وتابع عبد المؤمن بن علي أصحاب أخوي ابن تومرت بعد أن اكتشف المراسلات التي كانت بينهم وبين أقارب ابن تومرت، وبلغ عدد الذين شملتهم هذه الحملة التطهيرية ثلاثمائة كان فيهم خمسة رجال من أعيان الحضرة². وتصور إحدى الرسائل الرسمية³ عن رد فعل عبد المؤمن ورغبته في اتصال شناعة أي معارضة، وقد وقعت هذه الأحداث كلها سنة 549هـ/1154م.

الصراع بين عبد المؤمن وأهل الخمسين:

كان لمحاولة عبد المؤمن بن علي استمالة القبائل العربية أثر في بعض الزعامات القبلية البربرية، إذ خشيت أن تتقوى وتتوسع سلطته، فقامت ضده وتمثل هذا السلوك في موقف شيخ عائلة توندوت من قبيلة هسكورة السابقون إلى الانخراط في الدعوة الموحدية وهو أيضا ابن أحد الأعضاء "هيئة الخمسين" المسمى أبو بكر بن توندوت⁴ وهذا ما يستنتج من إحدى الرسائل التي وجهت إليه من طرف ابن عبد الحميد كاتب عبد المؤمن يحاول من خلالها ثنيه عن المعارضة والعودة على صف الخليفة، وقد عرض عليه العفو الخلفي⁵، وما نعرفه عن قبيلة هسكورة هو أنها كانت من بين القبائل التي

¹ - البيدق، أخبار المهدي، ص 51.

² - السابق، ص 79.

³ - مجموعة رسائل موحدية، العزاوي، ج2، ص47

⁴ - أحمد عزاوي، مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية، ج1، ص 47.

⁵ - السابق، ج2، ص 25-26.

الحركة الموحدية الإصلاحية ----- د. يوسف عابد
اتصلت بعبد المؤمن سنة 552هـ/1157م، خلال جولته ببلاد السوس وأعلنت "توبتها"
عن الخروج على سلطته¹، وهكذا تم لعبد المؤمن القضاء على حركات المعارضة
الخطيرة، حيث جاء في رسالة الموحدين: "و لما نازلنا على مرحلة من آنسة عمرها الله
وأوفى وفد جزولة وهسكورة وقبائل الكست من شيوخهم وأعيانهم وأهل الحل والعقد
منهم مست أيدي المنة على ما كان عندهم من الشقاق والنفاق فوصلوا تائبين
نادمين²."

ومن جهة أخرى دخل شيوخ المتصوفة بعد ثورة المريدين التي حدثت سنة
539هـ/1144م في علاقة مع الموحدين ثارة تكتسي طابع التحالف وأخرى التنافر
والاصطدام المسلح إلى أن تمكن الموحدون من فرض سيطرتهم.

وبعد سقوط مراكش في أيدي الموحدين قامت ثورة أخرى في المغرب الأقصى
انطلاقاً من منطقة ماسة المترامية الأطراف، ويظهر أن زعيم هذه الثورة كان ذا منحى
صوفي هذه الثورة أقلقت الموحدين لفترة إلى أن تمكنوا من القضاء عليها في النهاية.

وتبقى الأجوبة عن التساؤلات المتعلقة بتحول المتصوفة من الممارسة الروحية
الفردية إلى طموح جماعي للوصول إلى السلطة، محل اجتهاد الباحثين، وزيادة على ذلك
فإن الذي يجب التأكيد عليه هو أن الهدف هنا ليس البحث عن جذور التصوف في
بلاد المغرب، بل تلمس بعض نقاط التحول خلال القرن السادس الهجري عندما كانت
العامّة تلتجئ إلى المتصوفة كلما تعرضوا لجور العمال أو أحسوا أنهم سيتعرضون له.

¹ - السابق، نفس الجزء والصفحة.

² - مجموعة رسائل موحدية الغزاوي، ج2، ص 88.

الحركة الموحدية الإصلاحية ----- د. يوسف عابد

وقد أورد ابن الزيات روايات متعددة في هذا الموضوع¹ ولعل موقف المتصوفة من عامة الناس الأمر الذي دفع بعض المتصوفة ذوي الطموح السياسي إلى أن يستغلوا هذه الوضعية، ويخرجون عن أموالهم للعامة ويعدونهم بالأموال الطائلة².
وقد ثبت توظيف التصوف في الفكر السياسي، فقضية الولاية والغمامة في الصراع السياسي بين المتصوفة والمرابطين، وبين المتصوفة والموحدين فابن الخطيب يقول عن ابن قسي: "وابنتي -رابطة بقرية- كان يجمع بها دائرته التي دارت بها المنطقة دائرة السوء وادعى الولاية"³.

ترسيخ الخلافة الوراثية:

في سنة 550هـ/1155م جمع عبد المؤمن صغار الطلبة الذين كانوا يعرفون بالحفاظ من كل من إشبيلية وقرطبة وفاس وتلمسان، وكانوا قد اختيروا من أبناء أسر معروفة ضمهم إلى من انتخبهم من أبناء قبائل الموحدين، فبلغ عددهم حوالي ثلاثة آلاف فرد⁴، وأنشأ عبد المؤمن لهؤلاء الطلبة مدرسة تكوين الإداريين، فبالإضافة على قراءة متون ابن تومرت كانوا يمارسون أنواعا من الرياضة، فقد كان عبد المؤمن يؤهلهم لتولي الوظائف الإدارية في البلاد ويوصل فيهم الولاء للدولة، فقد قال صاحب الحلل أنه قصد من وراء تكوينهم هذا سرعة الحفظ والتربية على ما يريد⁵ وقد كان من بين هؤلاء الحفاظ ثلاثة عشر من أبناء الخليفة تكونوا على نفس الطريقة.

¹ - التشوف، ص ص 130-131.

² - ابن الزيات، السابق، ص 459.

³ - أعمال الإعلام، ص 249.

⁴ - مجهول الحلل الموشية، ص 150.

⁵ - السابق، نفس المصدر والصفحة.

الحركة الموحدية الإصلاحية - - - - - د. يوسف عابد

يدخل هذا التحضير في أهداف تركيز السلطة في أيدي عبد المؤمن ومنع أية محاولة لانفصال أية جهة من جهات مجال نفوذه أو خروجا عن مراقبته. لقد أسند حكم الأقاليم التي كانت تحت سلطته إلى أبنائه¹، وهذا طريق عجيب في التحايل للوصول إلى الحكم.

لقد عين أبا محمد عبد الله على بجاية وأحوازها، وأبا سعيد عثمان على سبتة وطنجة والجزيرة الخضراء، وأبا الربيع سليمان على تادلة، وأبا زيد على السوس، وقد تمت هذه التعيينات خلال سنة 551هـ/1156م، وبمذه الإجراءات تحولت الحركة الموحدية إلى دولة لا يختلف نظامها السياسي عن النظام السياسي لسابقتها الدولة المرابطية في شيء، حيث أصبح نظام ولاية العهد وراثيا بإعلان أكبر أبناء عبد المؤمن محمد واليا للعهد ومبايعته بذلك رغم أنه لم يتمكن من خلافة والده بعد وفاته، حيث انتقلت الخلافة إلى أخيه يوسف.

وهكذا يتجلى أن فترة الانتقال بين المرابطين والموحدين لم تأت بجديد من حيث الممارسة رغم ما يظهر من اختلاف على المستوى النظري بين النظام السياسي المرابطي المبني على ولاية العهد وتوريث السلطة، وبين النظام السياسي الموحيدي المرتكز على سلطة الإمام التي تورث في الأعقاب، حسب المصدر الشيعي الذي اقتبس منه ابن تومرت، لكن المفارقة هي أن ولاية العهد وتوريث السلطة عند الموحدين لم يكن تطبيقا للنظرية، بل تكريسا للواقع وبذلك عاد المغاربة إلى ما كانوا عليه خلال العصر المرابطي في الممارسات السياسية الفعلية.

¹ - النويري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ص 419.

الحركة الموحدية الإصلاحية ----- د. يوسف عابد
لقد انتقل المغرب من شكل نظام أميرية المسلمين التي امتدت سيادتها الجغرافية
إلى أجزاء من غرب المغرب الأوسط، وأعلنت الولاء الاسمي للخلفاء العباسيين في بغداد
إلى خلافة للمؤمنين في المغرب الإسلامي كله ولم تخف رغبتها في مد سيادتها على باقي
شرق العالم الإسلامي وبذلك انقطعت الدعوة العباسية بالمغرب لبني العباس¹.

المصادر والمراجع:

- الإدريسي (الشريف): وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، تصحيح ونشر
هنري بريس، الجزائر 1957م.
- ابن أبي زرع الأئيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور، الرباط، 1973م.
- البكري (أبو عبيد): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر دي سلان،
الجزائر، 1957م.
- أبو بكر (ابن علي الصنهاجي) المكنى بالبيدق:
- أخبار المهدي ابن تومرت، دار المنصور، الرباط، 1971م.
- المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب تحقيق عبد الوهاب بن
منصور، الرباط، 1971م.
- ابن تومرت محمد: - أعز ما يطلب، نشر لوسيان، الجزائر، 1903م.
- التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد): رحلة التجاني، تونس، 1958م.
- الحسن الوزان (الفارسي): وصف إفريقيا، ترجمة محمد مجي ومحمود الأخضر،
الرباط، 1980م.
- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، بيروت 1983م.

¹ - المراكشي، المعجب، ص 297.

- الحركة الموحدية الإصلاحية ----- د. يوسف عابد
- الرقيق (إبراهيم ابن القاسم): تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، طبع تونس، 1967م.
- لوتورنو روجي: حركة الموحدين في المغرب في القرنين 12، 13 الميلاديين، ترجمة أمين الطيبي -ليبيا-، تونس، 1982م.
- ابن سعيد (علي بن سوس): كتاب الجغرافيا، طبع بيروت (د.ت).
- السبكي (عبد الوهاب): طبقات الشافعية الكبرى (42)، ط2، بيروت، (د.ت).
- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس، 1983م.
- ابن عذاري: البيان المغرب، تحقيق ومراجعة س، كولان وليفي بروفنسال، ط2، بيروت، 1984م.
- عبد المجيد النجار: المهدي ابن تومرت، حياته وآراءه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.
- عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، ط1، بيروت، القاهرة، 1983م.
- المراكشي (عبد الواحد): المعجب في تلخيص أطباء الأندلس والمغرب، ط7، ضبط وتصحيح وتحقيق محمد سعيد الويان، ومحمد الوبي العلمي - الدار البيضاء، 1976م.
- مجهول: الحلل الوشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زماحة، طبعة دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م.

الحركة الموحدية الإصلاحية ----- د. يوسف عابد

- النويري: تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، من كتاب نهاية الأدب
في فنون الأدب، تحقيق وتعليق الدكتور مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية،
الدار البيضاء، 1984م.

الفقيه المقرئ محمد بن بلقاسم البوجليلي وآثاره العلمية

د . سمير جاب الله

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

يعد البحث تعريفا بشخصية علمية جزائرية برزت واشتهرت في عز الاستعمار الفرنسي للجزائر، فرغم القهر والاضطهاد والتدمير إلا أن الحركة العلمية في الجزائر لم تنقطع، ودور المدارس والزوايا ظل مستمرا فقد أخرجت لنا هذه الزوايا الشيخ الفقيه المقرئ محمد بن بلقاسم البوجليلي (1826م _ 1898م) من قرية بوجليل ولاية بجاية، صاحب التأليف الكثيرة والمصنفات المتنوعة المفيدة أشهرها كتاب التبصرة في قراءة العشرة وقد خصه ببيان روايات الإمام نافع الأربع وطرقه العشرة التي اشتهرت القراءة بها عند الجزائريين والمغاربة عموما جيلا بعد جيل إلى يوم الناس هذا.

فالبحث تعريف بالمؤلف وبيان مختصر لأهم آثاره العلمية المختلفة.

Résumé

La recherche définit le personnage d'un algérien scientifique célèbre pendant la colonisation française de l'Algérie, malgré l'oppression, la persécution et de la destruction, mais le mouvement scientifique en Algérie n'avait pas été interrompue , et le rôle des écoles islamiques et les zawayas est resté constant et nous a formé le Cheikh récitant Muhammad Ben Belkacem al boudjlili (1826 _ 1898) du village de Boudjlil la province de Bejaia, qui a laissé de nombreux livres , le plus célèbre est al tabssera qui parle des dix lectures coraniques de Imam Nafi.

Cette recherche est une traduction de l'auteur al boudjlili et une brève présentation de ses ouvrages

إن الحركة العلمية في الجزائر لم تنقطع عبر القرون، وإن دور المدارس والزوايا ظل مستمرا عبر الدهور يؤدي دوره الرسالي والريادي، ولقد بزر علماء أجلاء كان لهم الأثر البالغ في نشر العلم والمعرفة، ومن أعز من أنجبته الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية الشيخ الفقيه المقرئ المجاهد محمد بن بلقاسم البوجليلي، فقد كان له الأثر البالغ في حياة الناس من الناحية الروحية والاجتماعية والعلمية، ولقد خلف آثارا مفيدة وكتبا جلية انتفع بها السلف في زمانهم وأحيائها الخلف بعد أن خيم عليها ظلام الاستعمار والاستبداد. وفيما يلي بيان لترجمة الشيخ وتعريف بآثاره العلمية.

علمنا هو الشيخ أبو القاسم محمد بن بلقاسم البوجليلي، ولد في قرية بوجليل بجبال بني عباس، في منطقة جبال البيان، ولاية بجاية، واختلف في تاريخ مولده، قيل سنة 1826م¹، وقيل سنة 1836م²، وذكر الدكتور يحيى بوعزيز أن مولده كان في بداية القرن التاسع عشر ولم يحدده بتاريخ معين³،

ونسله من أسرة شريفة من الحسينيين، حفظ القرآن الكريم على والده في مسقط رأسه، ودرس مختلف العلوم والمعارف، العربية والإسلامية، ثم التحق بزواية الشيخ عبد الرحمن اليلولي في جبال جرجرة، حوالي سنة، 1261 هـ، 1845م⁴، والتي كانت

¹ - ينظر: مقدمة كتاب التبصرة، تحقيق الباحث الشيخ حسين وعليلي.

² - وهو ما ذكره الدكتور بلقاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي: 211/3.

³ - أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، الدكتور يحيى بوعزيز ص: 237.

⁴ - ذكر محقق كتاب التبصرة الأخ الفاضل الشيخ المقرئ حسين وعليلي بأن الشيخ انتقل إلى زاوية يلولة سنة 1845 أي: 1261هـ، وهذا صحيح، إلا أنه أضاف بأنه بدأ القراءة فيها على الشيخ قدور

متخصصة الدراسات القرآنية¹، وقرأ على الشيخ العربي الأخداشي، ثم قرأ على الشيخ الجامع محمد بن علي بن مالك من قرية تقابة قِبَل البحر، فأتم عليه الختم الشريف، ثم انتقل إلى أستاذ آخر هو الشيخ محمد الطاهر الجنادي وكان يدرّس الطرق النافعية العشرية، فدرس عليه الألفية وختمه من القرآن بطرق نافع العشرة، كما أخذ عنه

الدرعي المغربي وكان ذلك في 15 رجب، عام 1259، أي 1843، وهذا في اعتقادي غير منطقي، فكيف يقرأ عليه سنة 1259 وهو انتقل إلى الزاوية سنة: 1261 وقد صرح البوجليلي بذلك في مقدمة كتاب التبصرة فقال رحمه الله: "أما إسناد قراءتنا فأقول أي افتتحت قراءتي صغيراً عن والدي رحمه الله تعالى، ثم انتقلت عام 1261 إلى مقام الولي الصالح سيدي عبد الرحمن اليلولي، فقرأت هناك عن أشياخي السيد العربي الأخداشي بعض ختمة برواية قالون، والسيد محمد الطاهر الجنادي....." فقد صرح بأن انتقاله كان في سنة 1261 وعندما سرد شيوخه الذين درس عنهم في الزاوية لم يذكر الشيخ قدور الدرعي، ولعله قرأ عليه قبل أن يلتحق بالزاوية والله أعلم.

¹ - وسبب تخصص هذه الزاوية بالقراءات القرآنية، يرجع لتخصص الشيخ عبد الرحمن اليلولي (توفي سنة: 1105هـ، 1691م) فقد كان مشهوراً بالقراءات السبع والعشر، وقد رسخ هذا النوع من الدراسات حتى كان من لم يقرأ القرآن في زاويته وبطريقته لا يعد عالماً بالقراءات والرسم القرآني، وقد بقيت هذه الزاوية متخصصة في علوم القرآن من تحفيظ وتجويد وقراءات ورسم إلى سنة: 1261هـ 1847م عندما أدخل المسؤولون عليها وهم طلبتها تعديلات وقرروا علوماً أخرى غير الفنون القرآنية، انظر: تاريخ الجزائر الثقافي، بلقاسم سعد الله، 189/3، نقلاً عن أوضح الدلائل في وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل للشيخ محمد سعيد بن زكري.

وبقيت على ذلك الحال إلى سنة 1956م حيث أحرقتها السلطات الفرنسية، وقد دامت النار مشتعلة مدة أسبوع كامل، ثم عادت بعد الاستقلال لنشاطها الديني وتأسس بها معهد تكوين الأئمة ولا يزال قائماً إلى يومنا..

الفقيه المقرئ محمد بن بلقاسم البوجليلي ----- د . سمير جاب الله

منظومة تفصيل الدرر في الطرق العشر للشيخ العلامة محمد ابن غازي ت:
919هـ، ومكث معه حوالي ثلاث سنوات

وعليه فكان طلبه للعلم في الزاوية حوالي أربع سنوات أو يزيد ثم انتصب
للتدريس بها ثلاثين سنة، وقد درس علوما شتى وهي ما تلقاها على شيوخه، .

ورغم أن الشيخ من تلاميذ المدرسة القرآنية، إلا أنه لم يهمل العلوم الفقهية
الأخرى فدرس على مشايخ آخرين من خارج زاوية يلولة، فأخذ الفقه على الشيخ
محمد أمزيان الحداد في صدوق وأخذ عنه علوما الأخرى كالسلم المرونق للأخضري،
والجوهر المكنون له في المعاني والبيان، والاستعارات للسمرقندي¹

!"#\$

الزوايا في بلاد القبائل نوعان:

+ * () ' & % ، فتدرس التفسير، القراءات السبع، والعشر
الصغير والرسم، التوحيد، والنحو، ابتداء بالآجرومية، ثم الألفية، والعروض،
والحساب، والفلك، والفرائض.

+ * () ' - % ، تدرس مختصر خليل وشروحه، كالخرشي،
وعبد الباقي والشيخ سالم والتتائي وبهرام. والتوحيد، والنحو والصرف والحساب
والعروض والإنشاء، والتوثيق²

وقد جمع الشيخ البوجليلي بين الحسنيين فدرس العلوم الفقهية ودرس في زاوية
اليلولي التخصص الآخر وهو الدراسات القرآنية، ليكتمل تكوينه الشرعي، وليصبح

¹ - انظر: تاريخ الجزائر الثقافي: 212/3.

² - انظر: تاريخ الجزائر الثقافي، د/ بلقاسم سعد الله، 201/3.

الفقيه المقرئ محمد بن بلقاسم البوجليلي ----- د . سمير جاب الله

مبرزا في شتى العلوم، وليستعد لترؤس وتأسيس مدرسة وزاوية خاصة به، وهذا ما فعله
رحمه الله

!%0 . ##

بعد تدريسة في زاوية يلولة وبقائه فيها ما يقارب ثلاثين سنة، وبعد مشاركته في
ثورة المقراني 1871م رفقه شيخه محمد أمزيان الحداد التي كانت نتيجتها الخسارة لجيش
المقراني وأتباعه، وبعد أن أودع الشيخ الحداد السجن رجع الشيخ إلى قريته بوجليل
وأسس لنفسه زاوية وفاء لشيخه الحداد حتى يجمع طلبته ويواصل بهم المسيرة، فبنى
مسجدا على نفقته الخاصة في قريته وبنى بجانبه محلا لإقامتهم وتصدى لنشر القرآن
والعلم، وعكف فيها على التعليم والتدريس وتحفيظ القرآن الكريم، للكبار والصغار،
واهتم بالتخصصات القرآنية كالتجويد والقراءات القرآنية وأضاف المواد الشرعية
واللغوية الأخرى؛ كالنحو والفقه والأصول، والفرائض، والتوحيد، والمنطق،
والحساب،¹

وكان برنامج التعليم في زاويته - في هذه الفترة - مركزا بصفة خاصة على
العلوم العربية - النحو والصرف والبلاغة- وتأتي بعد ذلك القراءات ثم يأتي الفقه في
الدرجة الأخيرة، ويرر الشيخ ذلك بكون الطلبة الذين التحقوا بالزاوية كانوا قد درسوا
القراءات والفقه في وقت سابق بعضهم عن الشيخ الحداد وبعضهم عن شيوخ آخرين
أما العلوم العربية فلم تتح لهم دراستها بجدية²

¹ - أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، يحيى بوعزيز ص: بلقاسم سعد الله 189/3.

² - مقال بعنوان: ترجمة الشيخ العلامة المقرئ أبو القاسم البوجليلي الجزائري، عبر موقع: الشبكة

إضافة إلى العلوم الشرعية اهتم الشيخ بالجانب الروحي والسلوكي، فاشتغل بالتصوف المعتدل، ويذكر الدكتور بلقاسم سعد الله أنه جاهد بالعلم والقلم وساهم في نشر الوعي بين الجزائريين واستعمل التصوف المسموح ليصل إلى العلم الممنوع. فقال: "فأراد أن يجاهد بطريقته، وأن يحافظ على التراث، وأن ييث في تلاميذه روح المواصلة للمقاومة مع نور العقل وروح الإصلاح، ولذلك لم يفتح زاوية لإعطاء الأوراد والبركات الصوفية ولكن فتحها للتدريس ومنح الإجازات كما لاحظ الخبراء الفرنسيون المعاصرون له، ولعله اتخذ التصوف المسموح به غطاء للعلم غير المسموح به"¹

... وبعد وفاة الشيخ رحمه الله سنة 1898، ترأس الزاوية ابنه الشيخ أحمد وكان فقيها لذلك تقلصت في عهده العلوم العربية قليلا وازدهر الفقه، وقد أحدث هذا الشيخ ما يمكن أن يسمى الدراسة الموسمية، فقد خصص أشهر الشتاء لتدريس الفقه بصفة معمقة لعدد من المثقفين الكبار في السن الذين لم تسمح لهم ظروفهم المعاشية أن يواصلوا الدراسة في المعاهد طول العام وهذا النظام يسمح لهم أن يقبلوا على الدرس بعد أن يكونوا قد انتهوا من حرق أراضيهم وجمع التين والزيتون خلال فصل الخريف، وكانت الدروس تعطى أواخر النهار وصدرا من الليل .. وبعد الفجر...و ذلك لنتاح الحرية لبعضهم في الانصراف إلى العمل أو إلى التجارة .

وبعد وفاة الشيخ أحمد رحمه الله تسلم الزاوية ابنه البكر الشيخ محمد أبو القاسم الحفيد فلم يغير من نظام الزاوية كثيرا وإن كان وسع بنياها واستعان بمشائخ آخرين استقدمهم لتحفيظ القرآن أو لتدريس المواد العلمية الأخرى.

¹ - تاريخ الجزائر الثقافي، د/ بلقاسم سعد الله، 213/3-214:

الفقيه المقرئ محمد بن بلقاسم البوجليلي ----- د . سمير جاب الله

ولأسباب اقتصادية وعائلية نقل عام 1942 الزاوية إلى "مشدالة" حيث قدم إليه أحد المحسنين من مريديه محلا خصص جانبا منه للدراسة وجانبا منه مصلى للقرية التي لا تملك مسجدا لأنها مستوطنة استعمارية.

وبعد وفاة الشيخ رحمه الله أواخر عام 1955م امتدت يد السلطات الفرنسية إلى الزاوية، فسلمتها للجيش الفرنسي الذي جعل منها معتقلا، وبهذا تكون الزاوية قد توقفت عن العطاء وتعطلت الدروس فيها.¹

§ + . # 1 2 :

الرئاسة في زاوية بوجليل رئاسة جماعية وليست خاصة يرأسها أحد أبناء العائلة، فرئاسة الأبناء شرفية، والمسؤول الحقيقي والأساس في المدرسة هم الطلبة، فهم من يدير الشؤون ويسير الزاوية، ولا يتدخل الرئيس صاحب الزاوية - إلا بطلب من الطلبة لأمر مهم، ونظام الزاوية داخلي ويعيش الطلبة من تبرعات المحسنين وتتدخل الأسرة لإكمال النقص من أملاكها الخاصة عندما تنضب الموارد، وليس للزاوية أملاك خاصة أو محبسة.²

وهذه الطريقة وهذا النظام تأثر به الشيخ البوجليلي وأخذه من نظام الزاوية اليلولية، حيث كان الطلبة يديرون شؤونها منذ وفاة الشيخ عبد الرحمن اليلولي سنة: 1105هـ، لأنه توفي ولم يعقب فتولى منذ ذلك الحين تسيير الزاوية الطلبة.

قال أبو القاسم سعد الله: "وما دام الشيخ اليلولي قد توفي بدون عقب ولا وارث فإن زاويته قد بقيت ملكا للتلاميذ يسيرونها جيلا بعد جيل في نظام إداري

¹ - مقال بعنوان: ترجمة الشيخ العلامة المقرئ أبو القاسم البوجليلي الجزائري، محمد الطيب بن

داود، موقع: <http://www.qeraatacademy.com/vb/showthread.php?t=>

² - المرجع السابق.

اجتماعي دقيق، فهي حسب تعبير البعض: جمهورية الطلبة وكان هذا النوع من التيسير قد ساهم في ازدهار الزاوية وجعل الناس يرغبون في التبرع لها ودعمها، فقد كانت مثلاً أعلى في الإدارة والانضباط والغيرة على أداء الواجب"¹

3 § 2

لقد تعددت شيوخ الشيخ البوجليلي، فمنهم من درس عليهم الفقه والنحو وعلوم الآلة، ومنهم من درس عليهم القراءات، وقد صرح في كتاب التبصرة بشيوخه الذين أخذ عنهم القراءات فقال: "أما إسناد قراءتنا فأقول أي افتتحت قراءتي صغيراً عن والدي رحمه الله تعالى، ثم انتقلت عام 1261 إلى مقام الولي الصالح سيدي عبد الرحمن اليلولي، فقرأت هناك عن أشياخي السيد 5 6 3 42 بعض ختمة برواية قالون، والسيد < = : 7 89 حين كان هناك تلميذاً لمن سيذكر، والسيد < = > @ 4 > ? بقرية تقاب² بساحل البحر قالونا ونحو وعشراً عنهما معا في مدة أربعة أعوام، ثم أقرأت بعد نحو ثلاثين سنة في المقام المذكور على حسب وقت الرقم وتمام عامه؛ سبعة أعوام أولها عام 1297".³

وعليه فشيوخه هم كالآتي:

BA D C(. 4 الذي علمه وأدبه وحفظه القرآن منذ نعومة

أظفاره.

BE 5 6 3 42 هو العربي بن الجودي الأحداشي، من بني يليلتن، وهي

من قبائل زواوة، وإحداشن قرية قريبة من بني يتورغ، اشتهر بالتمكن في علم القراءات

¹ - تاريخ الجزائر الثقافي، د/ بلقاسم سعد الله، 189/3

² - من القرى الساحلية لمدينة بجاية.

³ - انظر مقدمة كتاب التبصرة، ص: 1.

الفقيه المقرئ محمد بن بلقاسم البوجليلي ----- د . سمير جاب الله

ونسخ المصحف الشريف من حفظه الذي تلقاه رواية عن شيوخه، تولى إدارة زاوية سيدي عبد الرحمن الليولي ومشيختها، وبقي فيها مدرسا إلى أن أقعده المرض في أواخر حياته، توفي سنة 1263هـ/1846م.

BF =< 7 9 : ; ، انتقل من بني منصور إلى زاوية الليولي لدراسة القرآن الكريم والقراءات القرآنية، وكان مشهورا بإتقان العلوم العربية، بأساليب جيدة وحديثة، وقد أثر في تلاميذه بالزاوية، وقد توارثوا طريقته جيلا بعد جيل، ثم انتقل إلى تونس حوالي: 1866م، 1282هـ، وأصبح من المعلمين الخاصين لأحد أولاد الأمراء، ثم توظف في الحكومة التونسية، وتوفي بها.

BG =< @ 4 5 وقد أجازته سنة: 1275 ومما قال: "أما بعد: فأنا أعلمُ الواقف على كتابنا هذا من الأئمة العاملين بالسنة والكتاب بأي قد أجزت تلميذنا... في جميع ما أخذ عني من القراءات ؛نحوا وتجويدا، فهما وأداءً، وما أخذه عني عهدا ووردا صحيحا، لوقوع حقيقته على شريعة كاملة وأحكام نافذة، ومن أخذ عنه الورد كأنه أخذه مني، بل هو أفضل مني، وإنما أسعفته بذلك لحسن ظنه، بتاريخ: 1275 " ¹

BH =< " J > @ 4 I وقد أخذ عليه البوجليلي الفقه، والطريقة الصوفية في بلدية صدوق، انظم إلى جيش المقراني وجاهد معه رفقة تلاميذه إلى أن ألقى القبض عليه سنة: 1871، أودع سجن قسنطينة حتى توفي به سنة: 1873م. وقد شارك معه تلميذه البوجليلي هذه الحرب. ²

¹ - تاريخ الجزائر الثقافي: 64/7-65.

² - وهذه الشيوخ جاء ذكرها في كتابي: تاريخ الجزائر الثقافي، د/ بلقاسم سعد الله، 186-185/3، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر الخروسة، ص: 237،

2) " <= BK L¹

وأضاف محقق كتاب التبصرة الأخ المقرئ حسين وعليي شيخا آخر وهو الشيخ || (40)، واستند في ذلك إلى مقال بعنوان: محمد بن أبي القاسم البوجليلي .."، السحنوني علي أمقران، جريدة العقيدة اليومية، عدد: 70، الأربعاء 25 ديسمبر 1991، ولم أجد من فيمن ترجم للبوجليلي من عدّ الشيخ قدور من مشايخه، ولعله أخذ عنه قبل أن يلتحق بزواية يلولة، أما في الزاوية فقد صرح بشيوخه وليس منهم. والله أعلم

DN%

لقد تتلمذ على يد الشيخ البوجليلي تلاميذ كثر، أخذوا عنه مختلف العلوم والأوراد، رجالا ونساء، وهم يعدون: 7904 إخوانيا، وعدد النسوة: 1115 امرأة، وله 42 زاوية تابعة له في الطريقة الرحمانية، وهو الشيخ الوحيد، بالإضافة إلى ثمانية وكلاء، و64 مقدما، فمجموع إخوانه: 9092 حسب إحصاء 1897² وأشهر تلاميذه:

BA 8 " O ، وهو الذي تولى خلافة الزاوية البوجليلية بعد وفاة الشيخ.

BE <= 6 / % / 8 PL ولد سنة 1839م، وكان والده قد التحق بجيش

الأمير عبد القادر واستشهد في المقاومة، قرأ على عمه الشيخ محمد وعلي السحنوني وقد علمه القراءات والبلاغة، والنحو والفلك والفقه والحديث، وقرأ أيضا على الشيخ محمد البوجليلي، وبعد أن انتقل بين عدة زوايا أسس لنفسه الزاوية السحنونية.³

¹ - انفراد بذكره كتاب: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر الخروسة، ص: 237،

² - هو إحصاء ديون وكوبولاني انظر تاريخ الجزائر الثقافي، د/ بلقاسم سعد الله، 170/4:

³ - تاريخ الجزائر الثقافي، د/ بلقاسم سعد الله، 197/3:

الفقيه المقرئ محمد بن بلقاسم البوجليلي ----- د . سمير جاب الله

BF <= > 6% > 7 Q+ الجنادي الزواوي، ولد سنة
(1267هـ/1851م) درس علي البوجليلي في زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي، حيث
بقي بها سنوات، ثم سافر إلى الجزائر العاصمة واشتغل بالتوظيف الحكومي، وكان إماما
بمسجد سيدي رمضان ثم مفتيا للمالكية بالجزائر، صاحب كتاب: أوضح الدلائل في
وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل "توفي 1337هـ - 1919م

BG " 6 R 7 السعيد بن محمد الشريف بن العربي، ولد سنة
1279هـ 1862م في إيغيل نكري عزازقة درس على الشيخ البوجليلي، تولى إمامة
مسجد سيدي رمضان بالجزائر توفي سنة 1952م له عدة مؤلفات.

BH <= ST 4 كان مفتيا على بجاية ومن علمائها، مدح شيخه
البوجليلي بقصيدة¹

BK <= > @ < 49+ / وقد أجازته الشيخ البوجليلي سنة: 1876م، بتعليم
كل العلوم التي أخذها عنه، وهي النحو والفقه، والحديث، وجعله في مكانه ومكانته
في العلوم، وقد ذكره محقق التبصرة باسم <= > @ < 49+ 2.
BX & Y/I R/%Z / ' [الذي كان مرجعا في القرآن والقراءات وأفاد
خلقا كثيرا.³

¹ - تاريخ الجزائر الثقافي، د/ بلقاسم سعد الله، 213/3

² - تاريخ الجزائر الثقافي، د/ بلقاسم سعد الله، 213/3 نقلا عن ديون وكوبولاني الطرق الصوفية
عن خلافة الشيخ الحداد، وقد ترجم الإجازة إلى الفرنسية الضابط جان ميرانت

³ - التبصرة: نقلا عن مقال: "محمد بن أبي القاسم البوجليلي... مقال للأستاذ السحنوني، جريدة

الفقيه المقرئ محمد بن بلقاسم البوجليلي ----- د . سمير جاب الله

١ 1 4/ :أحد علماء ومشايخ المنطقة البحرية لجبال جرجرة¹.

2 a; B_ 4: هو الطيب بن الحاج علي بن سعيد شنتير، من قرية

بوجليل، وهو من أعلام النحو والفقه في المنطقة، ولد سنة 1288هـ - 1871م، وأنفق من عمره أكثر من أربعين سنة في نشر العلم في مختلف الزوايا، توفي شهر أوت سنة 1373هـ - 1945م.²

3 @BAb) <@ <I 4 مؤسس زاوية الحمامي

وقد ذكر الشيخ وعليبي أن من تلاميذه الشيخ 6/ 7 c وهو السعيد بن علي بن أحمد اليجري نسبة إلى بني يجرة من قرى زواوة، ولد سنة 1873 انتقل إلى زاوية سيدي عبد الرحمن اللولي سنة 1306هـ/1888م انتسب إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في وقت مبكر من تأسيسها، وكانت بينه وبين الشيخ عبد الحميد

¹ - المرجع السابق مع النقل ذاته.

² - التبصرة، نقلا عن: أعلام من زواوة: 106، أعلام من منطقة القبائل، محمد الصالح الصديق: 42-49، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2007.

³ - مقال بعنوان: زاوية الشيخ أبو القاسم الحسيني البوجليلي، ولقد ذكر من تخرج من الزاوية وعد منهم الحمامي، وإن لم يصرح بأنه أخذ عن البوجليلي.

راجع موقع: http://albordj.blogspot.com/2010/03/blog-post_6140.html.

وانظر أيضا: ما شهد به ميثاق (هكذا وقع اسمه عبر شبكة الانترنت) قال: "أخذ شياخي العلامة الفقيه اللغوي الورع الزاهد الشيخ محمد رحو بن عبد القادر رحمه الله العلم والطريقة الرحمانية عن شيخه البحر الزاخر الولي الصالح سيدي 4 <I d^ 4 رحمه الله والذي تتلمذ على يد العلامة التحرير والفقيه المجاهد التقى سيدي الشيخ <= > 5" C(4 رحمه الله". موقع:

<http://cb.rayaheen.net/showthread.php?tid=24479>

الفقيه المقرئ محمد بن بلقاسم البوجليلي ----- د . سمير جاب الله

بن باديس مراسلات وزيارات، توفي يوم الجمعة: 5 محرم 1371هـ الموافق —: 5 أكتوبر 1951.

ولم يرد اسم البوجليلي في قائمة شيوخ البحري بحسب بلقاسم سعد الله، وكذلك البحث المقدم من طرف الدكتور سعيد بويزري الموسوم ب: الشيخ سعيد البحري، وإنما ذكر أنه كان بينهما مراسلات فقط. وهذا يشكك في أخذ الشيخ البحري من البوجليلي مباشرة، خاصة إذا رجعنا إلى سند الشيخ الطاهر آيت علجت في القراءة، فقد قرأ على الشيخ سعيد البحري، عن الشريف الأفلسي عن البوجليلي. فواضح أن بين البوجليلي والبحري واسطة، ولعله أخذ عليه العلوم الشرعية الأخرى ولم يأخذ عيله القراءة. والله أعلم.¹

% @ e < 6 e 8f

فقد أثنى عليه شيوخه وهم أعرف الناس بمثلته وفضله، وأجازه الشيخ محمد بن علي بن مالك التقاي سنة 1859م في القراءات والتصوف فقال: "أما بعد: فأنا أعلمُ الواقف على كتابنا هذا من الأئمة العاملين بالسنة والكتاب بأي قد أحزت تلميذنا... في جميع ما أخذ عني من القراءات؛ نحواً، وتجويداً، فهما وأداءً، وما أخذ عني عهداً وورداً صحيحاً، لوقوع حقيقته على شريعة كاملة وأحكام نافذة، ومن أخذ عنه الورد كأنه أخذه مني، بل هو أفضل مني، وإنما أسعفته بذلك لحسن ظنه، بتاريخ: 1275" ²

— كما أثنى عليه شيخه محمد أمزيان الحداد وأجازه أيضاً في آخر حياته وأرسل له الإجازة من سجن قسنطينة: "كل ما فتح الله به عليه على أيدينا من فقه وطريقة

¹ — انظر: موقع د. سعيد بويزري، <http://www.bouizeri.net/a>.

² — تاريخ الجزائر الثقافي: 64/7-65.

رحمانية، بل وجميع ما يؤذن فيه شرعا في حياتي، واستخلفته في ذلك بعدماتي، فمن أخذ عنه في ذلك كان كمن أخذ عني، ومن خالفه فقد خالفني"¹

كما نقل الدكتور بلقاسم سعد الله شهادة جلييلة للإمام محمد البشير الإبراهيمي، فقد أثنى عليه ومن أثنى عليه الشيخ البشير فهو أهل للثناء وأحق بالمدح، فقال سعد الله: "وسمعت شخصا تنويعها كبيرا به من قبل المرحوم محمد البشير الإبراهيمي الذي حدثني عنه عندما كنت طالبا في مصر. ولم أكن آنذاك أعرف شيئا عن الشيخ البوجليلي. والشيخ الإبراهيمي الذي قلنا إنه درس في زاوية شلاطة، من أعرف الناس بتقييم العلماء في هذا الميدان لحاسته النقدية والعلمية الدقيقة، وكان قد سمع عن الشيخ البوجليلي من تلاميذه"²

وقد مدحه تلميذه الشيخ محمد الصالح القلي مدح التلميذ المحب، الذي يرجو الوصل بالشيخ والقرب من جنبه. فقال في مقطع من القصيدة:

.....أَمْ كَيْفَ لَا وَهُوَ الرَّئِيسُ	مَنْهُ الْمَكَارِمُ تَرْتَجِي وَتُتَاوَلُ
عَلَامَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْبَحْرِ الَّذِي	لَا يَنْتَهِي وَلِكُلِّ بَحْرٍ سَاحِلُ
يَأْتِي إِلَيْهِ الطَّالِبُونَ لِعِلْمِهِ	وَلِفَضْلِهِ ذَا رَاكِبٍ ذَا رَاجِلُ
يُيَدِّي لَهُمْ عِنْدَ الدُّرُوسِ فَوَائِدًا	مَنْ حُسْنِهَا مَاتَ الْحَسُودُ الْجَاهِلُ
فَاقَ الْفُحُولَ فَصَاحَةً وَبَلَاغَةً	فَهُمُ الْجَدَاوِلُ وَهُوَ بَحْرٌ كَامِلُ

¹ - المرجع السابق: 64/7.

² - تاريخ الجزائر الثقافي 212/3.

الفقيه المقرئ محمد بن بلقاسم البوجليلي ----- د . سمير جاب الله

وَأَبُو جَلِيلٍ قَدْ غَدَا مُتَّبَعَتَرًا وَتَفَجَّرَتْ لِدَوِي الْفُهُومِ مَنَاهِلٌ¹

(d^ C^ ^ P7

وهو مفتي المالكية بمصر، وكان ذلك سنة 1278هـ، وهي عبارة عن استفتاء في حكم بناء مسجد جامع آخر في المدينة الواحدة إذا ضاق الجامع الأول، وكان المسألة خلافية بين الشيخ وأهل بلدته، وكان يرى جواز ذلك، وقد أيد الشيخ سليم فتواه².

g1

وتوفي رحمه الله عام 1898م، الموافق لـ: 1316هـ³، وذكر محقق التبصرة بأن وفاته كانت سنة: 1896م، أي 1314هـ، ولعل الأرجح التاريخ الأول وذلك استنادا إلى ما نقله د. بلقاسم سعد الله عن ديون وكوبولاني المستشرقين ص: 119-121 بأن أتباع البوجليلي في الطريقة الرحمانية حسب إحصاء 1897 تجاوزوا تسعة آلاف رجل وامرأة، فكيف يكون له أتباع وهو ميت - في نظر المحقق - قبل هذا الإحصاء بسنة، وعادة بعد موت شيخ الطريقة تنتقل الرئاسة إلى غيره فينسب الأتباع للشيخ الجديد وليس للشيخ المتوفى، والله أعلم بالصواب⁴.

¹ - التبصرة، نقلا عن مقال: "محمد بن أبي القاسم البوجليلي... المعلم والمقرئ" علي أمقران السحنوني، جريدة العقيدة العدد: 72.

² - تاريخ الجزائر الثقافي، د/ بلقاسم سعد الله، 5/595-596:

³ - انظر: أعلام الفكر والدعوة في الجزائر الحروسية، د. يحيى بوعزيز، ص: 237، ومقال لمحمد الطيب أبو داود بعنوان: ترجمة الشيخ العلامة المقرئ أبو القاسم البوجليلي الجزائري، موقع:

http://www.qeraatacademy.com

⁴ - انظر: تاريخ الجزائر الثقافي: 3/213،

الفقيه المقرئ محمد بن بلقاسم البوجليلي ----- د . سمير جاب الله

h L f& D) 6 %<

لقد خلف الشيخ محمد البوجليلي تراثا زاخرا ينم عن تضلعه في العلوم الشرعية، ولقد ألف في عدة فنون، وهي: النحو والقراءات، والتصوف، والخطابة، ومن مؤلفاته:

@ C ' e

BA T W وهو كتابه الذي اشتهر به، وهو في قراءة نافع برواياتها الأربع وطرقها العشرية، وهو ما يعرف في عرف القراء بالعشر الصغير، خلافا للعشر الكبير الذي يقصد منها القراءات العشر المتواترة.

BE Ci! " .) C W+ جمع فيها تقايد للشيخ محمد بن عنتر البتروني

وهو أحد الشيوخ المبرزين للطريقة الرحمانية¹

BF j 2 % @ R Q k -Q T # ^ d / 6 وهي حاشية على

كتاب كفاية التحصيل في شرح التفصيل للشيخ مسعود بن جموع المغربي ت: 1119هـ. الذي شرح فيه منظومة الشيخ ابن غازي

@ C 8

BG k 6 l . I ، أو النور السراجي في إعراب مقدمة الصنهاجي

BH k @ 8 % ، وهو عبارة عن تقييدات في النحو لا تتجاوز ثلاث

ورقات ونصف.

BK 2 n 2 : 5 R @ R l . I حيث كان هذا الشرح معتمدا في

التدريس في بلاد القبائل، وتقع في حوالي 80 صفحة.

T o

BX 6! W T! q 8 p 6 > j) 6 % وهي

¹ - انظر: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر الخروسة، د: يحيى بوعزيز، ص: 327.

الفقيه المقرئ محمد بن بلقاسم البوجليلي ----- د . سمير جاب الله

رسالة في التصوف :

رَبَّهَا عَلَى حَسَبِ الشُّهُورِ الْقَمَرِيَّةِ، $r8 \ a;3 \ @ < s \ t \ "$ $\mathfrak{B} \setminus$
حيث جعل لكل شهر خطبتين اثنتين¹.

$\mathfrak{B}_-$ قصيدة: " $\mathfrak{T}!$ $\mathfrak{J} \ 3u$ " أو " $v \ \mathfrak{M} +$ " وهي رسالة في تزكية النفس،
وقد أثبتتها في آخر البحث²

$\mathfrak{W} \ ! \ 6 <$

تدرك قيمة المرء بعد موته بما يخلفه من آثار علمية، وبما يصفه به أهل الفضل
والعلم ممن عرفوه وعاشوه، وقد اجتمع الأمران لشيخنا محمد البوجليلي، فمدحه محبوبه
ومعاصروه من أهل العلم والفن، كما أن كتابه التبصرة لم يترك أي شك لقارئه من
المختصين بأن واضعه ومن خط أسطره وقرر أحكامه وعرض مسأله من العلماء
المتبحرين في القراءات القرآنية، فهو خير شاهد على قيمة الرجل ومكانته العلمية وإليك
بعض الومضات المشرقات في شخصية الشيخ ومؤلفه.

$\mathfrak{Q} \ k \ T \ \mathfrak{W} :$

فهو كتاب جمع فيه الشيخ محمد البوجليلي قراءة الإمام بروايتها الأربع وطرقها
العشرة، وبين فيها أصول القراءة النافعية فبدأ بذكر شيوخه وبيان سنده في قراءة نافع،
ثم تكلم عن فضائل القرآن، ثم بين مصطلحاته ورموزه التي استعملها، ثم عرف برواة
نافع الأربعة وطرقه العشرة، ثم بين من يُبدأ له بالقراءة، ثم ختم بفرش الحروف
والخلاف فيه آية آية، وحزبا حزبا، من فاتحة الكتاب إلى آخر الناس، وعرضها بطريقة

¹ - التبصرة نقلا عن مجموعة بلقاسم ضيف للمخطوطات: 140.

² - نسبها له الباحث محمد الطيب أبو داود، انظر مقال ترجمة الشيخ أبي القاسم البوجليلي

الجزائري، <http://cb.rayaheen.net/showthread.php?tid=24479>.

الفقيه المقرئ محمد بن بلقاسم البوجليلي ----- د . سمير جاب الله

الجمع والإرداف في الآية الواحدة، فيأتي بالقارئ الأول ثم يردف عليه الثاني ثم الثالث، وهكذا مع سائر القراء حتى يقرأ للجميع، مع التنبيه للوجوه التي اندرجت أثناء القراءة، وهذا لعمرى صنيع الحذاق المهرة، والقراء المتقنين .

كما أبان الشيخ في الكتاب عن قدرات علمية منقطعة النظير، فنجده مناقشا للأقوال، منتقدا لها، مقررا للأحكام، مصوبا لها في بعض الأحيان، مجيبا عن أسئلة، معللا موجهها، مما يدل على طول باعه في فن القراءات القرآنية عموما وتخصصه في قراءة الإمام نافع خصوصا

k w ;T

أما مصطلحاته فقد قال : " وأما رمز المنقول عنهم، فكلما قلت **2** § **8** فالمراد به مولاي سيدي محمد بن علي المذكور، ورمزت لسيدي البشير العدلي بصورة **x**، ولسيدي قدور بصورة **y** ولسيدي مسعود شارح التفصيل بصورة **z** وللعتي بسورة ، ولبعض تلاميذ سيدي احمد العربي بلفظ **6** { .

] 0 |

من حيث البسط والقبض، ومن حيث الاختصار والإطالة، فلقد صرح بأنه وضع الكتاب للمبتدئين والمنتهين معا:

أما المبتدؤون، فقد بسط القول لهم في مواضع وأوضح لهم المسائل.
أما المنتهون فقد اختصر لهم الكلام في بعض المواضع اتكالا على فهمهم ومعرفتهم للأحكام، فقال رحمه الله: "وقد جمعت فيه بين غرض المبتدي بذكر كثير من محل الاندراج وحصر أوجه القراءات، والمنتهي بالتنبيه على المهمات، غير أنني أعرضت عن ذكر كثير الأحكام اتكالا على ابن غازي .

k w D) T

اعتمد على أمهات الكتب في القراءة العشرية، كحزر الأمانى ووجه التهاني للإمام الشاطبي الذي يعد مرجعا في روايتي روش وقالون وغيرها من القراءات العشر، وأرجوزة تفصيل عقد الدرر لابن غازي، وكفاية التحصيل للشيخ مسعود بن جموع، وتقييد الشيخ محمد البشير بن محمد السعيد بن علي بن مرزوق العدلي، وتقييد الشيخ قدور الدرعي، وشرح الخباز على ابن غازي وغيرها من أمهات المصنفات في الفن.

%618 We D 8(

للشيخ محمد بن أبي القاسم البوجليلي سندان الأول عن الشيخ محمد الطاهر الجنادي والثاني: عن الشيخ محمد بن علي بن مالك التقاي.

: وهو متفرع:

أ- عن $\wedge d \leq$; : 7 89 عن الشيخ السيد محمد بن يحيى اليراتي، عن الشيخ سيدي محمد بن بسع، عن عبد الله بن خراط 1275هـ —، عن ابن تريغت عن الحسين بن قري اليعلاوي عن الشيخ محمد بن عنتر من أولاد علي أحرزون بعرض أولاد بترون بقبيلة زواوة، عن الشيخ سيدي عبد الرحمن اليلولي، عن الشيخ سيدي احمد السعيد النازل بناحية دلس، عن سيدي عبد الرحمن بن القاضي الفاسي عن عبد الواحد بن عاشر وابن عاشر معروف وسنده موصول بابن غازي وابن غازي سنده موصول بالداني، والداني سنده موصول بالنبي علي الصلاة والسلام.

ب- عن $\wedge d \leq$; : 7 89 عن الشيخ $\leq$ @ 4 AEXE عن

الشيخ أحمد بن إيدير الفملالي، وهو عن ابن تريغت، عن سيدي الحسين بن قري اليعلاوي أيضا، عن محمد بن عنتر البتروني، عن الشيخ سيدي عبد الرحمن اليلولي

1105هـ، عن الشيخ سيدي احمد السعيد النازل، عن سيدي عبد الرحمن بن القاضي الفاسي عن عبد الواحد بن عاشر

Lh عن الشيخ < @ 4 عن الشيخ أحمد بن إيدير الفمالي، عن ابن تريغت، عن الحسين بن قري العلوي عن الشيخ سيدي محمد بن عنتر، عن الشيخ سيدي عبد الرحمن اللولي، عن الشيخ سيدي احمد السعيد، عن سيدي عبد الرحمن بن القاضي الفاسي عن عبد الواحد بن عاشر .

ومن باب إتمام الفائدة ارتأيت أن أوصل سند الشيخ محمد الطاهر آيت علجت بسد الشيخ البوجليلي، فقد قرأ الشيخ محمد الطاهر آيت علجت طُرُقَ نافعِ العَشْرِ على الشيخ: السَّعِيدِ الْجَرِيّ، وهو قرأها على الشَّرِيفِ الْإِفْلَيْسِيّ، وهو قرأها على مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْبُوجْلِيلِيّ.¹

¹ - وهذا ما ذكره هو، وما نقله الشيخ سعد الغامدي حيث قال: " وأدَوْنُ هنا شهادةَ شيخنا الكبير، المَعْمَرِ: الطاهرِ آيتِ عُلْجَتِ الجزائريّ، عن الجزائريّ، وهي شهادةٌ كبيرةُ القَدْرِ، فقد سألتُه -في المَسْجِدِ الحرامِ، ليلةَ الثَّلَاثاءِ: 6 / 6 / 1434-: عن عددٍ مَن قرأ معه عَشْرَ نافعٍ في زَاوِيَتِهِ التي كان يدرُسُ فيها، فأخبرني بأنهم نحوُ سِتَّةٍ، فسألته عن عمومِ زَوَايَا الجزائريّ، فأخبرني بأنهم بالعَشْرَاتِ! وأخبرني بأنّه قرأ في حُدُودِ سنة: 1933 م! وأخبرني بأنّه قرأ طُرُقَ نافعِ العَشْرِ على الشيخ: السَّعِيدِ الْجَرِيّ (ت: 1371)، وهو قرأها على الشَّرِيفِ الْإِفْلَيْسِيّ (ت: 1334)، وهو قرأها على مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْبُوجْلِيلِيّ (ت: 1314)، وهو بإِسنادِهِ، الذي سَطَّرَهُ في كتابِهِ (التَّبَصُّرَةُ في قِراءَةِ العَشْرَةِ)، وقد رفع البُوجْلِيلِيُّ (التَّبَصُّرَةُ: 100 - 102) إِسْنَادَهُ في عَشْرِ نافعٍ إِلَى ابنِ عَاشِرٍ (ت: 1040)، وإِسْنَادُ ابنِ عَاشِرٍ معروفٌ مشهورٌ. انظر مقال بعنوان: #k0 #i10 }!@ > @ (kN }! P1! u ~!@ #:" R }

vB %M + v " J 3u %T! v W </ %TM

لا إله إلا الله لا إله إلا الله محمد رسول الله

بها يثبت الإيمان بها يحصل الأمان كرر أيها الإنسان لا إله إلا الله
تكرارها ما أحلاه ما أسناه ما أعلاه تُدني العبد من مولاه لا إله إلا الله
قد أتانا في الأخبار عن النبي المختار أن أفضل الأذكار لا إله إلا الله
لكونها أثبتت رباً فرداً ونفت ما سواه فاعتلت لا إله إلا الله
أوجبها ربّ الناس على جميع الناس وهي للقلب نبراس لا إله إلا الله
جمعت معنى التوحيد ودلت بلا مزيد فاذكر أيها المريد لا إله إلا الله
ذاكرها لا يخشى لا ينال فرقا هي العروة الوثقى لا إله إلا الله
هي كلمة الإخلاص بها الفوز والخلاص من هول يوم القصاص لا إله إلا الله
هي حصنك الحصين هي درعك المتين ذكر ربك المعين لا إله إلا الله
فيها الفوز والتجّات فيها كلّ البركات تُنجي من كلّ الآفات لا إله إلا الله
بها تُمحي السيئات بها تنمو الحسنات بها تنهل الخيرات لا إله إلا الله
ففيها للسقم دواء فيها للضعف قوى هي كلمة التقوى لا إله إلا الله
هي شفاء الصدور هي نور فوق نور فضل ربك الغفور لا إله إلا الله
هي النعمة العظمى هي المنة الجمى ليس تبقي ألماً لا إله إلا الله
هي شفاء العلل فيها إصلاح الخلل فاذكر سيدي وقل لا إله إلا الله
حافظوا على الأوقات بالخشوع والاثبات إنّ تارك الصلّة عمداً في سخط الله
واحذروا شرّ اللسان إنّّه هو الثعبان ليس يسلم الإنسان منه يا عباد الله

لازموا الصبر المبرور ودعوا شرب الخمر أيّاكم تشهدوا الزور تنجوا من عذاب

الله

يا ربّ بالمصطفى بلغ مقاصدنا واجعل منازلنا في جنة النعيم¹

وفي الختام، هذه قبسات مشرقات، وصفحات نيرات جمعت فيها سيرة وآثار علم جليل من أعلام منطقة القبائل وبلاد الجزائر، وهو الشيخ أبو القاسم محمد بن بلقاسم البوجليلي، والغرض منها تعريف اللاحق بفضل السابق، ووصل الخلف بالسلف حتى يكون أبناء هذا الجيل على يقين بأن سلسلة العلم في بلدهم متصلة لم تنقطع رغم ويلات الاستعمار وتعتيم الاستعمار، وبأن أرحام الأمهات الجزائريات الطاهرات لم تكن يوما عقيمة عن إنجاب العلماء والفضلاء والكبراء، وأن أمثال البوجليلي في ربوع هذا البلد شرقا وغربا، شمالا وجنوبا كثر، وما على الباحثين إلا أن يخرجوهم من غيابات النسيان إلى نور العرفان، وأدعوهم إلى أن لا يظلموا علماءهم مرة ثانية، فقد ظلّموا أولا من طرف المستعمر، وبقاء هؤلاء مطمورين مجهولين ظلم ثان، والحمد لله رب العالمين.

¹ - هكذا نسبها له الباحث محمد الطيب أبو داود، في مقال بعنوان: ترجمة الشيخ أبي القاسم

البوجليلي الجزائري، <http://cb.rayaheen.net/showthread.php?tid=24479>.

ولا بد أن أشير إلى أسلوب هذه القصيدة المتواضع، ومن يقرأ كتاب التبصرة ويقرأ القصيدة قد يشك في اتحاد المصدر، ولعله قالها للإخوان والمريدين من باب التذكير والموعظة وتسهيل الحفظ لا من باب الصناعة الشعرية، والله أعلم.

§. T)

BA أعلام الفكر والدعوة في الجزائر الحروسة، د. يحيى بوعزيز، طبعة دار الغرب

الإسلامي، سنة: 1995م

BE أعلام من زواوة إيقاؤون، أحمد ساحي طبعة الجزائر: 1995م.

BF أعلام من المغرب العربي محمد الصالح الصديق، موفم للنشر، الجزائر، الطبعة

الأولى: 2000.

BG أعلام من منطقة القبائل، محمد الصالح الصديق، ديوان المطبوعات الجامعية،

الجزائر: 2007.

BH أوضح الدلائل في وجوب إصلاح الزوايا في القبائل محمد سعيد بن زكري

بواسطة كتاب التبصرة، تحقيق حسين وعليلي.

BK التبصرة في قراءة العشرة، للشيخ محمد بن بلقاسم البوجليلي، تحقيق الشيخ،

حسين وعليلي، رسالة ماجستير بكلية الدراسات الإسلامية بالخروبة، 2007 طبعة
حجرية.

BX ترجمة الشيخ العلامة المقرئ أبو القاسم البوجليلي الجزائري، عبر موقع:

الشبكة العنكبوتية <http://www.qeraatacademy.com>

B تاريخ الجزائر الثقافي، د. بلقاسم سعد الله، منشورات دار البصائر، الجزائر،

سنة: 2011

B_ مقال: محمد بن أبي القاسم البوجليلي .."، السحنوني علي أمقران، جريدة

العقيدة اليومية، عدد: 70 - 71 - 72.

10. مقال بعنوان: الشيخ سعيد اليحري، موقع د. سعيد بوزيري

الفقيه المقرئ محمد بن بلقاسم البوجليلي ----- د . سمير جاب الله

<http://www.bouizeri.net/a>

BAA مجموعة بلقاسم ضيف للمخطوطات:

BAE مقال للشيخ سعد الغامدي بعنوان: الجُمْلُ التَّوْفَع فِي الذَّبِّ عَنْ عَشْرِ

الإمام نافع، ، موقع ملتقى أهل التفسير

الإنسان بين الأنثروبومر كزيت والرداءة

د. فاطمة الزهراء كحلج

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

ملخص:

تنصرف المادة العلمية للمقال إلى معالجة مسألة قيمة الإنسان أو مناقشة قضية الصدارة الإنسانية التي تصدى العلماء قديما وحديثا عربا وعجماء للإدلاء بأرائهم في طبيعة علاقة الكائن البشري بأرضه وكونه ككل، فتباينت مواقفهم بين التأكيد على المبدأ الأنثروبي أي جوهرية الإنسان في الكون وبين الإمعان في تعميق مبدأ الفوضى الأزلية في الكون الذي قاد إلى تراجع عميق بالنسبة لمكانة الإنسان في الكون بكل أبعاده الروحية، إلا أن هذا التراجع بدأ ينحسر مع النصف الثاني من القرن العشرين بفعل المعطيات الفيزيائية والبيولوجية الجديدة المؤكدة على انضباط الثوابت الفيزيائية والكونية بصفة عامة مع وجود الإنسان، وهذا ما نجده واضحا في المعطيات القرآنية عن الكون والإنسان؛ لأنه الكائن الوحيد الذي يناط به جليل الوظائف ومضامين المسؤولية والتكريم التي تتنافى طبعاً مع التيار المادي الذي يعمق الرداءة في سلوكات الإنسان ورؤيته تجاه كونه وذاته.

Summary:

This article discusses about the value of man, where the controversial debate thinkers on fundamental and existential relationship of mankind; and raises the key issue of the role of man and his spiritual bearings which is retracted to the second half of the twentieth century consolidating stability and tenacity of man by physical and biological data that are fully consistent with the interpretations Qur'an on man, his prominence and responsibility in the universe at any opposing point of view which emphasizes the materialist current behavioral mediocrity and the vision of the universe and man's own existence!

الإنسان بين الأنثروبومركزية والرداءة ----- د. فاطمة الزهراء لالح
لا يعتبر علم الكون أو الكوسمولوجيا (cosmology) حقلا علميا خالصا، بل إنه يتصل بشكل وثيق بنظرتنا للعالم وحياتنا ومعتقداتنا أيضا، ولذا نجد العلوم الكونية ترتبط بالأفكار الميتافيزيقية والدينية والفلسفية، ومثالها: اعتقاد الإنسان بجوهريته في الكون وتبوءه محل الصدارة به منذ فجر التاريخ البشري، أين اعتبر نفسه، جوهر الكون الذي يتمحور كل شيء حوله خاصة وهو يلاحظ ويعي أن الكون بكل محتوياته، ما هو إلا مجال مادي يساق لتمكين الإنسان فيه، وبغض النظر عن المعطيات الكونية القرآنية، فإن الاعتقاد بمركزية الإنسان وجوهريته في الكون، قد تجسد ضمن مبدئين أساسيين هما:

– الجيومركزية (géocentrisme)

– الأنثروبومركزية (Anthropocentrisme)

الأول منهما يستند إلى فلكيات بطليموس (ptolomose) وهو فلكي رياضي، عاش في القرن الثاني للميلاد.¹

أما الثاني فهو المبدأ الأنثروبي، المشتق من الكلمة اليونانية (Anthropique) أي الإنسان، والذي يعتبر هذا الأخير جوهر الكون وغايته لما يلحظ من الملائمة والموافقة بين الإنسان، وما يحيط به من أحياء وجمادات ساهمت بشكل أو بآخر في هناء عيشه بتدليله .

وتسخيره لنفعه، وإزاء هذه الصدارة الإنسانية تصدى العلماء قديما وحديثا عربا وعجما للإدلاء بآرائهم في طبيعة علاقة الكائن البشري بأرضه وكونه ككل²

¹ – جمال ميموني ونضال قسوم، قصة الكون، (دار المعرفة، الجزائر، — ط1، 1998م)، ص261

² – الموقع الإلكتروني: <http://www.algscera.net> السبت 11 أبريل 2010 – الساعة 12:00 وكذا الموقع <http://science-islamic.net>.

الإنسان بين الأنثروبومركزية والرداءة ----- د. فاطمة الزهراء لالح

ففيما يتعلق بفلاسفة اليونان يمكننا تمييز موقفين:

- **الأول:** وهو الرأي الذي يؤكد على جوهرية الإنسان في الكون على أساس

التراتبية التي تسود الكون المخلوق وفق خطة مسيرة من قبل مبدأ أعلى، ومن رواد هذا الاتجاه مثلاً: أنا كسا غوراس (Anaxagoras)¹ وسقراط (scrat) 469 ق.م)²

- **الثاني:** وهو اتجاه فكري أمعن في تعميق مبدأ الفوضى الأثرية في الكون،

بحكم أنه وجود متعلق بالتصادمات الكلية التي تسيرها الصدفة العمياء وهذا يعني انعدام

أي هدف للكون فضلاً أن يكون قد خلق وكيف من أجل وجود الإنسان وحياته،

وأبرز من مثل الرأي مدرسة الذريين وعلى رأسها أبيقور (Epicure 346 ق.م-)

670 ق.م)³، وديمو قريطيس (Democrite 470 ق.م)⁴، وقد كانت آراؤهما مادية

صرفة تعتقد أن العالم أزلي أبدي تدفعه قوانينه الذاتية، وعلله الآلية العمياء إلى الاستمرار

في الوجود إلى الأبد، فلا شيء يتولد من عدم ولا شيء يفنى إلى عدم (Exrithlo

niheest)، وعليه فلا مجال للحديث عن الانتقال من اللاوجود إلى الوجود ومن الوجود

¹ - ولد أنا كسا غوراس في مدينة اقلازومان وانتقل من هذه إلى أثينا، وأدخل الفلسفة لأول مرة

في أثينا، أما عن فلسفته فقد ابتدأ من قبل أمبادو قليس وليوفيس، أي أنه بدأ من فكرة الوجود عند

برمانيدس وأنكر فكرة التغير المطلق سواء كان كوناً أم فساداً. عبد الرحمن بدوي موسوعة الفلسفة،

(الموسوعة العربية، بيروت، ط 1، 1984م، ج 1، ص 236 مادة (أناكساغوراس)).

² - بطرس البستاني، دائرة المعارف، (دار المعرفة، بيروت-لبنان، د، ت)، ج 9، ص 636.

³ - المرجع نفسه، ج 2، ص 416.

⁴ - البستاني، دائرة المعارف، ج 8، ص 233.

الإنسان بين الأنثروبومركزية والرداءة ----- د. فاطمة الزهراء لالح
إلى اللاوجود بفعل قوى إلهية،¹ وقد وجد للموقفين السابقين صدى عميق لدى خلق
كبير من العلماء ممن عنوا بدراسة العلاقة بين الإنسان والكون، فمن أتباع الموقف
الأول نجد العالم كبلر (1571-1630) kapler² الذي قاده إيمانه بالخالق، إلى الاعتقاد
بالأنثروبومركزية، ولذا فقد حرص على توجيه المغزى من خلق الكون صوب الإنسان،
ومن ثم تقرير فكرة الهدف المسطر في الوجود والتي أصطلح على تسميتها
(التيليولوجيا)، وكذا نيوتن (1643-1727) issacneuton³ الذي قادته إيمانيته إلى تقرير
مبدأي الأنثروبو مركزية والتيليولوجية، بحكم أبحاثه الفيزيائية ومعطياته المؤكدة على
وجود أهداف لكل قانون يحكم الظواهر الكونية، وكذا من المسلمين البيروني⁴ وابن
رشد (ت 595هـ)⁵ اللذين اعتبروا الإنسان أفضل خلق الله وكل ما عداه ميسر له
ولمنفعته.

¹ - عرفان عبد الحميد، الفلسفة الإسلامية دراسة ونقد (مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2_1424_1984م) ص 78.

² - www.edumedia_sciences.com 2010_04_14_

³ - http://www.ar.wikipedia.org/niki

⁴ - هو محمد أحمد أبو الريحان ولد سنة 973 م بخوارزم هو فيلسوف مؤرخ ورياضي توفي في أفغانستان عام 1046 م لجنة من العلماء الأكاديميين، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: فؤاد كامل، جلال العشري (دار القلم، بيروت / لبنان، د.ط، د.ت) ص 142 مادة البيروني .

⁵ - ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (دار الأفاق بيروت - لبنان، د، ط، د، ت)،

الإنسان بين الأنثروبومركزية والرداءة ----- د. فاطمة الزهراء لحلح
وكما وجد أتباع للموقف الأول فكذا الأمر بالنسبة للموقف الثاني، حيث
رفضت ثلة من المفكرين والفلاسفة فكرة جوهرية الإنسان في الكون، وأبرزهم
(نيكولاس كوبرنيكس 1473م-1543م) (Nicolas copernices)¹ الذي أطاح باعتقاد
مركزية الأرض، وأحل محلها الشمس وجعل الكواكب الأخرى ومن ضمنها الأرض
تدور حولها، وقد اعتبر هذا صدمة كبيرة للكنيسة آنذاك، لأن إزاحة الأرض عن المركز
يعني أن الجحيم التي بوأها الإيمانيات المسيحية مركز الأرض، قد أهملت في زاوية دون
أي خصوصية فلسفية أو دينية، وأن الإنسان الذي صورته الرب على شاكلته قد انهارت
صدارته وقبع متزويجا، وهذا أجح فتيل الغضب الكنسي ضده وضد غيره من الفلكيين
أمثال غاليليو (Galileo) (1564م-1642م)² الذي قادته أبحاثه الفلكية إلى رفض المبدأ
الأنثروبي بنفس قوة رفضه للمبدأ الجيو مركزي، على اعتبار الارتباط العلمي والفلسفي
بينهما، أما ابن ميمون (529هـ-601م)³ فقد وصف جوهرية الإنسان في الكون بأنه

¹ - عالم فلك ورياضيات وفيزياء، بولوني الأصل ولد في نورن، درس في جامعة كراكوفيا ثم في
جامعة بولونيا. حصل على لقب دكتوراه سنة 1503، انطلق من مبدأ الأرض ليست مركز
الكون. يأسين صلواتي الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت)، ج6،
ص6-29.

² - الموقع الإلكتروني: wikipedia.org/wiki.org/wiki يوم 14 أبريل 2010 الساعة 14.00

³ - خير الدين الزركلي، الأعلام (دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط7، 1986م-ج7، ص22

الإنسان بين الأنثروبومركزية والرداءة ----- د. فاطمة الزهراء لالح
اعتقاد ساذج أمام حجم الكون، الذي لا يقارن بذلك المخلوق البشري فكيف يعقل
أن يكون ذلك الكون بكل مخلوقاته هدفا لذرة صغيرة¹.

إلا أن التراجع الحقيقي لمكانة الإنسان في الكون بكل أبعاده الروحية بدأت
تتضح معالمه وتكتمل صورته مع مطلع القرن العشرين ومعطياته الفلسفية، التي قضت
على الآمال المركزية للإنسان وهو ذلك الكائن الذي لا يتعدى وجوده الزمني بالتقريب
بضعة مليون سنة في كون موجود من زمن طويل حوالي (10) أو (15) مليار سنة، هذا
بالإضافة لمعطيات بعض النظريات الفلسفية والعلمية، خاصة منها نظرية التطور
البيولوجي التي اعتبرت صورة الإنسان محطة لمجموع تراتبية تطورية واستمر هذا السير
الاحتقاري لمكانة الإنسان أين عملت فلسفات كثيرة على ترسيخ الإيمان به كتوغل
البعد المادي في المفهوم الإنساني ضمن ما يعرف بالفلسفة المادية² وتغييب الجانب

¹ - جمال ميموني، نضال قسوم، قصة الكون، ص 265-269، ومصطفى النشار، مدرسة
الاسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية (دار المعارف القاهرة، ط1، 1995م)
ص 152.

² -المادية: مصطلح فلسفي يستخدم في مقابل مصطلح آخر هو المثالية، وتوصف به اتجاهات
ونزعات فلسفية عديدة تشترك في القول بأن الأصل في الموجودات هو المادة لا الروح أو العقل أو
الشعور، مجموعة من الأساتذة، الموسوعة العربية العالمية، (مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض-
السعودية، ط2، 1419هـ-1999م، ج22، ص47، (مادة: المادية)

الإنسان بين الأنثروبومركزية والرداءة ----- د. فاطمة الزهراء لالح
الروحي السامي، وكذا الوجودية¹ التي أمعنت في سحب الكائن البشري إلى مبادئ
التيه النفسي والفكري والتغريب المعرفي، المحفز لقطع أي ارتباط بينه وبين الخالق.

ليس هذا فحسب بل إن كل هذا التداعي لقيمة الإنسان، أعطى الفرصة
لدعوي بعض المفكرين من أجل خلع أي قيمة عن الإنسان أو إحلاله مكانة رفيعة،
تحول له امتلاك زمام الأرض فضلا عن الكون ذاته وهذا يعني إسقاط المعيار الإنساني في
كل نظرية فلسفية أو دينية، طالما أنه كائن فاقد لجوهرته موغل في ماديته صمة. وقد
سمي هذا الموقف الجديد من الإنسان بمبدأ الرداءة (principle of mediocrity).

إلا أن هذا التدهور الكبير لمكانة الإنسان في الكون وإقصاء جوهرته، قد بدأ
يتراجع مع منتصف القرن الثاني من القرن العشرين بفعل المعطيات الفيزيائية والبيولوجية
الجديدة التي أوضحت أن الكون ذاته قد ضبقت قوانينه بحكمة شديدة، تجعل وجود
الإنسان فيه حتميا فضلا عن كونه ممكنا، وهذا لأن الثوابت الفيزيائية التي يقوم وجود
الكون عليها كيفية لحياة ذلك الكائن البشري.

وهذا مضمون المبدأ الأنثروبي أو المبدأ الإنساني (Antropic principale) وهو
توجه فلسفي ذو نهج علمي بدأ مع نيوتن الذي صاغ قانونا جوهريا، للأجرام السماوية
يمنعها من السقوط في هاوية الفضاء موضحا خلالها أن ثقل الأرض هو في مركز
تكورها وهي التي تجذب الأجسام التي عليها نحوه، وهذا القانون هو الذي يربط

¹ - مذهب فلسفي أدبي ملحد وهو أشهر مذهب استقر في الآداب الغربية في القرن العشرين ويركز
المذهب على الوجود الإنساني الذي هو الحقيقة اليقينية الوحيدة في رأيه، ويمكنه أن يصنع ذاته وكيانه
ويتولى خلق أعماله دون ارتباط بخالق أو بقيم خارجية

الإنسان بين الأنثروبومركزية والرداءة ----- د. فاطمة الزهراء لالح
الأجسام السماوية ويحفظ تماسكها وانتظامها في مدارتها¹. إلا أن معالم المبدأ الأنثروبي
لم تبدأ في الاتضاح بشكل دقيق إلا سنة 1974 مع البريطاني براندن كاتر (Brander
carter)، الذي كان له السبق في إدخال مصطلح المبدأ الأنثروبي في المنظومة العلمية
رغم أن ذات المبدأ قد تمت صياغته بطرق مختلفة من طرف أشخاص من قبله. وهذا
لأنه قدم أعمالاً غاية في الأهمية تستهدف تلك الدقة المذهلة الموجودة في قيم الثوابت
الفيزيائية وتناسقها، بحيث ترغم ملاحظيها على الخلوص إلى حتمية فكرية وهي أن هذا
الكون قد اختيرت خواصه بحكمة ودقة بالغتين لضمان ظهور الإنسان عند نقطة معينة
وبالتالي يجب على أي نظرية كونية أن تعتبر ذلك في أحكامها، وقد سمي مبدأ كارثر
هذا بالمبدأ الأنثروبي (weak Anthropic) الضعيف الذي تلاه:

المبدأ الأنثروبي القوي: وهو القائل بأنه يجب على الكون أن يمتلك خصائص
دقيقة حتى يمكن للحياة أن تظهر وتتطور بداخله في مرحلة من مراحل تاريخه، وحسب
رأي العالمين ريتشاردز (Richards) وغوانزاليس (Goisales) بإمكان المبدأ الأنثروبي أن
يذهب إلى صيغة أقوى، أين يمكن لنا التأكيد أنه ليس الكون فقط بل أن المجرة والنظام
الشمسي والشمس والقمر والأرض كلها ثم ترتيبها بدقة من أجل وجود الإنسان.

المبدأ الأنثروبي القوي جداً: وينسب للعالم جان ستون (jean stone) الذي
يجزم بأن الكون أعد لحياة متطورة وأكثر تقدماً من الإنسان كي تنشأ وهذا يبرز تناغم
الإنسان مع معطيات الكون

¹ - عبد الحليم عبد الرحمن خضر، الإنسان والكون بين القرآن والعلم (عالم المعرفة، جدة، السعودية،

الإنسان بين الأنثروبومركزية والرداءة ----- د. فاطمة الزهراء لالح

المبدأ الأنثروبي الفائق: وهو الذي يتبنى جوهرية الإنسان في الكون بالإضافة لفكرة التسخير، أي تسخير الكون له¹.

وهذا ما نجده واضحا في المعطيات القرآنية عن الكون والإنسان لأن الإنسان هو الوحيد من بين كل المخلوقات من تناط به وظائف جليلة في الذكر الحكيم، لأنه بطبيعته وسلوكه وواجباته وعلاقته بمحيطه وكونه بشكل عام، ينال اهتماما مركزيا في النص القرآني بحكم العلاقة الكائنة بين الإدراك البشري الواعي للكون وبين التصور السليم للذات الإلهية كذات وصفات، وهذا لأنه لا وجود في القرآن الكريم لثقافة الفصل بين عالم الطبيعة وعالم القيم والمعتقدات، ليس هناك مجالا لإله منفصل عن الكون، يبرز فقط ضمن فهمنا العلمي بحكم المعطيات الفلكية، إن إلها من هذا النوع هو أعمق بكثير من الخيال.

ولذلك فحينما نناقش المفهوم الإنساني ضمن الرؤية الجاهلية السابقة لقدم النبي محمد عليه الصلاة والسلام، نجد أن مصير الإنسان وموقعه في قبيلته، وعلاقة هذه الأخيرة بغيرها من القبائل كل ذلك كان يمثل المشكلة الرئيسية للإنسان في تلك الفترة، إلا أن هذا لا ينفي طبعا إدراكه لقوى مرئية وغير مرئية كالجن والأصنام التي كانوا يعبدونها زلفى لله، إلا أنها تحتل في النهاية حيزا ضيقا ومحدودا من العالم الذي يهتم به، بحيث يستحيل أن يتحول الموضوع إلى تفاعل فكري يتولد عنه مفهوم إنساني رئيسي قائم بذاته.

أما في القرآن فثمة علاقتان أساسيتان بين الله عز وجل والإنسان.:

أ/ العلاقة الأنطولوجية (الوجود): وهذا يعني وجود ثنائية حدها الأول "الله عز وجل كمصدر للوجود الإنساني ثم الإنسان بوصفه مثالا لأفضل خلقه على الإطلاق.

¹ - الموقع الإلكتروني: <http://www.aljsecra.net> <http://science-islamic.net>

الإنسان بين الأنثروبومركزية والرداءة ----- د. فاطمة الزهراء لالح

ب/العلاقة التواصلية: حيث نجد ذلك الترابط المتين بين الله عز وجل والإنسان دون الحاجة إلى وسائط افتراضية أقرب ما تكون إلى الوهم، وأول أنواع هذه العلاقة التواصلية هو:

***الوحي:** وهو الهداية الشرعية التي يصطلح على تسميتها الوحي، ذلك أنه تعالى لم يترك عبده من بدء الخلقة دون إرشاد وتوجيه سماوي، إذ اقتضت العناية الإلهية أن تصطفى طائفة من البشر مبلغين عنه وحيه وشرعه.

*** العباداة:** وهي تعبر عن كل القربات والطاعات التي تزيد من دنو العبد من خالقه بكل أنواعها مالية أو بدنية أو قلبية... وهي تمثل عين التكريم والجوهرية للذين خص بهما الله عز وجل الإنسان ككل وتتضمن أيضا كل معاني الخضوع والطاعة المطلقة له تعالى¹ على الرغم مما يصدر عن بعضهم من غطرسة وتكبر وغرور، لأن الإنسان حسب ما ورد في القرآن الكريم هو محور الكون وموضع التكريم والعناية، فقد خلقه في أحسن تقويم: "قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾" ².

وكذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ^ط فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ³ وهذا يشير إلى حسن صورته

¹ - توشيهيكو إيريوتسو، الله والإنسان في القرآن، ترجمة: هلال محمد الجهاد، (بيروت، ط1

ن2007م)، ص129-131 وانظر نايف معروف، الإنسان والعقل، (بيروتند، ط، د، ت)، ص53.

² - سورة التين، الآية: 04.

³ - سورة غافر، الآية: 64.

الإنسان بين الأنثروبومركزية والرداءة ----- د. فاطمة الزهراء لالح
واستقامة بدنه وهذا موضع من مواضع التفضيل الذي هو احد عناصر المبدأ
الأنثروبومركزي.

وقد أشار الرازي (544هـ - 606 هـ)¹ إلى مسألة التكريم والتفضيل، وأبان
وجه ورودهما على غير سبيل التكرار، لهذا فقد صرف معنى التفضيل إلى كونه تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾² حيث ذكر أنه لابد من التفريق
بين التكريم والتفضيل وإلا لزم التكرار لذا فقد صرف التفضيل إلى كونه تعالى فضل
الإنسان على سائر الحيوانات بأمور خلقية طبيعية ذاتية مثل الصورة الحسنة والقامة
والعقل ثم مكنه بذلك العقل لاكتساب العقائد والأخلاق الفاضلة وهذا هو التكريم لأن
بدنه أشرف الأبدان الموجودة في العالم السفلي ونفسه أشرف النفوس الموجودة في العالم
السفلي لاختصاصها بالقوة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء والمستنيرة بنور معرفة الله
المتأتي من النفخة القدسية في ذلك الكائن المبجل لذا كان هو اشرف الموجودات بحكم
قربه من الوجود الأشرف والأكمل على الإطلاق، وهو الوجود الإلهي، وهذا القرب
هو الذي حول له استنارة قلبه بمعرفته تعالى وتكريم جواره بذكره وطاعته³.

¹ - عدد من الأساتذة، الموسوعة العربية العالمية (مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع الرياض -
السعودية، ط1، 1419هـ - 1999م)، ص59: مادة الرازي.

² - الإسراء، آية: 70.

³ - فخر الدين الرازي، التفسير الكبير (دار الفكر بيروت لبنان، ط1 1401هـ - 1981م) مج11
ص13، 15.

الإنسان بين الأنثروبومركزية والرداءة ----- د. فاطمة الزهراء لالح
وهذه المضامين التكريمية تتنافى طبعاً مع التيار المادي الذي ألغى البعد الروحي
للإنسان واختصره في مضامين وأهداف مادية بحتة، ألغت إنسانيته، وعصفت به بعيداً
عن مكانته كمخلوق مكرم يسير المادة وتسير إليه .

إن الفلسفة المادية عمقت بعد الرداءة في سلوكيات الإنسان وحجم رؤيته تجاه
نفسه وعالمه في حين أنه كائن يعي ذاته، إنه الكائن الوحيد القادر على استخلاص أشد
أنواع المعرفة تجريداً بعمليات ذهنية غاية في الدقة والتعقيد .

ثم إن شعور الإنسان بحركة فكره المتواصلة مع الزمان، تثبت له أن المفكرة
مغايرة لبدنه تماماً وهذا لأنه حتماً يتفاعل مع الحياة على غير مقتضى العشوائية سواء
الدينية منها أو الأخلاقية، ولا يمكن بأي حال أن نصف تلك الحوافز بأنها مادية، وهذا
عين ما يبين الفارق بين الإنسان وغيره من الكائنات الحية وغير الحية، التي لا تصدر في
سلوكها عن إرادة واعية وفكر استدلالي وكلها لا تخضع لقوانين المادة بل إنها قاصرة
عن تفسير التصورات الإنسانية المجردة ومقرها العقل الدعامة الأساسية لتحقيق رسالة
الإنسان على الأرض، وهي الخلافة وتعمير الأرض، بناء على إمكانياته الكبيرة
اللامحدودة والدالة على أنه تعالى قد أوجد فيه من الاستعدادات الإدراكية والعملية ما لم
يوجد في مخلوق آخر، لأنه الكائن¹ الوحيد القادر على تعقل ما حوله وإعطائه هدفاً
وغاية.

كل هذا يقودنا إلى تحديد وضعية الإنسان بالنسبة إلى بقية المخلوقات وهذه أهم
عناصرها :

¹ - أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، الإنسان والكون في الإنسان (دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ط،

الإنسان بين الأنثروبومركزية والرداءة ----- د. فاطمة الزهراء الحلح

1 — الإنسان خليفة الله في الأرض : مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ

رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ
فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ 1.

وما سماه الله عز وجل خليفة إلا لأنه يخلف الله عز وجل في الحكم بين الخلق

بالحق²، وهذا يؤكد قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ

بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾³، وخلافته هذه مغزاها تعمير الأرض وإشاعة الخير والسلام فيها

وهذا أيضا محتوى الأمانة التي حملها وبمقتضاها كرمه الله عز وجل بالقدرة على التعلم

وحيازة المعرفة التامة لخصائص الأشياء لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا

ثُمَّ عَرَّضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁴

وهذا يدل على أنه كائن كريم على الله عز وجل ذو محورية في تصميم الوجود على

الرغم من استعداداته الطبيعية للضعف والخطأ والقصور .

¹ - سورة البقرة، آية: 30.

² - الرازي، التفسير مج 1 ص 180 وانظر أحمد إبراهيم، الإنسان في القرآن الكريم (المكتبة العصرية

بيروت د.ط.د.ت)، ص 47-48.

³ - سورة ص، آية: 25

⁴ - سورة البقرة، آية: 31.

الإنسان بين الأنثروبومركزية والرداءة ----- د. فاطمة الزهراء لالح

2 — إنه مخلوق سخرت له كل المخلوقات :إن مظاهر التسخير هذه بادية في كل أجزاء الكون من نبات وحيوان ناطقة .بمظاهر العناية الشديدة بذلك الكائن البشري¹ وهذا ذاته ما دفع الإمام الغزالي (450 — 505)² إلى اعتبار جملة الكون كبيت معد به جميع احتياجات الإنسان .فالسماء هي السقف والأرض ممدودة مهياة للإنسان كالسبط والفرش، والنجوم منصوبة كالمصابيح، وهذا كله مهياً لنشأة الإنسان وحياته لأنه مالك ذلك البيت وسيده، وهذا تقرير بمحورية الإنسان في الكون³.

إن هذه المكانة الكريمة التي يتبوأها الإنسان في الكون، تمكنا تجاوز الطرح المتعلق باختبار مصداقية محوريته في الكون، إلى أفق أوسع وأبعاد أعمق موعلة في علاقات جمالية بين الإنسان والكون وهو ما نسميه بالتعاطف والألفة بين الإنسان وعالمه على أساس المشاركة والانسجام القائم بينهما، وهذا تماماً ما ركز عليه بعض فلاسفة الإسلام الذين اعتمدوا نظام المشابهة بين العالم (الإنسان الصغير) والإنسان (العالم الكبير) وهو تفسير شامل للعالم مبناه التركيز على المقاربات الشديدة بينهما، باعتبار الإنسان الكائن الوحيد الأتم صورة والأشد شبهاً بجملة العالم الكبير والعالم الصغير، ومن ثم توضيح العلاقات الداخلية بين الإنسان والطبيعة حيث يكون العالم بمجموعه عبارة عن كائن عضوي حي، يماثل في عضويته وحياته أجزاء الجسم العضوي للإنسان بكل مظاهر الحياة العضوية التي تدب في أوصاله وكل ما يحيط به من شؤون

¹ - الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، (دار الصحوة القاهرة ط 1 1405_1985 م) ص 84.

² - الزركلي، الأعلام مج 7، ص 22.

³ - رسائل الإمام الغزالي في مخلوقات الله عز وجل (دار الكتب العلمية بيروت ط 1 1441هـ - 1994م)، ص 4.

الإنسان بين الأنثروبومركزية والرداءة ----- د. فاطمة الزهراء لالح
حياته، وهذا لما يحقق من صور توافقية تتناغم فيها كل من العالم والإنسان لإظهار
وحدة لا نشوز فيها، باعتبارها صنع الواحد الخالق ومن ثم الوصول إلى الإعلاء من
قيمة ومكانة هذا العالم الصغير أي الإنسان¹.

وهو رأي إخوان الصفا² الذي لم يبتعد عنه ابن سينا³ الذي سعى إلى إحكام
الوصل بين مبادئ العلوم الطبية والعلوم الكونية، ليحقق أفضل فهم للعلاقة الموجودة
بين العالم والإنسان من جهة وبينهما وبين خالقها من جهة ثانية، فقد أقام هذا الفهم
على مبدأ العشق الذي يسود الكون كله، لأن لكل الموجودات شوقاً غريزياً ولذلك
تمتلك القوى النباتية والحيوانية نوعاً معيناً من العشق الموافق لوظيفتها، فالرغبة في
الحفاظ على الطعام في الجسم أو زيادة حجم الجسم كي يتناسب مع أبعاده كذلك
العشق الطوعي للحيوانات كلها تصدر عن العشق والتعاطف الكوني السائد بين جميع
المخلوقات، ثم يزيد ابن سينا في إبراز التعاطف الكائن بين كل من العالم والإنسان،
على مستوى الطقوس الدينية هذه الأخيرة التي تؤدي إلى زيادة التعاطف والألفة بين

¹ - لالح الزهرة، العالم والإنسان في فلسفة إخوان الصفا (رسالة دكتوراه كلية أصول الدين
والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم العقيدة ومقارنة الأديان 208م-2009م) ص 14-15.

² - إخوان الصفا وخلان الوفا، جماعة فلسفية سرية ظهرت في نهاية القرن الأول الهجري بسوريا،
وهم من الشيعة الإسماعيلية التي عملت على التوفيق بين الحكمة والشريعة . لالح الزهرة، الآراء
العقدية في فلسفة إخوان الصفا، (رسالة ماجستير، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية،
قسم العقيدة ومقارنة الأديان، 1999م-200م) أنظر الفصل الأول.

³ - ابن سينا: هو الرئيس الحسين بن عبد الله بن سينا أبو علي الفيلسوف صاحب التصنيف في
الطب والمنطق والطبيعات والإلهيات ولد سنة 370هـ أصله من بلخ ومولده كان في إحدى قرى
بخارى التي نشأ وتعلم بها أما وفاته فكانت سنة 428هـ الزركلي، الأعلام ج2 ص241.

الإنسان بين الأنثروبومركزية والرداءة ----- د. فاطمة الزهراء لالح

العالم الصغير والعالم الكبير، لأنها تقوي روحانياته وتساعد على إدخال نظام العالم إلى داخل كينونة الإنسان وتجعله جزءاً منها، حينها يهتز داخله بالرجاء معلقاً الآمال على أن تتوجه إرادة الخالق إلى مظاهر الكون لتحصيل نفع البشر ومثاله صلاة الاستسقاء¹

أما ابن رشد فقد عبر عن مبدأ التسخير بالموافقة والملائمة بين الإنسان والكون، جازماً خلالها بتعارض هذه الموافقة مع الاتفاق والصدفة في الخلق، لأن الموافقة ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد لذا فقد أشار إلى موافقة وتسخير الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الإنسان، وكذا مظاهر العناية المتجلية في استواء أعضاء بدنه وموافقة حياته ووجوده، ثم إن الزمان نفسه ممثلاً بالفصول الأربعة فيه حكمة بالغة لهناء عيشه²

وهذا ما تكلم عنه لسان العلم الحديث الذي أبان أن الأرض التي نعيش عليها لها موقع ممتاز بالنسبة للشمس وأنها ذات حجم ممتاز . الأمر الذي جعلها أنسب الكواكب للحياة، فالدورة التي تقطع الأرض فيها رحلتها حول الشمس، ملائمة جداً لتنوع الفصول الأربعة (الخريف، الشتاء، الربيع، الصيف) وفي ذلك تنوع مناخات الأرض على مدار السنة، مما يجعلها صالحة لسكنى الناس، ثم إن خاصية الغلاف الهوائي تجعل منه أنسب معطى لحياة الإنسان وبقية المخلوقات حيث تبلغ نسبة الأكسجين 1/5 من حجم الهواء ولو زاد أكثر لاحترق الكوكب كله. بمجرد إشعال عود ثقاب واحد³.

¹ - سيد حسين نصر، مقدمة إلى العقائد الكونية الإسلامية، ترجمة: سيف الدين القصير (دار

الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية - سوريا ط 1 1991م) ص 187 - 188.

² - ابن رشد الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم: محمد عابد الجابري (دار العلم، بيروت، ط 1 1998) ص 80.

³ - عبد العليم عبد الرحمن خضر، الإنسان في الكون... ص 228.

الإنسان بين الأنثروبومركزية والرداءة ----- د. فاطمة الزهراء لالح
 وإذا ما تحدثنا عن مبدأ التسخير ضمن النصوص القرآنية، فإننا نجد على
 مستويين :

1 — **المستوى الأول:** وينصرف إلى تلك السنن الجارية والقوانين السارية في
 الكون بأمره تعالى دون أن يكون للإنسان يد في تسييرها أو قدرة على تغييرها، وكلها
 وجدت لمصلحته، ومتوائمة مع حياته ككل وهذا النوع من التسخير أشارت إليه
 الآيات التالية قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ
 السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ
 لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۝¹ وَكَذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ
 الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ
 ۝¹⁰ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ
 الثَّمَرَاتِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝²﴾

2. **المستوى الثاني:** من التسخير فهو يتعلق بتسخير القدرة على الاكتساب
 والتعلم، والتمكين له بأنواع المعارف بواسطة الملكة العقلية، التي تخضع لإرادتها وقدرتها
 كل المخلوقات فيصرفها لمنفعته وهناء عيشه كقوله تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ
 لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ

¹ - سورة إبراهيم، آية: 32 .

² - سورة النحل، آية: 10,11 .

الإنسان بين الأنثروبومركزية والرداءة ----- د. فاطمة الزهراء لالح

ظَعَنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ^١ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئْتًا إِلَى

حِينَ^١. ولمكانة الإنسان وكرامته عند الله عز وجل فإنه كذلك قد فضله بتسخير
تجاوز المخلوقات الأرضية إلى السماوية منها، حيث سخر له ملائكته الكرام الذين هم
أهل قربة، استخدمهم له وجعلهم حفظة له في منامه ويقظته وجعلهم سفراء وحيه^٢.

كل هذا يجعلنا نطرح العلاقة القائمة بين الإنسان والكون ضمن أبعاد جمالية
وأخلاقية، لا موجب فيها للصراع والغلبة ولا مجال بها لمشاعر الخوف والقهر، لأنهما
وجهين لعملة واحدة وهي خلق الله الذي أحسن كل شيء، إنهما يشتركان في أمور
عديدة من بينها :

الخنوع لسنن الله وقوانينه وأولها وحدة المآل والطاعة، وكل من الكون
والإنسان خلق الله الذي لا يخرج عن طوعه إن في البدء أو في الانتهاء مصداقا لقوله

تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^٣ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ^٣﴾ فكل

من الإنسان والكون يتفاعلان مع بعضهما البعض في إطار انسجامي لتحقيق توازن
يوكل للإنسان أمانة المحافظة عليه، وقد أبان سبحانه وتعالى في آيات كثيرة ضوابط
معرفية لإحداث هذا التوازن بإشارات تعليمية مستفادة حتى من الحيوانات دقها
وجلها، ومثاله تلك الكائنات البحرية الميكروسكوبية التي تؤدي دورها في الحفاظ على
النظام البحري، بتطهيره من كل الملوثات، وكذا ما نجده لدى النحل الذي لا يتخطى

¹ - سورة النحل، آية: 80.

² - ابن القيم مدارج السالكين (دار الكتاب العربي بيروت، د. ط، د. ت)، ج 1، ص 21.

³ - سورة آل عمران، آية: 109.

الإنسان بين الأنثروبومركزية والرداءة ----- د. فاطمة الزهراء لحلح

وحى الله عز وجل في تحري منافعه مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾¹ فهذا إحياء وتلميح للبشر كي يستفيدوا مما حولهم في إطار مفهوم التسخير، فلا يستدبروا وحيه ولا يتنكبوا هديه² هكذا تتضح الأبعاد المفهومية لعلاقة الإنسان بكونه ومن ثم مكانته فيه، إنما تقوم على الألفة والمودة والتكامل الوظيفي بينهما، لأنهم جميعا خلق الله الذي أراد أن يكرم الإنسان بكون متوازن الأبعاد والخصائص، ينبغي عليه أن يعمره وفق كل القيم التي حددها ورسمها له الشرع الحنيف حيث لا مجال للحيث والفساد، الذي نراه حاصل اليوم في حق الإنسان ذاته، من جراء تنازله عن مكانته القيادية لرغبات وشهوات عصفت به ودفعته إلى تضييع من استأمنه الله عز وجل عليه وهو الكون بكل ما فيه من مخلوقات، ومن صور ضياع تلك الأمانة: احتلال توازن الكون، وتفشي مظاهر التلوث الجوي كاختراق طبقة الأوزون وحركات التسلح النووي والرهانات الاقتصادية التي تتم على حساب ضعفاء الأرض .

غير أن هذا لا ينفي عنه جوهريته ومركزيته في الكون. بل إنه يعد من أقوى الأسباب التي تدفع بالإنسان إلى مراجعة سلوكياته للحفاظ على نعمة التبجيل والتكريم، وإلا فلربما سيحرم منها يوما ما لأن النعمة حقها وحفظها يكون بالشكر، ومحل الشكر هنا صون الاستخلاف والتعمير وفق الأبعاد الشرعية والأخلاقية .

¹ - سورة النحل، الآية: 68

² - عبد المجيد النجار، قضية البيئة من منظور إسلامي (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الدوحة قطر، ط، 1 1420هـ - 1999م)، ص 56 .

مجلة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

دورية أكاديمية متخصصة محكمة

تعنى بالدراسات الإسلامية والإنسانية

*/**/*

صفر 1435 هـ / ديسمبر 2013 م

العدد 32

ISSN 1112-4040

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن جميع الآراء الواردة في هذه المجلة تعبر عن وجهة
نظر أصحابها فقط، ولا تعكس رأي المجلة

الهيئة الاستشارية	هيئة التحرير	مدير المجلة:
!		مدير تحرير المجلة:
) * † ,	\$! & '(	! "#
0! # 12	- . % # ! /	رئيس تحرير المجلة:
6 7%8/	345 & 1 -5	*
:! ; 6	579 ' #	أمانة المجلة:
<! 1 <	< A/ ! BC	= > & ? @ < "#
I % " J	F 679 1H	E! D < "#
N%70 P	4% 5 ",	L M, &"/K
S † 1H	R # ,	& Q 0 "#
7 . U7-#	72 ?	
V G 6	), > < 4,	
X% Y ;	- % 0 1W	
[" !1	F %Z, 1H	
7A/ S1	: \ 5	
F † -# ,	] † . 7; †#	
I %	1 5 ^ 9	
> 0 ",	# 6	
< ` 6	‡ _ . % # ! /	
) d 6	a , b4c	
I g Sh,!	! e# . <7'f	
	% ! #	

mRK S T # j+7%7 B# \$ @! k I 7 i ^
7@ZW r &T T"G 137 n &, o L # ! e# ,p &, & q ©
25000
u00213tu31t91 21 10 m\$24# I ^ s ©
Madjalat @ univ-emir.dz mF 7B-#o %v# ©

شروط النشر في هذه المجلات

! e# ,p & , & q V '7?/ 7 we xEp V a78?%
m % , & , o L #
m % hG TB% Sz2 {& 1 # &% W Z 1B, 0 I S -% S y1
G 9D _7^ {& , o & 7 # <! hc L | & 97 , y
i%}# # F "/o 7-4# L | & / "/+ &%7-9 y
{& # & , Ä5 ., {& Ä 2p & 1 # a 7?# ~9 B", 0 I S -% S y2
u& 7 &%! A t &%vÇ < {& `>T N h#
Madjalat @ univ-emir.dz mRK S T # j+ w Ä #) 7% S y3
a h, n7G V {&G! # ., 5 i É Pß "/V L e% '
i 5 ; j+ Ä # % w y4
i =! B, `>T, N h {& #D &e%7 0 I X, ' Ñ! ^ S y5
ÜT# . & A4T, Ö5 W / # ! A# , 7# S -^ S y6
a h, n7G V á 4H {}eß", I , V { B-
< / j+ Là G {â7 &> j+ 7?T #) ! 7?/ G Ä # S -% w y7
1 Éeß , & 1
& 7 # Ü , ã, & T p # & 7 # & # I & ä 7?T^ y8
&1 2 100 f `B% w &%Z áo
& ä <! + v| { '7?/) G k - B# & ä j+ & 7 1 p ãh| y9
U eß# & `BT xEp ;
%v# { I ^s kG! ã, {& 1 & ^ (< " & ä <! o L e Ä # Ö97% y10
F 7ß-#o

فهرس المحتوی

11 yyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyy & ä 7% , U e^ ♦

12 yyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyy & ä 7%7ç 7% , &1 2 ♦

13 yyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyy7%7 B# \$ @! &1 2 ♦

15 yyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyy: 1 é %! ♦

â &e e5 { 4 A Q ^7B# V è 1 # è !D

}# Q"5 I A Q ^7^ < +

59 yyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyy :! , & d ♦

y ٧٧٧٧ ê# "4^ ., Ñ(ë y S è7e# S è7e# "4^

75 yyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyy V G 6 ♦

Ä% c è 1 T > ' & # &/ - ,

103 yyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyy : ; .% # ! / ♦

& ! &G! ? P &! e, &T%)' 0 dí w B w

(ë u\$# /p ì 7 # t

145 yyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyS 1 7A/ ♦

i 9 L o & 7' 3, i "b2 ì7 É Ac)@

î &T"# B-# è I V &% ; e, & ! î

173 yyyyyyyyyyyyyy k G &4; :7 9 ♦

& # ì p V& T p 1 # <! `B# k-5

205 yyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyy\$J 9 < ♦

)%}B# ie9 & %7?# ; e, P <7)1

235 yyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyy ! B2 # ◆
&Å e# 7 # &/ % I ; V ê -# . ï>T,
ñL T; pñ i B2 .,

253 yyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyy & d Y ; ◆
&T"# SD7e# V &e "# &% 1"# QB-# n A/ .,

275 yyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyy I % ◆
& "# 7A# &T% # k ' 4 P & 5 ; o &% 5 &27c

295 yyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyy * ◆
&1 # ò! _D # k e . 1H Ó7e i e4#

319 yyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyy c è7'Z# &1 9 ◆
<è 7# &%Z27, 7ò/p P S "/o

339 yyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyy & ; QT%f ◆
è7 ?# S ö ;! î"# /p ã1Bä ., ! ;

373 yyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyy S U72 ◆
ÜT# Ç 4G B9 & îîîî 9 î ð)% z î î B#

415 yyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyy & 7J }, &2f ◆
& @ h4# &# 7# <TG V &, e / o V <7 <! ;
y& ç & ! y

439 yyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyyy 6 ^ 9 ◆
& # % ç ú7 # . # V)4 # ãg

كلمت مدير أجامعت/ مدير المطبعت

أ.د عبد الله بوخلخال

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وبعد،

> 9 k-Bù Û# &%7-4#)@ " ã d V é Ç ' Ä5 # & p &4 ü # S+
V ie eç É)1 / , ' {7 D ! , j+ \$ # &1 # &'p ! , j+ è >8/ è B
8' V)1B?^ Û# & ,W & q ., & , o L # ! e# ,p & ,
Ä # É67^ S †z0 ., Û# {< % W &1 # ! # ., & d É P_ ô# F ô#
)1 ^ TB q S Q"" :8# 7,p ' {& , &4A &%7@ ZW & ,W TB , V 1 #
Pô5 # ., ô-# & G § I Ä5 {ö >0 Û# <Z4e# ., £#(É w {ò h8eç
> ! 7@ZW) .,
S ' { %Z% S7G ã!! , É ie e B# T , k 7B% % W # 8' S+
x ! 1 # 7-TB^ w Û# & A# &%7-4# ' • # \$ ¶% { %7-9 7, & ä .,) å
:7-4# è T # & 1 V > 2zB# T% Û# & @ Tô# ' { 1 # Ñ BT1# w :7-4#
è h9 A^ S >8/ -, fZ B^ S &97 è * V >e#z^ & ä); ^ S ,
&G ", J & I , &1 &"9 T

والله ولي التوفيق

كلمت مدير تحرير المجلت/ نائب المدير د. السعيد دراجي

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

& 1 # >B/ -, ' ! 71B É b9 # & , W & q ., % W # 8' ! A%
ÄE {> = 70o É G ^ .%8#)2)h4 ' ! ; T ! , É ö ^ û#
k Q# ÜA B, Ä5)-# G _ , ; 7, S ;
ks 1 é7 V L> B# vT12 .%7-4 Pô5 #)2 L , & 5 B4, & ä ò8' Ée ^
= 'p â B'', V S -% 1 @75 x 5+ AÇ k'! -9 A%+ k>_ E
âv-# & # , W = A, j+ e^7B# TB , W & 97 & 1 # 5 1 #
AA B# 0 TB & TB, < % I , S _ ô# F ô# # .1hB% 8'
â7 & T# % £#8 ' 7-9 L + { {& %70 {ie9 ., & , ` # & 1 #
= s i/p V7 1 # â B'' & G7^) ., i@ T# É "/ :8# ©7A# j+ = h^
& , o L # ! e# , p & , W [p
. #) ., < W kö I Ç # 8' è7+ V 1> .%8# ! e/ 7-?/
™ .%8# PAB èvÇ <8^ p)2 >q .1ô/ 7-?/ S T^ 4% w 12 i !
/ B% ™ .%8# {&%! ?B w & ' s 7%7 B# & ' ., è x # ò8' k -Ç V 7B%
s D V & ä ! ; S1h# kö 578G k> @ A/ k>@ !D U e^) ., k† ^ V
. , k'! -9 kö 35 ,)- / % Z^ P1B> Pô5 #)2 ., 7/ p V
> -0 & ä S 1h, P"Ç)

والله ولي التوفيق

كلمت رئيس تحرير المجلات

د. سمير جاب الله

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين والصلاة والسلام على نبيه المعلم الكريم

V & , o L # ! e# ,p & , & q 71B""^ è 9 & I , &% ..
71B""^ { 4 V7 ;7# k278% x # % ZB^ { p j B89 {è # 8#
1 # Ä # & G7^ k "" 7-4# è T {&97 7?/ k # & , V < # Ç & , W & # !
T è 9 p T@ 7e# i, e/ S _ ô# F ô# # ó! e# ' ' Å 2p
) ., {S Z# B2 i^ I , V @! O S A B C S ô5 i^ 4; É ã G PA
>B ; ! ?%/ & ä & É % 8' {â7 & , + S .,) {> ! & , W
' ; ã ^
,p & , AA| \$- ^ & TB, è # ã I , Sí9 & ä 12
L | { ' J & / / e# &% A B G w & g! B# {&% # & T% # {&4 B ! e#
>B# ! Öeç & `>T & # { B w & I ., & `1# <7 " = 'p
& 1B w &% 78# &% # & 1 #
S É .% 2¶, {74""# 8' V Æ # V 2! O :8# Pô5 #)2 7-?/
i^ (S G # V !88 / 12 {i 5 ; : ! . w+ v % w i@ B/ ., i+ ; , ò B2 ,
<7ò-# £#({& e, Ø , # iôE ∞ ! . { e# i I , bù™ .
P2! ?)2 & J! ê ^ S & `1# .-Å w { w e ^ ã I k5Z^ x #
è v) G ., k - B# k eB# Ü 4 # ãhg £#()2) {Pô5 # <8^ p)2
779 AA B# % # p 7%! eB# Q"E ã I 7%7 B# & ' ' Q^7^ ± {.% 1B ,
7% eB# ."5 k>4B# L72 èw¶')2 .,

والله الموفق

التأويل المحلي وفاعليته فتح أقفال الخطاب/النص

١. كريم خلدون

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

:

+ , . . + /0 1 234 + 5 *\$ %&' () # !"
B CD 6 7 8 71- 9 : ;0 <2 < = . >? @ : A () # !"
4- 234 3 0 \$&,' JK 9 IE7) /0 1 F H / 2 \$
9 N 0 P , %&) QR /0 1 S 3 4 &0 /0 1 + K L M
* () # !"

Résumé

Cet article tente d'identifier le mécanisme important parmi d'autres mécanismes qui réalisent l'existence du discours/texte et sa cohérence. Ce mécanisme est le principe de l'interprétation locale qui enseigne le destinataire du discours/texte les Conditions et les limitations qui empêcheraient le débordement dans la création d'un contexte plus large que ce qui est nécessaire pour l'accès à l'interprétation adéquate, et en même temps ce principe limite la capacité de la réception et l'interprétation et exclut l'interprétation incompatibles avec les informations contenues dans le discours/texte

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1

]03 \ U2 I/0 1 0 @K %- 7 @K 03? Y Z [0
0 0 ab + c 2 d0 ! / - / - e D INC ^2 +_) ` &
NC ' 9 4%& I U %) ?0 f \$ ' < D f !"
5 ? + i3h 0 1 K ! Z ; 4! 3g @
Ms /D I'r**** m n op /0 1- 9) q N ; h 'k**6 & (j_X
\$)? () # !" 4L ,%&) +0 1- u@U)H F t0 30 5QR
d = w03K i3 ; 0 1 5 U *** 53H v
yz z0 QX{ / It0 !7 () !7 x? u y <n !'
5 I***\$-0 & /v? () P +0 1 \$L - 9 >0 ; : U| x? !7
<v | 03K - KO 5 J b QR 0 @
/v n '&% U I 3} ~ K !' I) s U /0 1 <G
, ; 0 @Ä7 3_? < v')'AU I /0 1 D ' 3) h \ k< &'| LA'
ÖÜ I É y_- < _ É Ñ uyp <2 Ms I+ Nu 0 Ç' () ,
V 0 Ç) 1 Iàk á _) / = ~ 9 H X I,)? /_ ; / Ä&0
J 4É2 3K I H - /D 9 , ; < @ +vA 3 &% /vA0 V sG
)&)& ADy 7 \$'2 ä/0 1 c ; 0 Ä? â Ü{ 7 03
/0 1 / 3% I U É I K X2 I I)0 ä '2 X? ;

ä1 : lä S 9 Ñ qD I !" c %&' F /X3 () ' & ää !X 3 } V 1

56 äá lc 1991

* 65 äá l\$& ;' P S V 2

*181 äá lc 2010 ä1 : l< o'c ? 03 I j & ,% ä ä{ /_ U V 3

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
0 _D v l+&;' 0 _D y l\$')D 2 , ; voç ç é >4- 0
< v M s l \$-s j v ë S ;' H _X + 0 *è ê
ì0- í 0 ?2 \$S ,S ; Y SSZ

\$ 2 3K lu+A \$ G p0 Q&;- ä/0 1 h äk 2h N 9 î ç K
ä A { K \$) *ñ é \$ 1-
4ÄH1U & ð+ ?0 ò ù ð- SS4b ò ò ð ä J' D e2
QüH < D 4b <G î2 l\$ 5Q&;- î2 l 4b 1- m 0 äN3 4 ?2 K
EA0 q0 ° IQü_ E & D ï3K O _U EÄH2 ab J4)0 q0 , U \$4 K 9
*!k\$Ä_0 ? \$ 0 H \$SSS 2 /Ñ Q4D 0 H ab
ò ú Ç 2 l5ç ' { u3 ? ä< H2 c Nq \ h ä]0 U ? K
P ç D ð0ç \$ / " K ` Ñ /H{ lu+A 23 4 ò ä Ç U
î2 ä p0 2 l© ,\ K * _Ä 0 /4ç Fç p0 '\${ ¶ 02 +B @ç I/j 02
0ç I, ç 5 0 \$ 02 î2 \$ 2 Fç ,vg 2 ä 0ç ä 0 K IP 0
c v /0 1- 4 l 0 Fç PS <{ 4 7 &
0 *rk\$ö0`lê yç < `ç)0 ¶õ h äF - \$ K M s l\$ G p0 l\$4K
*àk, 0 A' , Ñ ? JK \$ G p0

l≠ lc 1999 ä3 : l< S)4 f ? lã â u bç 0 l < & ä0 Ç) ? V 1
* 265 äá
* 53 ä 0 l S { NO S7 V 2
*100V98 äá l ü 9 8 0 ,% ä]0 U ? V 3

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVVV () # !" ;K2 T U U + /0 1
 2 IP 0 y£ y 2 p0 u+A äY { h ä0 Ç) ? K
 FÇ ab 4) JØ4L ä 0 *** 3-0 äu+A J I\$ 0 u+A \$ Ç
 ä5 A' ä\$ 1- \$ 2 I503K 5 ? ä\$ü1' c v ö ú2 *** P 0 î2 P? 2 Ö Ñ
 /0 1 ? **\$ 0 1- , , v0 ° î2 I'k \$ò0''1ä £''*10 ù öö h / q \$ K
 ±; ê ≤ - 5y / FÇ ≠ FÇ + H{ \$ Z ±; ê / '
 \$Æ I'rkVKK £ ∞ î ØÇ0 Ø0''1ä ö ö h q0q /0z 9 0Ç NO 4 /0 1 ***
 *àk *** 7 & ë H| ä j| *\$77 \$ÄH2 sÇ \$ 0Ç \$ p0
 P 0 I\$ Ç ÆU § § 0 Ç FÇ 3- 0 0 ü y3 i & /0 1 <sÇ
 5) ≤ 0 Ç 3 ? yÇ < v0 y \$) 3-0y 2 u+A FÇ £ < D I3-0 \$)
 503K 5 ? ä\$ 1- I 0 1- c v 2 k h v 3 ä K I53H , U
 *5 &U
 I S ` \$- L 9 / ñ4 /0 1 <2 x4 0 ü j2 K2 d47 B
 SÉ2 \$ î í Ç)0 î >" I 4K IY I Ä I _
 I 503K I 5 ? ** c v 2h < D +b !Hy /0 1 ñ 3i3= 9 ≥ Ä
 ¥k** 5 S&U

* 39 ä 0 I8' 0 NO S7 V ¹

* 100 ä 0 Iµ7 0 NO S7 V ²

I ≠ Ic 1999 ä3 : I<S)4 f ? Iä â u bÇ 0 I <& ä0 Ç) ? V ³

*₂₆₅ f ₂₆₄ ää

*₃₄ ää I8' - f 4 I v ? 03 I] 0 Ø äî q 3ä2 ! V ⁴

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1

!"#\$%

i 9 \$E \$ G Fg Ç 0 /0 1 h äm0 ç x g c G SK

Ç ER2 \$? Q_0 I/ 53@ 0 b h \$? Σ qü \$U * ık p

* rk** Ç 30 î ñ

«c vSSb{ SSH2 9 c vSSb| » 9 î3 &Sg ?2 3 ' Π

Ä_ Ç) P!K P /0 1- Ö b h ä/0 1 <2 T 0 Σ qü μ0 -

/ 3? *** \$ b P I\$) Ç \$ 3 QR ±; /å ä < !4

î? E ü? ≤ A / π ? x 4-h ä\$'1? +);g +&X & \$U *àk53@ 0

* *k*** { !7 ? ≤ A ? 4K \$ G Q_- *** y

x' ë@0| » \$? D 9 î n Sç ? μ0 - \$ μ0 - TZ 2 jö

lë by Fg T by ±; H /0 1 h ä K «ë !Hy

*^ak ë by Ms V \$ v? f , v <2 30 / 3? 5 @ y

Iı ≠ ISS 1399 ä1 : IE03 , Ç 34 d = I\$; H2 9 < C äm0 Sç V¹

^{*336} äá

S ç I±U b Q n ? Nqâ äd = I H{ , ;_ & äΣ qü 3 b ?2 V²

* 88ä á I 3 ≠ INO))03 I 0 A DV 7|

qS0q S? / SA ? 3â2 äd = I c vb{ H2 9 c vb| äî3 + ?2 V³

NO n 0 & ? v I\$; H2 9 Q& 0 /) 3 70 Iî3 ü

* 704 äá I2 ≠ Ii c2 IΣ ,

ä1 : * S ESv 0 I` üU{ uU ?2 äd = I+&X & H2 ä+&X & V⁴

127 äá Iı ≠ Ic1993

S? } äd = IN ê) 3ç 9 ë H| x' ë@0| D äî n ç ? V⁵

*111 äá Ic 1995 ä1 : IΣ ?3 4v I, R3 3 & 3 }

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 ' @ ?0 < v- v- + U c v H{ j2 ;0 - +K ? 2
 3 ? I5 Ds2 <2 Eb2 c 2) v *3b ñ b < , D sG I3_
 ë ñ F6 T ñ ±; H hä\$'1? /0 1 - ? <2
 QñD ë !H 9 /0 1 Uh ä K sG <<i U Y ~>> 9 \$4' 'k \$? < 0 / 3
 ë by F6 T by ±; H ä 0 X1 3) 0 X1
 ë !H 0 1- 5 ê y3 dU ±; ñ < v0 U IM ? < 0 / 3
 μ ì 0 1- á _) <2 IMs /0 1 ±; ? F - ° <2)ê luy p
 **** < 1 \$ 0 y ° yG\$ 0 y \ 3
 f \$ U 0 ° 2 5 ê dU u 7 f c v Q&;- /0 1 <2 äk` Ñ ñ h
 < Ø7 \$ 0 /0 1 *, QR I 0 &; 0 í ë !H 9 /0 1
 ° yG\$ 0 1- , 0 h ä\$ K μ & μK μK dU I, 9
 ? ; ? 3 } I3 ~ I] 4 ? Ms / ' D k, 9 < Ø7
 *** db x D I, QR 4 K ? I6 Ä7 ? 3 } IQ? q
 J U <G f G c v p0 . g /0 1 <2 äkÖ Ñ ñ h
 0 _0 y I &;'2 dj g ***)ç 9 \$? ° CX2 /0 1 U f 5 ê
 K D I< ü 9 /0 1 I< & ? \$) C 0 I< s{ 9 '
 'k b ã0 3K /4K î 0ç0 /0 1- J?2 Oh ä K \$'G μ7 0 F -
 /0 1 04 9 ¶ í D o ;0 5 x40 Ms ,R ***
 Ç Qü? I, @ ? NO 4 E&b ë by? X2 \$'{ /H{ X

S? â 34 äd = P í I - ? 3â2 c 7| Ω o i U Y ~ä - ? V¹
 *₂₈₈ äá Ik₁₃h 3æ Iμ0 A μÄ_ 4! 3 U M P ~I,7K ? 3 }
 *₃₆ f ₃₅ ää Ik₅h 3æ I - ? 3â2 c 7| Ω o i U Y ~ä - ? V²

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVVV () # !" ;K2 T U U + /0 1
 y i K2 \$ y < v- / 53)&0 <2 3? y M \$'2 I 0 X NO 4 E&b
 3 æ 3) Ç 4 ü? < v- / 3 N K <2 I\$ 3 QR Fç \$) \$U H E 2 I Ç
 * j ? _Ä +
 /S0 1 T !S_ P +L <2 Fç NO o|)† y 5 Ds c3 - <ç
 Qiv 0 É2 I voç ; 50 4 ?*** K A Un æ /4K h C 0 U
 u3? I Ñ03b †3K I ; Ø U g ~ 9 xÑb 4 Ç) / 2 x? >!A
 8'3S # + 3?| () /0 1- Fç y H I]3 # m03 () /0 1- voç
 vo| Z 5 \ 87p- . 47{ x? 'k** '&'| c ~ 9
 S /_0 \ i !0 . g # ? | Mø y 4É Fç D - y U h <2
 I j3? I\$ 30 Ä_ , &&- <ç I- U _ 3?2 c ; /Ç0 sç Ix ? Fç
 Ii) Ç'2 9 9 Ä / ;? I3 ;0 IE0 R j D Fç I 03 ? IM &0 ab
 I'k ** , ; 5Qü æ Ä7 U lc ; D \$ U u@- /K 2 I H{ \$ 0
 î g < I< NO @g 9 Ñ 3 A 9 / 1 h SU Ms N SSIn
 b x? 3g u üç /? I 0 Ç) E A- , ; /X3- i3 ≤030 I 0 A
 IN q @? JÄZ2) 2 I K É <1? 0 K| / B I ; Ø U
]0 † /D I\$-s JK 9 *àk ** K # ° ° 9 \ < v y
 SU ° S S Öb 4 E% u+o yh \$'2 \$' 4&b 9 P@0 <2 +j / ;

c S ? 03 I+0 1- / Y A -I ;&; L) \ äNO ? mü 34 V ¹
 *19 äá lc 2008 ä1 : I< o'
 27 äá I+0 1- / Y A -I ;&; L) \ äNO ? mü 34 V ²
 *19 äá I&;' P S V ³

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 S D *1 k 3?2 \$? 030 3 \$ @- 0 \$ G D 0 I3b 9 ~ I 303
 I S'3 ? % wn U2 U b /U ü + NO !" S4 0
 Y SZ S n G ? Ñ 53 ? i) √ U 0 H | h < D 9 Ñ
 I j R 0¢ ? I 0)4 ?0 ? f \$ 4É2 I\$? R 4! & L 0
 i S)0 \$L @2 n ;0 Iñ / v I\$- % () J d&) J R2 3)
 S ^ ΩS U 9 IM ? J K I)ß ÑR Iá _) x? M ? &U I\$-yy
 *r k*** 0 %) î2 I i) 0q U ä n s6 2 I ü 4
 9 S&26 S0q 0 S0 ü T-S; <s6 / &0 +
 uqS { 5 S dj b ≤0 G \$-' v \$jq 2 , ;? I () # !" b ≤0 G
 /0 1 Q_0 ≈ I\$? Ms v 2 <G I !" ')D , U /47 9 ' v
 Iàk S 9 S')D dS Ä \$? /7 - u S Gh k+ h \$ G 4&) ?
 S)2 ! m 0 y \$ '2 aA? ` & !" ;k2 /b 9 ë ; 7
 S) Çg 9 '3 U 3K)D s6 ab I\$Ä U X ' î /; ë ; x? > Δ
) m' I () # !" ;k2 T U 9 H" T-; , 2 3b ÄZ 0¢
 S) U j 0¢ 5 4- <2 v IMs /ñ â3 <2 4 8 U I/0 1 ë ;
 /S0 1 < D 50 _- u i 0 E ü0)b 3 -PZ q0 /? I !" v0
 I0 Sv?y Y3?| μK 0 y / U I/ 0 ° K I 0 ü # μ Ø dXh
 S u So{ ° J u & /† y Iy Ä I303 X U U
 3S S40 R N303)j D I 2 K S D I\$ 34 U I \ \$ 0¢0 Qü - ab I\$ b

*28 ä á I\$&:' P S V¹

*38 ä á I\$&:' P S V²

*24 ä á I+0 1- / Y A -I ;& ; L) \ äNO ? mü 34 V³

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 Fç I0 @g # # PK X ≠ \$ T U I « \$ 3 d? 7 y I
 } ç _ ` Ö b I v4 √0{ Fç ü # # PK dL)
 *!k** N A M & ED0 yç &;' , &- y .
 V/S0 1- 0 g 0 @ K u Z 9 () # !" Nu < 3)ç
 \$-y = + â3b f 0 ü 7 / H ; - 9 _Ä; '1 Nu K î2 I p
 9 ≤ SÄ- .S S 0 y j R 3 u M ? 0n % \$-0 !A'
 SS)X - sÄU Ik ü Nu µ) î b{ ñ 7 !Rh) \ Vñ 0 }
 \$;SH ? y j Sv # < &' | Z ; 0 NO Z 3ü0 /0 1 <ÄUh Ms /D
 I U I/0 1 L7 ? IÖÄ40 \$' v? /? I î v 4- »? 0 @b
 S ÖSÄ4 Ö ? I U N g N | INO % ° -0 IN303 6 U T U
 c ; S? S # N Sv; # UO s Ä U I303 ñ # g
 # b ≤0 \$É3= é < I p s Fç +!' v # è0 v03
 * 'rk +)ç < &' | ') D « P) _ . 0 1- H
 Nu SK INu + U 0 n I v I/0 1 Fç Öb4 Ç' sç
 * S)j v \$') D 4L \$-)? _;ø K I\$ U ü? */X3 ()
 i) d!) 3g n f I 0 _ %) 0 = ***h { \$ 3ü0 @ÄU
 S ß - S ^ 0 R ! ü M U I U () ? L b | , q0 y U I j R 3
 I M S s / ; - sç + I ÑD2 \$ 3)) i 3? ' &' | c i)
 * àk ** k S K3 2 ÄÄS_ h S? &;' µ_ . i) !X P4-

*₂₆ ä á I\$&;' P S V¹

*₃₇ ä á I\$&;' P S V²

*₃₉ ä á I+0 1- / Y A -I ;&; L) \ äNO ? mü 34 V³

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 +b d do b \ X t0 # p () # !" 0 Ä U
 3SH - Σy3 03 x Ø 234 . 0 1 c ; d î 9 ñ
 S + 0 1S /S ; T ;0 , ; « *\$) ë _U| () # !" ...10 î ñ
 I5u S@U ()S # !" 3b P7 - I ñ 6 U2 S î3) +j \$;é
 QÉ1S É1 234] 72 () # !" p x? /H & W3S -
 Fç N S S { S < Sv0 M S? **I +ü - A . * 4
 Ä)S S d Ä *0 g? 0 ê , ; ?)L ? ≤ Ä - 0 1- 0ç0 / vA -
 0 S 6 SU 0 S_ ' SA b ? % D) ÇÄ 9 â

* 0

S { SH{ 3SH 8 S71- N ç Fç \$;? + /_0 ab
 I\$S ' v 0 ü 5 H) ; Ø \$- K 7 v \$)? u Z () # !Ø
 S p ñ&0 ≈ I \$H _' \$? !X 9 \$) Q4 \$ K á) 02
 S ç /4& É 2 ? ! 3f y <2 « & /0 1 # ')v / U 3&f **h
 *!k**ñ π4 b I Ø g , /0 1 / K2 y sç I52 - U
 S m - p); 0 v; 00 A A ? % <2 é
 S)U# 00 o# U ;ê M ? U I î ; N o 4 QR 2 N o 4 !
 ;SH ? /0 1- f QX2 y 2 f () /0 1- c h I Lp-
 sç I/S0 < v0 . I î2 I+ U I á " !) \ ü I u _'
 I sç Z @R U I ' k*** /0 1 Nu , ; 9 () ;o v N +

*₂₆ ä á I\$&;' P S V ¹

*₂₅ á I+ 0 1- / Y A -I ;&; L) \ äNO ? mü 34 V ²

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 Sj0 cn . . I ' ? & I >? @ M-]03 u &- s6
 < yy / y () # !" / Ä U I: U | ≤ o 9 P - y ab
 ; ê + y2 4! \$;jê , { '\$3 U ≈ IO %; 'y +ÇA F6 \$? p-
 \$) 0 n I jq < F6 () # !" % U I >0 ; - \$? ë z- 2 * H
 *** q (' ≈ ≤) 8 h S U *** ; ? y 7 53 ; - ü Z
 \$ S U Ö 4- /0 1 # Nu U I /0 1 Nu / U ? (' 3 0 / ?
 S F6 N S? \$ À I X X d X 3 ? \$ X 3 - IN g
 \$ K o X \ \$ Ä 0 é y6 \$? > = y \$ U z &- y I M s P + I / ; ?
 \ I ' k ? D # Nu K \$? 3 U H _ ' « 3 U I O R u R6 / X 3 D \$- % U
 I \$ S ' < D I () # ! Ø \$? 0 I Ç g I ' n < v 0 < 1 ? E ! t 0
 S U I \$ K 7 () # !" 4 L 47) Ö Ü I 0 1 \$ K L 9 v Ä
 ') D Ö 4) - v o 2 y D b / D / o / 0 ' ! 7 Q X { \ /
 N S o 4 \$ S - X) / D \$ Ñ I \$ - K 7 / D !" q 0 2 I () # !"
 . i j) 4 / D \$ ¶ I æ u @ U 9 \$? 0 IN o 4 Q R
 S Z) H 0 K + 0 1 - 234 ≤) / U *** Z D / Ñ A 3 -
 L S A 0 î Ä ' - 0 1 \$ K L P / \$) v ø t 0 i 3 ' n
 / U \$) î Ä , v } ` & + % - 7 µ = 9 \$ / X 3 0 0 @ g 234
 4! z \$ z 0 y I ^ 2 + 0 1 234 ∑ 0 y 3) () # ! Ø +
 S µ S 7 S ? | ≈ I + / 0 1 234 Ö 0 3 Ä ** Ä \$? j
 ä Ö 0 3 g 0 3 ?) ? & I Q R i 7 {

* 22 ä á I \$ & ; ' P S V 1

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 2 àkCØ t0 h 2 'rk { t0 - 2 'kΣ Ñ t0 + g t0 h 2
 *^ak+ s) t0 h***[¥]k _ î0 h
 . + U Ñ \$- <1U I+ NO H /0 1 Ö ? < v- xb
 ñ &U í J'D sG lu { E 71?) < v&U)U J'D sÂU I w
 3?| 4!); H) á XÁ? I` &'| <3 9 u { ! é
 U E 0 vU{ Q4 ? s X1 < v&U 030G J'D sG 2 * _ "
 234 <AU Ms /D 9 v I U b 4!- < v&U ;' ;ê < D sG * p0
 , U 9 D f 234' /? IÆ U **h \$? 234' y () # !" , U 9 + /0 1
 < 0 _0 y 0 M; 2 ab *\$ ' () 2 U f
 * j)R N3 _K f Ñ f () <2 0 _- < 2340 e v)0 2 U 5 /Ñ
 9 \$? + ' /? I<v < q 0 LG ≠0 X () ? + ' y Ä)U X E'
 /Ñ * xj& \$? + '))v IJ H ë ;'? () ? + ' y ¬ IN 3} ê
 <2 D ø I5Q&; [] I () , ; î] 7{ /Ñø i7{ 5
 . ^œk ° 9) U 87p0 è ' X / v)D0 G

` 3S g 3 å ä í -I { 9 % í 0 Ç' INu / U ä0qS0G »' ü; U V ¹
 * ²¹ ä á I/) 4 v 0 A) I 03v Σ ç
 * ²⁴ ä á I\$&;' P S V ²
 * ²⁵ ä á I\$&;' P S V ³
 * ²⁷ ä á I\$&;' P S V ⁴
 äı : I: S? f < { 0 I/0 1 f , ; f Nu I { 0 Ç' ä &b ? 3â2 V ⁵
 *²⁹ ä á Ic 2004
 *³⁴ f ₃₃ ≤ á I/0 1 Nu voG *30n ?2 3 b _' V ⁶

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 2 lu 3 0 1- + D Õ L 7 ? ñ µAD p /ü o sç
 _ 9 xÉ3 0 1- + D l≤ y 2 Nn g ? ñ A 7
 ñ ¬ , # !" \$? p i3) /0 1 Ö ? <ÄU I H – Ö03g
 K !' *** /0 1 \$) µAD î ñ Ms3 ? X t0 Y)KÁ? lx
 d !0 { Y) I á _) x 'M) <2 v0ç -C 3 0h /0 1 ;'
 /D q 0 I b ; á _) \$ d !0 ` ñ Y) I ü á _) ,7 \$
 0 <2 IM D I i 0 D *l k** x s) 5u K \$03 <1? Y '{ 5 Y '
 Ç ,&- ; ð 6 !? / ;- I /0 1 U 3K !" x vA
) 3 U IM s 3 ? 3 9 & ? I+ 9 QÉ1 Öb 0 d ?
 ä ^ I+ < & j0 <-0 H Ms % '
 'k** - \$! ? Z \$)' ? 5 3b \$- é v}h+ NO H . 1
 ,70h NO 4 7 72 @ç I ! ? & D 7 /0 1 <2 v0ç i 0)
 K !' I> &- Z U + INu ? H " Z ; U ,vÄ- L0 "
 * àk G ¿ !- 0 1- Q& I () !
 3S4- . I /0 1 y b| & 7 T;) + NO H . 2
 <2 ä S) Sv0ç S 0 IN3 B &)v I+ U 4É| B K ü 7
 S b /Ç 7 yy3 /D ç +)- D N3b /vA0 + 0 1- d ÖÄ4 h
 S 2 N3Sb 5 H < D <ç ab I /0 1 N ü & 7 \$ 2 í

*53 ä á lc 1994 ä1 : lx { 0 IÖ03g ã { 3) 0 Ç' ä√ 0 ' µ7 0 V¹
 9 ñ qD I v)? 3 7 ä í - I v v; j & x? /0 1 ä v0ç -C 2 V²

*11 ä á lc 2004 ä2 : lã

*11 ä á l\$& ;' P S V³

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 äF { /S0 1 NO H <2 Ix; & x-0 _ \$Çb ' î *!k Ä &
 u 3S ß+ Z /0 1 <D 3K I - U q' ' Ñ)? IYz Z
 c2 J'D ' K A á _) ` + +;U *]3 () Nu K 9 7y
 HX U _ 3) yç I - 2 U Z 4&' 3%)U I 0 4' Ñ3b
 ' S; +Sb 6 ü S7y 0 _ î0 o| Q&; /0 1 9 , %e ie
 0 S á S <2 SZ <D 3K *]3 () # !" 9 +
 SÄ)0 ë ; - 0 1- Fç 6yq'y 0 -y c3]3 !Ø
 S@ Fç S)b2 /S_0 î S /0 1 9 3 <ÄU \ I53H ()
 \$S 4L \$-u ç 9 0 É () # !" <D ab I\$É 3b < 4 y Y0 _
 E!&? I5 fy 9 ,w b L { µ & 3 ? x) 'D D * 0QÉ1
 2 9 \$-Ä;',' ê2 2 5 _ o 3K ,e D I+b z? m q ,\ _
 .\$.) _

I, j_? c 2 _Xo + 7| + 3? 0 x & u
 + <2 i20 sç *c_ y 0 A H2 9 U ä 0Q4v \$? D 9 "L A
 ä K 3K I\$ 0 1- v† y p0 ñ é I)L? ê < 9 <2 ≤030 , &
 /034 ?))0 ab ° c vb2 / ° I\$? EL X L? , U <{h
 5 ,ÄK _ ñ Fç J; QR Ç ~ P µK IQ ü
 \$-U 03 4U , & : _ Æn /vU I ç *** Iñ3 4
 03 U I _ H dg H2 /D I U < L?

* 12 äá I\$&,' P S V 1

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 N - á _) <{ + Fg ≠ y ° c D U 'k\$)L ? , U \$ /_b
 ≠ c v I\$-QÉ1- 3 - <G Ix & 3) A \$ b J
 á _) h <{ I< 4 E 72 03H 3K <D 7 y + Fg + \$
 9 /? î Ä7 ° 9 " - y á _) <2 Ms I &;)? Q&;- >? Z √ ;-
 + <2 m 0 I'r k** Q&;- 9 'v G 3 + K + b °
 3b () # !" \$ 0 y / ; Fg N + /0 1 234 /)0
 9 D \$ y 9 NqD _' Ç) X \$ 0 @G y q
 *** N o 4 QR) N o 4) j \$- ~u \$- Ds
 0 A H2 9 U 9 7y I“LA b L 9 / 10
 yg I X , U î2 Fg \$) /0 1 ? X' + N Fg K2 \$'2 ±Ä 0 Ic _ y
 9 U Fg ; w' v 9 ,v= /0 1 x' K &? m \$'2
 x' x? dU bh Ms /D 9 I/0z b \ H2 î0 ~ \ U2 \ K2
 u)4 + !) µ0 0 Ç'** Ñ 7 * H " 3 x' x? 4D ' v
 I K &- 0 A N3b 4É| 0 @ x? dj 0 Ç' ** N 3 U /j &
 î0 ~ + ! /) I\$&;' JK 9 I Ñ 7 D ** u 7y 0 Ç'
 Ç; Ö < & U Fg 53) Ms EÄ&)0 ¶ I'à k** b{ @

I3 ≠ Ic 1975 ä2: IiCSv S00 % 4 v I 0 A H2 9 U ä“LA V'
 *390ää
 *51 äá IÖ03g ã { 3) 0 Ç' ä√ 0 ' µ7 0 V²
 lu @ 4 03 I]03 P0n A) D o IQÇ) Fg Nu () äë ; 3 } V³
 *72 äá Ic 2000 ä1:

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 I'k*, ; & I c D E 72 h u 3K + A !" <6 I E D -
 \$4A 9 PK /0z 471? / ç h <{ I b{ @ /0z 472 U
 ' &) 07) ? L b| M D I'r k** Yz Y K)ç Ms **** y vo|
 3 \$? A ,v (ì I u , ? c | I53 K \$; H2
 é L } I g 5 9 I p / Ms /D***d ! c Ç I p
 9 () # !" E ü- c3 0 K I /0 1 4 I Nu < 1 \$
 () äx_ ' x? u % ' \$'2 *** ñ Fç Ç) 7h Σ ? I ? ! @ f
 0 ? < y 0 ë K D (' \$'12 0 <2 v† t0 <6*** t0 (' u
 sç /0 Ä /034 Q ü 4_? 50 Ç' dU2 t0 K - <2 yç I à k**
 Q ü Fç & ;' ('# ! X X %- . : @ { Q0 JZ -
 Nu 4) 2 0ç U *E' ç 3 b /0 1- 2 3 b Q& ; - 0 E _ U < sch
 I3 ;)- y ' v | + \ | !" P & 0 M * ç b π4 v† y
 ***k** yy3 \$) dU3 - î /) 0 1 \$) PL - î 3ü0
 x' ? H m03 !" + i3 + /0 1 234 Ö ?
 y ? -y 03 ? I i « + »0q0 U I w 3} w' vé v}
 b Ky 03 ? I X u ü | E N _) + P ; - 0 y I + L 4) 7y
 I 4! - h /vo 9 Nu / U % 0 ≈ I3 o m () # !"

*₃₄₆ ä á I₃ ≠ I 0 A H2 9 U ä "LA V¹

*₃₄₇ ä á I₃ ≠ I₃ ≠ I 0 A H2 9 U ä "LA V²

ä í - I + Nu 9 â Ü ä < - 2 / A f % U 0 o M' U f x 3' QU V³

*₇₄ ä á I î 0 @g u @ | qD I + 4 QX 3 }

*₄₃ ä á I ? U Ñ 9 0 1- u K I g /0 1 ä b + V⁴

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 Ç π 4 E % &0 I @02 \$ 4R0 5q 0 \$U0 K !' I () V t0 U
 /0 1 \$) i)0 ,v} / U M- 0 U 0 \$'2 3 0 2 U 0 . ()
 'k +j)

L o I /0 1 x' K 73K u+A?]3 !" + /; b2
 \$) ÑD2 \$? DC]3 2 0]) π ? 0 H a b I]3 , 9 t0
 <1? + < h « > y . /0 1 x' K 73K @0 \$' { I ñ ñb ?
 PK 03Ä _ c \ R H y6 v- ° , ; y 5
 'k 7{ 5 < D î

u π 4 U g QñD 9 U Av Jb-2 3K
 ;Av \$ 6 0 H u Z 9 I+ A () !X π ? 10 <2 x &
 Ç x? c - . K µAv \$ &- a h , <{ lc M-
 5 Iàk** j ;X 2 Ç Y K ? 3 14) 0 <2 \$) v 2 I π 4 @ ?
 I*** QR Y y 8;) , Z0 , u 0q ; , M ; , c
 \$; c ? x ü A QR @ ? 03H . 0 1 M- <2 Ç) JU <2 QR
 !" ñ d ;o D E ü 9 u @6 I 03 c 0 A
 + c3- D 3% c 3 " 9 \$ H _X kÖ03g < h]3
 . 9 \$ 9 , &

Nu 0 Ç' J 2 3 U <); 9 3?| á _) j 7 9 2
 E R 3K I j)ñ 7 0) + <3 \$ - ñ µAD 9 Ö 4 +

*75 f74 äá I+ Nu 9 â Ü ä<- 2 / A V % U 0 o M' U f x 3' 'QU V'
 *52 äá I /0 1 Nu vo6 * 30n ?2 3 b _' V 2
 *08 äá I87 ä 3 lc 1985 ä]0 I U ° I+ 7÷ ã)É - 9 ä /0 ! d U - V3

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1

& μAv + Ö ? \$U < D ä { < &j0 < f

(j_" 3= \$U Iî ; ñ 2 á) ñ é 0) J'vU Y34

9 3K) + / 1- U ` Ñ 2 *5¢ 2) μAv0 D Y34 ü Nqj

I & QR . U JZ U2 . M- Iá) 2 E-v K ü 7

qD ñ 0_U !) b qD & . ? üA'y 23? ab

+ i X2 s 9 qD 0 <2 v† î JK 9 μ p 9

***+

/ 0 1

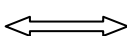
2

: ;7 - 34,5

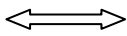
89 - 34,5

6 7 - 34,5

< 5



,



=

5>



° 8v 0



>SS 0
NO _
U
ä X
◇ ()
F N
* °

A

B *

, ? @

A> 5 A)3G

H #

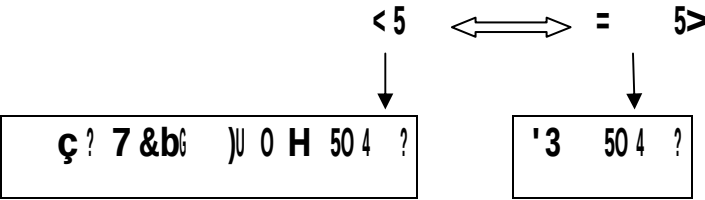
+ ?

5 EF CD 5

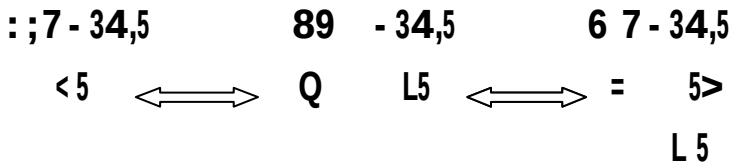
, I 2J5

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
K LM

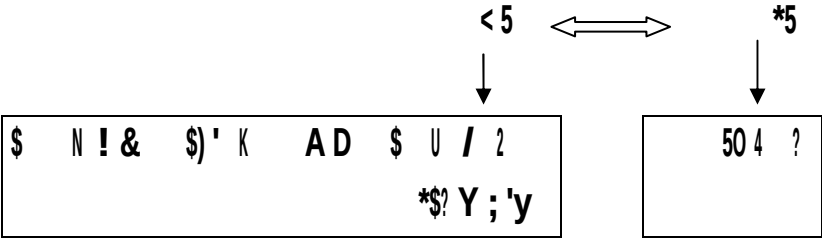
P V '3 V 50 4 ? k0 SS A h / ; 0 3K 3N 0 5+
* ç ? 7 &b6)U 0 H f 50 4 ? N o 4 k° h



D ° 0 A x? km; / h >7 0 3K 3N 0 : P 5+
*ã { 3) Σ ç 6 9 g



P V V 50 4 ? k0 SS A h / S 0 3K 3N 0 5+
*\$? Y ; 'y \$ N ! & \$)' K AD \$ U / 2 N o 4 k° h



S k° # 4! h k/ h x? >7 0 3K 3N 0 : P 5+
*** ? f 2 + < 'K 2 Z 00

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1

:;7 - 34,5 89 - 34,5 6 7 - 34,5

< 5 $\longleftrightarrow$ A D 5 $\longleftrightarrow$ *5

R 0 S

A)3T

89 34,5

* @ 3K E ü0 3K V

*** 2)U 2 _' < v0 3K V

U 0

50 S_ '2 300 3) Mv; %- 7 \$ G J4 s : UG 9 P ' y ab

\$' { Ic { , () /X y3 ÖÄ4 h <2 - . 0¢)4- 3)

S I'k*** Sy3 je ? <)0 , I ñ \$ß u+AS y

d ü +j) , ; ! c vb{ s Nu >0 ;- 3 4' ab I i X2

Iu So{ /SD ? { ≤ db \$&;) ! 2h î îqD /)

* S K É # ? É#) 0 b Fç \$ U J Ä U I p& ? IM ? I ;

m S 0 /S +j | \$ I9 c Ç' /vA- <2 I o; 5 0 ≈ < vU

I K + 030G !X Fç I" / ;? J = I U \$ X J% &- IΣ ŷ

I\$ @) j7 í I UO # \$-s b qD yç \$ 0 R y

S I X # / \$-s ë !0 <2 < Idj b) 0 5 K2 é

I\$4 S&0 <2 \$ < D IΣ / ;? \$b n2 î X < v0 I < v0

*104 ä á I+ 0 1- / Y A -I ;&; L) \ äNO ? mü 34 V 1

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 S O L G 9 I \$ Z U I \$ &;' <y2 9 I 3)0 I / H y I \$ 0 g ? T ;0
 *!kπ / 3) S ? 0
 \$ S ; ê - u S S) É 2 I + i 3 0 1 K ! 3 S 234 c 3 Ø 7 , 0
 N ; S D _) op op 303 = F G M D 3 S 0 2 I 6 & (j _ X
 j Ç í 4 K \$ &;' 3 2 l k m n op # < h Ñ /0 1- 9) q
 . + Ñ t 4 5 I > ! o < ! 4 @ U Ñ k 3 } h , 7 ? G } (Ø A
 + S ! - a S b j \$ - K L 0 1 \$ - 03 K 9 , v Ä 0 K + / f
 < S v 0 S ≈ I / 0 1 \$ Ä & \$ b) 47) 9 () # !"
 W q 2 , Ø @ 2 > 0 ; : S U | x ? ! 7 Z 5 Y o) 6 &
 S î d ? & !" ? Ñ é < n > 7 + 4 ! 6 & < v 0 « ***
 0 1 S S q 9 \$ ' < D () # !" / X 3 ? \$ '
 ã ! X 3 } \$ 7 î Ñ 6 & ' T Z 30 q *** Q R U !
 S U R 9 N 2 / 0 8 h ä k !" c % & ' F G / X 3 () ' & h \$? D 9
 F G E s I ≠ X ** ≠ 0 " F G Ç ' N U) F G \$ f U / , 7 *** I j] ç
 { c S < G h ä \$? M s d 3 K * r k d j 7 P â 3 = ? A) - I '
 Π S I d S Ä 0 P & \$ U p 7 î 6 & 3 3 d ? & ! Ø
 ? É I 47 I ' v ' n H Ø o 2 I ? 7 \$ G N O o | J Ø < 2 √ ; 0
 < Å S U \$ S u) ? * / G I < v < q á Ø o { 8 † Q ü - î 2 F G , v A 0 °
 N 2 S 8 S î / 8 ; ' N U) ¬ \$ f î / < 2 √ ; 0 , v

*₂₄ ä á I \$ &;' P S V ¹

*₅₆ ä á I !" c % & ' F G / X 3 () ' & ä ã ! X 3 } V ²

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVVV () # !" ;K2 T U U + /0 1
 µê - 3K () /0 1 %- 7 ë K E ≈ I\$ /? K /0 1 √
 *¹k 2 D
 QR 2 + 3?| m; V () # !Ø \$?0 9 + d !)0 3) I
 √ Mo y \$'AU ! 0 g 634 V m03 QR 2 \$) m03 I + 3?|
 / \$'2 AU ä/K{ <)É < z ä D / 47) 0s } d q
 2 \$S_À 0306 %) 0 Ç' / H;- 9 /R ! ~ () # !"
 9 6 ü0 G IY Z ≠0 X 40 g 5 9) d !)0 . 703 (À
 8 qD F6 + 0 1 !" ? b î p0 L ; 4!'y -
 Ñ T4_0 v ä\$ 0 <2 \$ +ü4)0 <D v \$_' 9 k á) h \$ K
 5) 0 µD v \$ 0 4 < kt0 h 7 0 >} () # !"
 () 3 ? + 0 1 !" d = + !) %) * < v0 <2 k+ h
 N3 303= @K <2 i ' \ *\$ Ç 0 A- \$' @ ;0 = / ' ° s6] 03
 I H X + /0 1 234 f I () # !" / Ä Z 8 0
 \ *)) w . + /0 1 1& H_X 0 & N3 &;' √ ;-
 x x %- 76 x? ≠ q0 <2 () # !Ø è?0 \$ U 9 E ! + U
 ä ^ < %- 7| <- I 0 1 \$- K L U3' 9 ;? ,vÄ0 <2 \$')vø
 í , U I\$ í , U cq &0 () , U <2h « 0 . q 7y %- 7|
 %- 7| 'k v , K cq &0 Ç , U I ? 7 í , U F6 ≠

*₁₄₉ lc 1999 ä1 : lä 9 Ñ qD I+ K /0 1- ¬I° , ; äë ; 3 } V ¹

*₁₅₂ ä á I+ K /0 1- ¬I° , ; äë ; 3 } V ²

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 Y Z 2 PZ 2 I/ ≤ 0 G 0 μ ê -h F 7 72 3 . . L 4) 7y
 I** 'k*** G á _) Y 0G
 Ä)- Ñ03g ' &| ? { ' & 7 03 <2 ë -0 ? c ±b '
 b â Ü{ E H 9 t0 K#E- D +j)Ñ P@0 Nu è R ? 0 _ - Ñ Ñb
 L o 50 4 ? Nu / U) @0 . () # !" Mv;- E D - μjê
 <2 0 4 I\$-s 3b 9 mU QR)U _ ' 50 4 ? () d Ä y U 00 Z
 IY) Öb 3b 8 \$'2 D ,%g Öb 3b 8 h () # !") Y '2 ≤) Ix%\ /0 ! () ≤) 9 _ Q _ () ≤) U
) I+ 0 A-) Iã 2) I m0) I á _)
 (Δ I 703 μAv U b , ; ' v G 50 4 ? Ms /D *rk ** +
 J vo . *** &j á _) h 3b 3 0 î +73 Ö03g D ?
 ^2 Σ ') àk** î vU 8 71- ? Ñé 3 U É y H2 U P
 X () # !" %&' <3 9 +S /0 1 1& H X
 ; ã y + voÀ? ñ - N303 Nu K / ;- / - s @2
 v * \$ %&' () # !" v7 3Dp \$' 9 H _X () # !Ø
 I g /0 1 h \$? D F { Ä;_) 0 y b + Ñ 3-
 μK 0 yh () # !" <2 3 D1 9 k ? U Ñ 9 0 1- u K
 \$ b π4 0 <2 3b{ ~ y * yy3 : 4) 7 ` 3 } \$' D

*₁₅₂ ä á I\$&-' P S V ¹

*₃₅ ä á I\$&-' P S V ²

S 4! 0 S) 0 I ? U Ñ 9 0 1- u K I g /0 1 ä b + V ³

*₁₂ ä á I c 200 ä : I Q? P0n A)

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 _b v† y I/ o 2 3b Q&;- 3;) &0 y P H{ <2 M s Æ
 5 f 9 2 á _ð E G Ç) 3 - 2 I\$) ? 3b d0 L U
 2 c0 H + !) d&' +K R UG E _0 dg v; /j + . á _) U *x
 9 /0 1 /vA <2 8 ' d!) I'k** wyy _b ' >4Z
 0 + äΣ +77{ p& 0 Ñ0 ß b NQ!X ?2 X10 () # !"
 î] 7{ /vA0 + 3?| () # !" <2 , P /0 1 3b i -
 Æ\$ 3) &0
 v0 { 703 9 H _X f + b Ñ03g 0 Ç) 8v -
 P +L NO3 + 3- . 0)4 i) %= + 4L / U 0 V ' {
 t0 K ~ p < v0 Öbh î ü ! D Z 9 á _) # ? !"
 d ü 0)4 9 () <{ IE% & U () 6 &' X 0 Ñ0 " 7
 8 I\$ L @2 n ;0 \$ U y3 i)0 î +X3 \$ Ç' yG / y I\$& ;'
 ' vA ñ 0 Ç' D I'k ** \$- 03) u+o î2 µ @0 <2 t0 db
 E D 0 o÷ \$ 7 ê () +î0 0 L| n f 'v G , q- .
 y Ç? () >? - . M- I+K & Ä) s 0 1 h î2
)0 4 N 3 voG ë !- yg 5 P í 9 *àk** µ p & ;)
 9) Z sG H X I () # !" + 0 1 K ! x? K) I) b2

*₁₇ ä á I ? U Ñ 9 0 1- u K I g /0 1 ä b+ V ¹

*₃₇₀ ä á I+0 1- / Y A -I ;&; L) \ äNO S? mü 34 V ²

*₃₇₂ ä á I\$& ;' P S V ³

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 ~ æ M s <2 I)v u y ~ / /v h <2 0 4 y x
 ** 'k*** ü) ÌD2 b ; `

0 L |) !' ¬ sG 0 1 K ! voG &? , ;' <2 v
 /0 1 , _ - /0 1 >? Z PZ NO Zh v0G -C G \$ U @0 î
 i 0 è10 @G I i X2 I ;L " 0 1 Z ;
 s - RC u0 π ? IMv; %- 7 « . . b #ñ
 î2 () /X30 <2 9 p ! 0 g 0 3? T)ø . I+v v; Ä)
 I X /0 1- x? /Z; U I\$ I53H \$Z R{ 3X lu A0 0 n
 5QüDh M s /D 9 v0G I'k** u L ") E7) i &- 0 1 /vU
 : U | 0 1 p , _ - u G G ÖÄ40 /0 1 c 2
 PZ F G \$ U î { I 0 %)H µ Ø b & () / î
 2 47) QR 47) 0 1 q ø Öb4 vø Z 8 0
 *L'interprète p P K () # !" ü o] 72 àk*** ;L "
 K QR \$&;' JK 9 N b 4- () # !" ! 7 &7p- . K 5
 v† y /vA? TZ ¬ H X Nu K + () Nu K /Dh <{ I i j)
 y 'v G +! 0 + 3?G ('# !X /D <2 F G) U30 B I'k***\$? p4)

I/0 1 0 ç 9 y I () 9 t0 ä<ß D +—G < 7 x? 0 <n 7 V ¹

*₆₉ ä á Ic 2007 ä1 : N3Ä 303ç v 0

*₃₇₂ ä á I + 0 1- / Y A -I ;&; L) \ äNO S? mü 34 V ²

*₃₇₀ ä á I \$&;' P S V ³

0 S ç 9 y S I () S 9 u i 0 ä<ß D +—G < 7 x? 0 <n 7 V ⁴

*₆₉ ä á I/0 1

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;K2 T U U + /0 1
 () # !" 03? + 0 1 !" T4_0 <2 v† y \$'2 I/0 1)
 * b{ b 01? \$&;' + 3?|
 s T4_ H -)? U - . 'v | (Ä;- ' 02 s6 €
 y 0 0 4 y x ? E! X1U I () §+ § / f v† y lñ
 I N 3} Z K !' 2 s6 y6 ñ î p0 <2 \$)v† y () # !" < v?
 + Z 3 4 /;ü' <2 < *** ? '2 I I ì0- &;' Z
 Z ; 0 1 p + 0 î + ; n ç ? ñéh < v0 î
 0 KG wy / _Ä 3 - . 03) 0 Ç) 5 K U y6 l1!" 2
 *!k*** Nu K / U /D 9 \$ qv- ' %) 7 72
 ä\$ U)ñÜ qD ' <2 E s + U + 3% ('# !X /0 1- <s6) b sÄU
 \$ U ê \$ / @;- E / Ä\$- D \$ K 02 î 2 \$&;' () \$ 0 2
 P ! &' E!K î2 E&b Ä\$? H " \$K &' K !' \$j0 K \$;A v0 c2
 Ä\$- U A D t0 E!K c2 53_K E- v E!K 2 äñ \$ ' <2
 <2 03? 3 D1 Öb 4 +@ - i7{ ;j ! 5 ? | S U
 lNu ; / ! - ÑD2 8 /0 1 3b >? Z PZ 0 H | h
 \$ <2 QR Ij) î2 @0 . c Ø 3g &D 9 ü N03 84b
 ü N03K µA v' +v y I/0 1 'v G T U 9 v0 µK √ y
 < v /? I\$') D \ X µA v0 p - 0 N303 ° Y3%
 30 0 0 _- 8 Ç 9 < v- . t0 3H √ R2 d Ä 7
 () ! 7 34 7 <2 q0 °*** µK U * M s ...10 () Z U

*376 f 375 äá l+0 1- / Y A -l ;&; L) \ äNO S? mü 34 V¹

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;K2 T U U + /0 1
 I'k** uyp 9 \$ 0 y î It0 ! &? 0)4 5 0G Ä) .
 b / _; 0 U I\$î0- L ! Ø \$- 0 1- X m ü0 () # !" U
)? yG *+ 4R0 PU 3 ? § b \$ K E- v 30 0 § A D 3
 <2 ±b)7 \ * je 3b ñ / () 04 1!" \$'2 3 '
 du2 t0 du2 \$ U +K 0 î u @; + é I /0 1 2 Nu ? f F6 c v by h
 ≠ /vU I X ^3b2 > & 0 <2 y I ^; - 0 b ; - y¢ &- ()
 ^ vU I (' ? t0 I0 ! t0 K ? () U I 5QR F6
 ' v ÄD \$') D d « t0 *** H _' 3 0 « () U INu / U F6 Ü
 *r_k*** 9 / v- y
 04 y x ? X1- <2 E + / U , % &) ≠ s @ u)4 } 02 <G
 H" X3)03 X @02 \$) J U2 ;RG < Iµ p 03_K
 é î2 I \$ D 9h + 3?| () /X /vA- / - . ü E D - 3 K
 H) x? â3 X I c % & 'y - Q&- I @ ? @ ? 3@ 0 y N3b
 /v /X w Ñé K 0 L6 9 3- /D <2 s6 IM? A- X3
 4- . I D y vA H) 5 9 % yy3 /D \$ G î f î
 <4&g 9 03 4 0 X2 s6 *â_k*** 303 3 /L2 D 3%-
 \$ K L t0 <3† eÄU á _) (' b î3) #+ !X ≠ 'G 9
 ñ M † \$'1? u y P ! &0 3b2 y \$' { I ! <n M ? 0 1
 Qv; \$b !0 î /vA 3i3Ä ? * + 3?| () §+j) #+ g§

*₃₇₇ ä á I \$ & ; ' P S V ¹

*₃₇₈ f ₃₇₇ ä á I + 0 1- / Y A - I ; & ; L) \ ä NO S? mü 34 V ²

*₃₇₈ ä á I \$ & ; ' P S V ³

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 &b + 03_ ! 0 { u ! G / Ä&0 \$'{ Ö03g î3)
 + U t0 03_ ≤) < D sÄUh \$4- D 03_K () # !" 03_K
 o6 t0 NO 4 c -<2 y Iî @ /D é I () Y ~ ≠ À y
 S P d? ! -<2 I0 _ dU I+ü4)0 . I () 03_K b Ç 2]3g
 c %&'y /X 04 X P@À <2 I 0) 9 E I v **I+0 1 x Ø
 84=y5 D Ä U *!k** N ü <)Ç 5 IE00 < I/!47 î I+_)
 î2 b H *îq 0 u)4D \$ 4L 04 ? I H2 @U 0 0 b2 9 () # !"
 / ; 9 / ; - . ' v /D 04 y x ? X{ ? 7 72 >4- 0 1- KL
 <sG *\$S- ? ,jK 9 / ÄD \$- H _" Ç' V\$ vol aA?f ` & +H
 ' v G \$b ;' ? 2 I≤s 2 () # !" 0 b1? 0 K| / Ä &
)- v† y Σ ? /H ' v 3b < v K !' I i X2
 *d ! /X 0 1 K ! 3 - 1&
 \$'{ I, ; x? / ; - ã { 3) ; ê <2 04))v† Id !)
 sG y6 , 0 <2 v† y ñ u)? <{ + y 53 4 Ië A I\$ 4! ? +_Øo
 î ' +H 3 4 qD S +ü4)0) * 4& U ê 9 () /X 2
 ,v= m 4 K !' \$ vb2 03S_0 <2 î3) !" ,
 , ; u 9 v- î3) / ; b <2 Ms *ã { / g ' Sv µ ð
 . ,w 4L u í N3j S; d Ä0 ____Ø LA' /0 1 T4_0 ë A P

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;K2 T U U + /0 1
y q !" <1D I,)- 0 À . 'k á _) X? µ Àh
***q t0 yG \$) 0

!7 ? X yG \$-s n %0 y () h < D ,R
2 je 0 1- u ! G < v | ? \$'2 p #+ + 30 <2 1!" U 'k***t0
T 0 QX{ <{ I 7 03 \$ @ì î () # !" Z dj b
+ 0 1 \$? !X u)? X @Ä&l <2 p ñ u)4) y 'v G
e2 ,R ? \$'2 M sh N3 \$-)? () b m4)- . 3 { µ ∂ D
* àk*** t0 QÉ1- \ <D sG yG ;ê 9 &- y eAU () 9) @
53† î Ç' ≠s) 87p0 <2 ã ã { 3) 4&) ? < { < \$'2 H X
>= . n f á _) P 0n +L %) { ?
03 ? + 3?| () FG u+&- . - 4!'y 9 K ü- /0 1 ?

*\$&;' 3K) FG u+&-

? V0 S U 0

7 U J& () # !" >&- . 0 1 K ! J'D
¬ PK sG I\$-0 & 9 ,vÄ v† j D 7 y I\$ 4K \$Çb v†
J& 0 1 t0 K ! >?@ /j7 /D <2 D I\$ + 4! d0 !
SÇg S 0 1 SK ! 5 ,%b (J X3- sG Iij) EK ' @

Ic1999 ä1 : I A) 7 03 ? &7p I 3) () 4 7 ä≤0 4 3 } V¹
*182 ää

` 3S g 3 ä ä í -I { 9 % í 0 Ç' INu / U ä0qS0G »' ü; U V²
*05 ää I/) 4 v 0 A) I 03v Σ ç
*13 ää I\$&;' P S V³

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVV () # !" ;K2 T U U + /0 1
 S I S) b2 í /? (- 0 Z sG %b 9 N 0q 2 I Ø@-
 S' D x' S K äx S' F G /0 1 x' K ,& - <2 M) th \$' ÄU M s /D , R
 MS- SH _" 4- U É /v? H X x' K I Î A4 / ' D N3 &
 I' k < q H _X I () H _" I () « E _0 . ü H _" U Ñ
 2 N o 4 0 !? NO >? @ , 2 3 0 Z \$)' K dU , ; < ÄU \
 , R I > 0 ; - 2 : U G « A0 <2 0 1 K ! 5 > 4 Z N o 4 Q R
 S ! K t 4 + @ G I ' ! K J & 3 t 4 h 5 <2
 S G U S Z | S P) ø y) v I @ » 0 q P) ø I 0 Q L 1-) ê j q
 : A? v I' k***) Ç < 3 é d - e { I 3 2 9 X y
 * () # !" x? \$) ? K ! @ - + 0 1 + j / ; q S 0 y 2
 Nu S / U] 0 † V P @ î + s < ÄU I c 3 - & 7 1-
 , ? 2 I + Z P K U é \$ K 9 u 7 I x' 3 h V /0 1
 ¶ S L 4 0 M ? > 4 - e v? x' 5 µ _ - * m 0 3 , ; 2 I 4 !
 0 A x' ? - b) ¶ v } , ; , ≤ 0 | /D < v U I ¶ - s
 7 0 B + s à k*** Y ! & é 8 e 3? I Q ü ? K Q R ? É + U \ I G
 > 4 @ 0 /0 1 3 b T Z 0 < 4 , 7 * H 7 5 f + ; ê 5 0
 ä ¤ k ? /0 1 x' K h 0 Ç) M s /D I v I x p Y ' 2

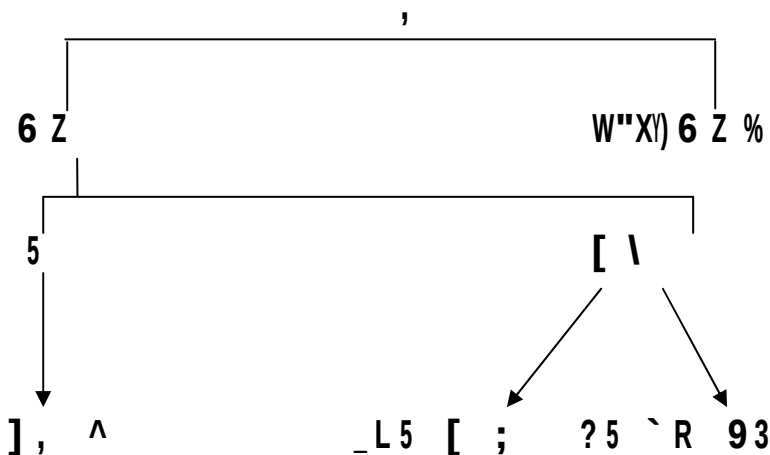
* 72 ä á IQÇ) F G Nu () äë ; 3 } V ¹

* 75 f 74 ä á I \$ & ; ' P S V ²

* 139 I 6 A 0 U 2 I () , U d !) ä 3 } + V ³

* 72 ä á IQÇ) F G Nu () äë ; 3 } V ⁴

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1



Se2 +S Õ H X ^2 0 1 K ! >4@? , ; x' K K 9 ÖÄ4
 .S 0 !) x4- 'É I 3b , ; î f µ D ≤ 0 G y 2) T .
 S3 S 0 1 SK ! 4! Z ±U = ab x' 5 « / .
 j K b I !X F G !X /) . + I > 0 ; : U | x ? > 7
 *w U3S- S 0 1 SK ! < ;) 3g 9 /X3- µ D ≈ *i X2 F G
 : A , 2 I () # !" , ; x ? K 4L) µ Av- + U M D
 . ? !X 0 0 t0 G / _ 0 < 2 v † 0 _K2 d Ä ? ; v
 < 2 04 y x 9 + @0 < 2 E . I , ; ! ? @ x' 5 , 2 x ?
 ä + 0 I () # ! Ø \$ - Ç g ; - á

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1

A 2J5 AS"5 R 0 S 6 7 R 0 *

()S x? , ; QÉ1 9 &v K h FG + 0 < '

* 'k 8v ? 8v I 4 QÉ1- μ Z D () QÉ1- n vU I 4

I S 4k QR , U 3 - v† y Öb I 4 () äx ≠ ' , ; U

/S SB IQÉ1 / ; ñR y Σ ? * (' < 3? M s v† y ñ

***, ;) /D QÉ1- ,%g ¶ 4L IN 0 ü)? K

S U S 4 S /SD xS? k, ; h ≤ A ≠) <ÄU \$

QÉ1S /S ;? Sv â3 @G I ? 7 \$ G 0 A < ' E&b () # !"

I, ; < () # !" ◇ U 4 ä 5 9 ! x? K ;

Sy3 μ SZ QÉ1S- /? SS 9 S 4 î SK QÉ1- % ' /_ 3K U

SK ! >4Z U 0 !? / 0 M s /D *8v ? 8v I () # !"

***, ; ÄZ w _? Ç- sG I+ 0 1

0 I () # !" 4 x? j 4! 4& t0 + 0 3)

Y) P@À j e2 I ? É 03b Z ? ,&- y I &v K ? v} e2

9 < 'S 8710 3) *** !" 4L 4 U x? j 3ç

3S- ì) b I N & 70 X 00 oy 9 ¶ , ; ? + 0 o

9 4b _0 I 0 1 K ! E' 4' >4Z 9 0 !? / 0 < '

** \$ 0 - Çg FG () ? u y Çg K !' wQ&

*₁₄₄ I6 A 0 U2 I () , U d!) ä3 } + V ¹

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 _cM ?) J ? @ ?Jd R 0 \$:a b R 0 *
 ,S ;? ,vÄ S /v , Uh <2 ; 0 N vU < ' d !)0
 , U Yq)0 y /v , U <2 x b 9 I ` Ñ 3l3= v† < D { y U luqç
 y : S4-0 I/v ≤ A 9 : 4-0y Yq) @G lO 3 ? P) uqç
 l/ ç i3 by j /v 30 <2 M s* uq%D uqç ? \$ K
 y u qS { xS? K 3 & ñ Iñ ≤ A ,ê' Ç) Ö b
 I'k y X ^ yç J& () jqfh <2 C ') *l k* w s u q {
 /H ? ,&- í h + I _) ç + 7 7 { () # !" N3b <ÄU ≈
 \ 3S S\ lc 9 U Nq%) + 2 l (' 0 Ö b l i X2 í P
 S 3Ä- y <2 S D *àk** _b v† y &? % ' 6 & /X
 S ç /D , U <2 î 2 l π 4? \$@ ?) uq /D U b ê ; 2 d - X
 3S4 *) 3l3= / jqç w' v , U d? 7 \$'2 Mo y _)
 î < ' QñD K /? l M s Fç 4' 0 /j { ` ç
 S ¶ !K X10 /ñ c v PZ /ñ <2 , h ä 0 sç lN Ç 5 >4@0
 sç MS'2 M s lN3b !K Q_- ab π ? 9 @ ? E0 U l @; 2 E
 5 Y ~ /_= M'ÄU *\$ ¶40 1- ¶3l3o ¶? Z ç c 0 ¶ 30n Z ä J K
 M' { M s *]) \$^ 0 D l< N3 y 3b ñ c ; D , v
 xS? . d 5 53 ; « Jç @G l ' 8 ;'2 53 ; , v 5 « 1- °

*₁₆₅ ä á l () , U d !) ä 3 } + V ¹

2001 l l : l6 A u n 4 v l î Ä)]03 9 303 5 f () - ä + ; ; 3â2 V ²

*₀₉ ä á l c

*₁₉ ä á l î Ä)]03 9 303 5 f () - ä + ; ; 3â2 V ³

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;K2 T U U + /0 1
 I I'k* d _}+ . c vb{ I\$U / x? Z î / ;
 3 - î î ü i &) ? wK E ü- P) 8710 y v <2 m 0 @G
 v Y ~ X , ;0 V () # !" /X f 3b ñ <{ I\$U
 yG √ R{ 3H - y \$'2 D I 0 ü 7 2 c v Ç)0 .
 SK d4!)0 ; 7 5 '3SD2 î * c v Y ~ f) _g X
 ,S U S µK 0 _) Ç , ; +j) 303Ä U \$*D () ? _) Ç
 3 _) Ç , ;U * í | Ä)? \$D () # !"
 < ¶ j e ¶303= uqÇ , U 303= v† y Σ ? \$*D () 9 K 7 Ç; j K
 .M D T ÄH 8v I/v , ;? L b |
 /Sv ,S U ä< ' SK SZ ≠03S)0 \$S'2 Mo y I\$b @0G d47 <2
 S D I+ 0 1 K ! <2 m 0 î luqÇ , U 9 ,vÄ 0 k () # !" h
 I S3 S 4! D g K2 J' D I !Ø +v , ; P R) J' D
 + q D - \$f sG 2 I8v y uqÇ , ;? ¶ vÄ /v , U / % 7 Ms
 V < v0 <2 E V) ? I U \$- K L /D E U2 () # !" jq , U ¬
 Ä)- j) b 0 1 K ! <ÄU I\$U v; QR 0 H 2 \$4R 3K I/v , U
 0 L I\$U : U | # !Ø jqÇ 0 @ , Ø@- ¬ NO - \$%- + 4! 0 &
 I S ` Ñ , ; < ' U \ *\$U >0 ; # i Cv 0 Ç \$Sj & WqS - ¬
 S ; 3S y ¬ 3? X{ I 0 1 K ! >4Z X / 0
 y U lu)4 ? u)4 K ? \$4o2 { g 9 I5 Ds c3 - ***) N
 /S U \$' { I/v d4& 0 _- î2 4& 73) < !K !K u)4 uq 2 P@0

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 2 D S0 <1o \$j q 2 x? : 4-0y c Ä y 8 ¶ L 4 Ñ ũ)? 5u)? < v M s
 E7) Z 9 !K /D < v- ,ç) : 4-0y /_ +v U * 0 R y ñ
 *u)4 + v \$! !À d4& 50 _- ¶; 7 qv- 0 <2 3? y
 S73 ? S) p t0 S < Sv0 3S) \$'AU I 5 Ds c3 - N 0n
 >S? 0 G ÖÄ Fç \$ U30 M s < U V Ñ W v < f () # !"
 c %S&'y 3 <AU * 0 ü 5 H) \$ %S y3 6 &' { U D 9 c %&'y
 NQİSD y j K X M s lu) < K &' { \$ ç) 9 ¶ÄZ
 \$& ;' t0 3 <ç I¶ Z \$ ü? d b 3K M ? < v U lc %&'y Ñ ?
 Jø . / % y3 6 &' { π ? 9 y X? c3!_0 \$'2 Nu 9 \$ 3 - 3)
 N3İ3ç / ç \$; @- 3K E4&? M s I & e1? Ç0 < D . I/4K wu K
 !" %&' 303= 9 Z R u) 3 *d47 Z0 ; ð <
 sç IπK) ? y /? ? y √0 ? 8 h Z 5 \$? J^ 2 <AU I]3
 x? P ç v * X x@) 3b2 ? I H" { T - v†
 9 dS { * í { ç 2 Ix 3 ç \$ U sç I0 Ø {
 I√ ; j3) ≤ Ä - j0 <2 D I \$ 73 ? \$ p0 'k** !X î2
 \$- 4K C 6 &' { M- V vo{ /vA? V c %&'y b I w 03)
 /03S - Fç S 0 1 \$ K L + 30 * 3 0 1 \$ K L Z ;
 S v} /v , U / % 7 M s < { . \$- 4K \$- Z Uy ¶ 4L + v d&) NO H
 *** M D uqç , ;?

*₇₄ ä á IQç) Fç Nu () äë ; 3 } V¹

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # ! " ; k2 T U U + / 0 1
 e2, = * @ % R 0 S ' b R 0 *
 i S 0 a S b + s 9 < v - < 2 E . U ! , 2
 v ! " 4 L x ? , j X y I = á _) ? 0 ° ë %) ?
 F G b 9 + U I + 0 1 K ! > 4 @) - a b \$ \$ A U ≈ I ≥ ; ! "
 0 ; o 4 L N q _ j _ " U N 5 v I 0 ü 7 P / ; - < 2
 , S U (À . 0 U y b h F G Q A 0 î < ' U î 2 ** ? v 2 J ' D
 M s I ` Ñ i & F G K 0 < 2 ' v † y s g * \$ U A c v F G] ? ()
 \$ G ; 0 I P & c U G 9 0 ü Q R i X { y y 3 3 0 3 D 0 A
 S - 3) M s I \$ U A c v , U 1 0 3 K / k 2 () , U < D Σ ? I ()
 : S A / p U v - 3) D I c v () 9 3 Ø & / ç b {
 m i & 9 p U v - ≤) < v 0 < 2 / ñ I , ; 9 É 2 \ < v 0 3 K . ; Ø
 () + ; @ - < 2) v † j 0 L / ≤ 0 A - y < 2 M D I t 0 P & i 3
 / S 3) 7 I N O D ' 0 4 L Q ü - 3 K N 3 0 3 i X Ø ¶ ? 2 c v 2
 . ! k E 0 K) 7 D m 0 3 () P
 I / S 7 3 Ä 0 « N 3 b í 9 ñ , ; 0 3 K ≥ ; c v + ; U
 9 E / S & I S & ; ' Z 3 - y v () # v c v) i s g) ?
 S 2 I ≥ ; c v 9 () 2 ç , U 3 & 8 j 0 / P K < 2 M s
 î b j K : 4 - 0 y 6 & U v () 2 ? v ç 9
 \$ S P K U v . D () # ! " , U Σ ?) í / D , U 3 & 0
 *** \$ n S † v () # ! " c n 0 () π 0 9 Q 4 D 0

*₁₇₃ ä ä I () , U d !) ä 3 } + V ¹

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 S_ ; !) 5 e 4&b 9 P@- <2 00 Z b 9 1 K ! <G
 S J)vø 3K < v- <2 : A? I+ 0 1 <n >4Z i X{ + / - .
 c v 6 !) c v ^ I ` & /H Ç x 0 Ç x? d0 ;
 QSR SK 8S7p U I+g ` 9 Ç 6 & E ; QX{ U * v
 3} QR) \$&;' t0 Ik+ h k á) h x? I+g / ; ? ,&- y I N o 4
 \$ S&- S N 0n U + ; A # { +H Ç)? *** 'v ' n
 xS? 3 0 . K <AU I g ' U Ç K & í 0 LG 9 N o 4 ?
 2 JS' D 0 ü y3 /j7 /v? ' ÄA I N o 4 ü 4- k+ h k /7 h
 < S 4 dS = F G + - N3' & / ,Xq /v? K 5 I 0 ü QR
 *** \$- f _K2 9 x 4
 !" U * () !" x? '0 < ' \$ 3Dp0 <G fsg
 .S K I U Ç K & í Z Z b P 7 F G \$ 0 \$U A c D
 I S o 4 »S 4 >?0 î >? IP 7 ,v NO 4) @ 0
 I S QR S0 ü I b k j & h y3 /j7 /v? ,v 3ü 0 Ö b
 U () 2 * { unG 0 @g? QX{ µ_0 *\$ D < @ P & c UG
 I S!" @ 0 . g U Ç K & ì I \$U A QR c v ' 3
 kµSp h ()S Eb H ä ^ Id47 x; ð xU L x? \$U K 3Ä-
 D ; b J& e2 2 I N o 4 QR e1?)? K q - sG *t0
 *xU S! x? P Ç 9 Ç 6 & F G ;- + U I !Ø F { K 9 g
 S- I< Sv 2 q? 3} QR t0 K () Eb H 53_ 0 î !
 5y I 772 Z g P & 3_ 0 ,v <2 0 4 ? I !" 9 0 3_
 +S B » 4 7 J Ä Iñ i 3 \$ < D y I Ç0 <2 !Ø < D

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 I X ! Fç ? ! 7 _0ç 3\ d = 0 4 ? _' Fç ? ! X
 * () Eb _ ¶ H v0 ° It0
 Sb) S U I S!" \$0 p0 î ñ s î p0 y () <2 Mo y
 C 0 é I () /ç0 Ö b I ? ! J & yy) ;0 <2 j &
 \$U A c D ä 0 2 x? P ç QX{ \$? n † U I !" ? '0 ¶ _K ' I ' 3
 Fç U SA y } 50 4 ? 30 % ? () µ _0 x b 9 I / ; +b PK P
 QX{ <2 P * !" \$@ 0 î +g PK ? ±; y \$'ÄU Σ ? I ? v
 I 0 3} QR u K Fç \$ () < I 0 3} x 7 2 0 Z b x4L ∂ Fç \$
 Ms < U PK \$U A c v q vA !" \$? n † /@;? v
 S ~\$' Ö ÄU I () \$ ¶U X I+ g ñ yy / \$
 C ñ Ms î2 I+ g ñ _K ' yy3 ¶ b \$ M U +g PK
 π0 è10 M *µ p 2 \$4b H 30 0 D ? I D () b
 /v ë Hç Z 2 _b; kt0 x h \$? c - é + 4! ()
 I S_ ñ) Ä D ÖΣy3 d&) 9 X U _0
 s , ;') *j0 y j x N3 &é N o 4 <sç 5 - î ñ
 S S S b 3 4 () Ms y U I É v- u 3 -
 \$S) J &%4' ¶Z R ÑD2 () <D D I 0 1 u É v-
 J ;' CD ¶0 \$U E - t0 -s J' D î2 I 0 1 u Qñv
 * ÄZ á _) ? '0 () 4L , %&) d0 ! J U ¬ 0 1 \$- K L
 ≠ y , ; N3 & b H) \$ /@;? \$U A !" <D M
 . v () \$ é '0 0 1 , ; 3 - 30 q ÖÄ4 Fç

< 3 X W D *2 VVVVVVVVVVVVVV () # !" ;k2 T U U + /0 1
 S NC ;AD yy () \$0 p0 < v† 4&' <2 d47 ¶ 4L
 < SD sÅSU *MS s /K2 2 !" \$ 3 0 μ_ ' + _ + g ñ
 S < U Ö¶ Ñ j ? x' ≈ 0 0 é ñ NC y 4&')Ä)† !"
 +S S0 3 4S&) 5 */K2 2 j ? x ?02 + y3 5 () \$ 3 0
 '0 PZ v† y sç * ;L X 4&' + 3_ « ë !- 4&' î1U yç Ië @0÷
 QSR 0 2 @0 !" <2 L IΣy μAD <U ! \$0 p0 x? Z 00
 2 Sæ c Sv 4 0 î () ¶U X IPK \$U A c v ^ Ix É
 +S@ 0 xSb 9 IPSK ì c D ~ () <ç i X0 NO 4 ? *<ú 3
 SL4)? 3 - y !" 9 ü hSU Σ ? o4 PK P / ; !"
 QSR Q0 P ü /_ ;ø √ ;0 ***) K 7 9 x 03) U{ LA' /?
 S QX{ <2 Öb IPK « () 30q0 Σ ? U I'k*** 0 ü
 /7 /7 î2 I5QR \$ ü ? mü &0h î () 2 æ c v QR X °
)? '0 v† y Örk \$- ? jK & X< Ç) \$ ç Ç' 3K *** \$ ç
 () 9 0 /& & <2 Fç @0 *¶ Z 00 Σy3 μAv QÉI Öb
 y « () U I !" 9 0 î + 4! /& & \$-s V NO @ ? f v0 y
 á " Σy3 μAv μú@0 Ms <ÄU ¶ I !" \$ b 8v 0
 <2 Sv† y IT_0 y ñ Σy3 μAv 9 03 U * X ? '0 {?
 . 4&) ;v 0 4 ¶ 4L yç IT_0

0 A) I - 3 } í - I !" / Ä T-; Ä!_ ä ' ü' M) V¹

*₃₈ ä á lc 2008 äi : I Xy

*₁₂₁ ä á lc 2002 äi : I î0 @g u @| qD I !" / = ? 7{ ä+o 0) V²

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسائل الفضائية دراسة تحليلية-

د. زكية منزل غراب

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

ملخص الدراسة:

تأتي هذه الدراسة في محاولة للتعرف على صورة المرأة ضمن عينة من الإعلانات المقدمة في إحدى القنوات الإسلامية ممثلة في قناة الرسالة الفضائية، ولتحقيق هذا الهدف فقد تم الاعتماد على أسلوب تحليل المحتوى كأداة للإجابة عن تساؤلات الدراسة، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج شكلت أغلبها صورة نمطية عن المرأة من حيث إبرازها في أدوار تقليدية وإن تجاوزتها إلى إظهارها في صورة محتشمة (محجبة).

Résumé:

Cette étude est une tentative d'identifier l'image de la femme parmi un échantillon des annonces dans l'une des chaînes islamiques, représentées par kanat alresalah elfadaia. Pour atteindre ce but, il faut s'appuyer sur la méthode de l'analyse de contenu comme un outil pour répondre aux questions sur l'étude ; cette étude a révélé une série de résultats, la plupart du temps formé un stéréotype de la femme on la présentant dans des rôles traditionnels d'un côté, et d'un autre côté en la présentant sous une apparence très modeste.

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة

مقدمة:

لم تعد وسائل الإعلام والاتصال وسيلة لنقل الأخبار أو تشكيل الوعي في المجالات المختلفة فحسب، بل تجاوز دورها إلى تكوين الصورة النمطية والذهنية لدى الأفراد والمجتمعات نظرا لانتشارها الواسع بين الناس وقدرتها على التأثير فيهم وتوجيههم بالطريقة التي تراها أو ترغب فيها .

ويعتبر الإعلان باعتباره وسيلة اتصال غير مباشرة أداة لا يستهان بها في التأثير على المتلقين، فالإعلان إلى جانب كونه وسيلة فعالة في التأثير على أذهان المستهلكين واستقطابهم فهو يعمل على صعيد آخر في صنع الصورة الذهنية عن الأشخاص أو الأشياء المختلفة بل ويتعداها إلى تنظيم تلك الصورة ورسم انطباعات حولها لدى المتلقي.

وتعتبر المرأة واحدة من أهم العناصر التي يعتمد عليها في الومضات الإعلانية، فقد أكدت العديد من الدراسات أن أصحاب الشركات الإعلانية تعتمد اعتمادا أساسيا على المرأة للترويج لمنتجاتها المختلفة، ومن غير شك أن ظهور المرأة ضمن الإعلانات المختلفة سيرسخ مع مرور الوقت صورة ذهنية لها لدى الوعي المجتمعي ويرسم في الأذهان المعطيات المختلفة عنها داخل المجتمع.

والواقع أنه قد بدا واضحا أن ظهور المرأة في الإعلانات أصبحت له مساحة واضحة على مختلف القنوات الفضائية وحتى على مستوى الفضائيات ذات التوجه الإسلامي ومنها قناة الرسالة الفضائية والتي يعتقد من منطلق سياستها المنطلقة من التصور الإسلامي أن تظهر المرأة في الإعلانات المقدمة فيها بصورة تتناسب وهذه السياسة.

وبناء على ما سبق جاءت هذه الدراسة لتبحث في صورة المرأة في الإعلانات التي تقدمها قناة الرسالة الفضائية.

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة

أولاً: الإطار المنهجي للدراسة:

- إشكالية الدراسة وتساؤلاتها: تعتبر وسائل الإعلام والاتصال من أقوى

المصادر التي تسهم في تشكيل الصور حول الأشخاص والمجتمعات لدى الوعي المجتمعي بسبب انتشارها الواسع، إذ تملك القدرة على خلق الانطباعات بشأن القضايا المختلفة، ويعتبر الإعلان كوسيلة اتصالية غير مباشرة واحداً من أهم المصادر التي بإمكانها بناء الجانب الإدراكي للفرد حول موضوعات معينة ومنها المرأة، إذ من غير شك أن تكرار استخدام المرأة عبر الإعلانات المختلفة بإمكانه أن يكرس صورة معينة لها لدى الأفراد في المجتمع بشكل يعطيهم انطباعات راسخاً بالمكانة التي يجب أن تكون عليها المرأة داخل المنظومة المجتمعية.

والواقع أنه لم تعد وسيلة إعلامية أو اتصالية تخل من فواصل إعلانية بسبب أن الإعلان أصبح عاملاً مهماً في استمرار هذه الوسيلة أو تلك، وتبرز القنوات الفضائية ومنها قناة الرسالة الفضائية كأحد الوسائل الإعلامية المهمة في عرض الإعلانات المختلفة والتي تبرز فيها المرأة بشكل لافت للترويج للمواد الإعلانية، مما يجعلنا نتساءل عن الصورة التي يمكن أن تقدم بها المرأة عبر هذه الإعلانات من منطلق توجه القناة وعليه جاءت هذه الدراسة لتطرح سؤالاً رئيسياً مفاده: ما هي معطيات صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية؟

وفي إطار هذا التساؤل المحوري تنفرع مجموعة من التساؤلات الفرعية هي:

- ما هي أنواع الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة التي تظهر فيها المرأة؟
- ما هي الأماكن التي تظهر فيها المرأة من خلال الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة؟
- ما هو نوع اللباس الذي تظهر به المرأة من خلال الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة؟
- ما هي الفئات العمرية التي ظهرت بها المرأة من خلال الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة؟

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة

- ما هي المستويات اللغوية التي عرضت بها الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة عينة الدراسة.

- ما هي القوالب التي تم بها تقديم الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة عينة الدراسة.

- أهداف الدراسة:

تصوب هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف وهي:

- التعرف على أنواع الإعلانات التي تظهر فيها المرأة.

- التعرف على الأماكن التي تظهر فيها المرأة عبر الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة.

- التعرف على نوع اللباس الذي تظهر به المرأة من خلال الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة.

- التعرف على الفئات العمرية التي ظهرت بها المرأة من خلال الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة.

- التعرف على المستويات اللغوية التي تم بها عرض الإعلانات

- الوقوف على القوالب التي تم بها عرض الإعلانات في قناة الرسالة .

- أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة من زاويتين:

أولاً: من حيث أنها ترتبط بأحد أهم الوسائل الاتصالية غير المباشرة وهو

الإعلان، إذ يعد الإعلان مادة أساسية في استقطاب المتلقي للمواد الإعلانية المختلفة

(السلعية والخدمية والتوعوية) مما يمتلكه من عناصر الجذب وإثارة الرغبة في الإقبال على

المواد المعلنة، ناهيك عن كونه يشكل مصدراً مهماً من مصادر التمويل لمختلف

الوسائل الإعلامية والاتصالية المختلفة كالصحف والمجلات والتلفزيون والإذاعة وحتى

شبكة الانترنت حتى أصبح استمرار وسيلة إعلامية أو اتصالية مرهون بمدى وجود

المادة الإعلانية ضمن موادها الاتصالية.

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة

ثانياً: أنها مرتبطة بعنصر فعال ومهم وهو المرأة في علاقتها بالمواد الإعلامية، فقد أصبح استخدامها بصورة محورية في التسويق للمواد المختلفة بشكل لافت، حيث يتم اختيارها في هذا الإطار وفق معايير معدة مسبقاً، مما يجعل ضرورة معرفة هذه المعايير في الإعلانات المقدمة في الفضائيات الإسلامية ومنها قناة الرسالة مطلباً علمياً في غاية الأهمية ومدى توافق السياسة الإعلامية للقناة مع سياسة المعلن .

- **الدراسات السابقة:** تعرضت العديد من الدراسات لصورة المرأة عبر الإعلانات واختلفت هذه الدراسات بحسب الوسيلة الإعلامية التي تم إجراء الدراسة التحليلية حولها ومن هذه الدراسات:

- **دراسة عصام الدين أحمد فرج بعنوان:** صورة المرأة في إعلانات التلفزيون المصري مع دراسة تحليلية لإعلانات التلفزيون المصري عام 1985¹ .

استهدفت مشكلة البحث دراسة تحليلية لإعلانات التلفزيون المصري لمعرفة صورة المرأة في هذه الإعلانات.

واعتمد الباحث على منهج المسح الوصفي معتمداً في ذلك على أداة تحليل المحتوى، كما استخدم الحصر الشامل لمفردات عينة عمدية من هذه الإعلانات حيث اختار إحدى دورات التلفزيون الأربعة على مدار العام لتحليل إعلاناتها وهي دورة يناير - مارس 1985.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

¹ - عصام الدين أحمد فرج، صورة المرأة في إعلانات التلفزيون المصري مع دراسة تحليلية لإعلانات التلفزيون المصري عام 1985م، رسالة ماجستير، قسم العلاقات العامة والإعلان، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، القاهرة، 1988.

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة

- استخدمت 84.3% من عينة البحث المرأة للإعلان عن السلع والخدمات المختلفة.
- ارتبط ظهور المرأة في بيئات الحضر بظهورها في وظائف تقليدية وكمستهلكة وارتبط ذلك أيضا بظهورها مع الرجل.
- ارتبط ظهور المرأة في المنزل بظهورها بمفردها لتعزيز مكانتها كزوجة وكأم وربة بيت.

- استخدمت صورة المرأة بشكل أكثر في إعلانات مستحضرات التجميل والصابون والمنظفات والسلع الدوائية والطبية.

- جاء استخدام شخصيات محورية نسائية أجنبية بنسبة مرتفعة بلغت 52% من إجمالي الشخصيات المحورية النسائية في عينة البحث.

- جاءت أكثر السمات الشخصية للمرأة على أنها صغيرة في السن واقتصرت ظهور الأطفال صغار السن على ظهورهم في الإعلانات التي استخدمت صورة المرأة.

- دراسة حمدة خميس المحمد بعنوان: المحجبات في إعلانات الفضائيات تخصص طبخ ونظافة حمامات¹:

تمحورت مشكلة البحث حول محاولة الكشف عن صورة المرأة في التلفزيون من خلال الاعلانات المقدمة في بعض الفضائيات العربية واستطلاع آراء الجمهور حول انطباعاتهم حول الصورة التي تقدم بها المرأة .

وقد اعتمدت الدراسة على منهج المسح الوصفي واستخدمت في إطاره استمارة تحليل المحتوى لتحليل عينة من الإعلانات قدرت بـ 40 من الاعلانات التجارية بكل من mbc، Lbc وأما الدراسة الميدانية فقد شملت 100 مفردة بين الذكور والإناث .

¹ - حمدة خميس المحمد، المحجبات في إعلانات الفضائيات: تخصص طبخ ونظافة حمامات، قسم الإعلام، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، قطر، 2007م.

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- استخدمت الإعلانات المرأة كسلعة مثيرة لترويج المنتجات باستخدام المرأة غير المحتشمة في 30 من الإعلانات، وفي 17 من ملابس غير مناسبة و65 من الرسائل التي تقدمها المرأة تقدمها المرأة للسلع الاستهلاكية و20 جنسية .

- لم يوفر المسوقون أي جهد في جعل إعلاناتهم جذابة لمختلف شرائح المجتمع المستهدفة بتلك الإعلانات وذلك باستخدام المرأة في الترويج لمنتجاتهم .

- أكد المبحوثون أن عرض صورة نمطية للمرأة في تلك الإعلانات كان له الأثر الكبير في تشويه تقييم المجتمع للمرأة

- دراسة آلاء عمر سليم بعنوان: اتجاهات الأفراد نحو استخدام صورة المرأة

في الإعلانات التجارية للسيارات¹:

هدفت هذه الدراسة التعرف على اتجاهات الأفراد نحو استخدام صورة المرأة في

الإعلانات التجارية للسيارات.

اعتمدت الدراسة على عينة عشوائية بسيطة حيث تم جمع البيانات من خلال

تصميم استبيان وتطويره ثم توزيع 100 استبانة في مدينة نابلس قدرت بنسبة 72 .

و مما توصل إليه الباحث النتائج الآتية:

- أظهرت نتائج الدراسة أن للمرأة دورا يؤثر على قرارات الأفراد للشراء إلى جانب السعر ولون وشكل السيارة والسعر وتسهيلات الدفع .

¹ - آلاء عمر سليم، "اتجاهات الأفراد نحو استخدام صورة المرأة في الإعلانات التجارية للسيارات"، عن موقع: www.najah.edu/ar/gradproj. تاريخ الدخول: 2014/1/12م.

- صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في إجابات عينة الدراسة حول اتجاه عينة الدراسة نحو استخدام صورة المرأة في الإعلانات التجارية تعزى للجنس والعمر ومستوى التعليم والدخل .
- دراسة بعنوان: استخدام المرأة في الإعلانات التجارية¹: استهدفت الدراسة التعرف على الطرق التي استخدمت بها المرأة في الإعلانات، وقد أجريت الدراسة على 40 مبحوثاً من طلاب كلية الاتصال من جميع المستويات والتخصصات . وقد توصلت الدراسة إلى نتائج كثيرة أهمها:
- أكدت عينة البحث أن المرأة يتم استخدامها في الإعلانات التجارية بصورة مهينة لكرامتها.
- من خلال نتائج الاستبيان لوحظ أن الأغلبية من المبحوثين بنسبة 5,87% اتفقوا على أن الإعلانات التجارية مقتبسة من الإعلانات الغريبة وأيضاً الأغلبية بنسبة 77، 5% وافقوا على أن استخدام جسد المرأة في الإعلانات التجارية يجذب المشاهدين ويساعدهم على لفت نظرهم للسلع.
- أكدت عينة الدراسة أن استخدام الجانب الجسدي للمرأة في الإعلان يساعد في الترويج للسلع والمنتجات.
- ترى عينة الدراسة أن وجود الوجه النسائي في الإعلان عنصر جذب قوي للمشاهد.

¹ - دون اسم الباحث، "استخدام المرأة في الإعلانات التجارية"، عن موقع: www.stst.yoo7.com، تاريخ الدخول: 2013/12/13

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة

- دراسة عبد الرحيم السامي بعنوان: صورة المرأة المغربية في الإشهار التلفزيوني الوطني¹.

استهدفت مشكلة الدراسة التعرف على صورة المرأة ضمن الإشهار التلفزيوني كما تعكسه القنوات المحلية وهي التلفزيون المغربي والقناة الفرنسية الثانية.

وقد اختار الباحث عينة عمدية قدرت بـ 119 وصلة إخبارية ممتدة على مدار أسبوع من 24 ماي إلى 30 ماي من سنة 1999 م .

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- أن الخطاب الإشهاري عن المرأة بطبيعته سطحي "تعميمي" وانتهازي" فالصورة التي أعطيت عن المرأة المغربية هي صورة مثالية في أغلب الحالات فهي شابة وجذابة ومثيرة حتى وإن كانت منغمكة في تنظيف الملابس .

- أن الخطاب الإشهاري خطاب ذو نزعة محافظة، فالصورة التي يعكسها عن المرأة هي صورة نمطية تصورها في أكثر من 50% من الحالات داخل البيت.

- ظهرت المرأة في الوصلات الإخبارية كفاعل أساسي في عملية الترويج في أكثر من نصف مجموع الوصلات الإخبارية في عينة الدراسة.

التعليق على الدراسات السابقة: بالنظر في ما تم عرضه من دراسات سابقة يمكن ملاحظة الآتي:

¹ - عبد الرحيم السامي، صورة المرأة المغربية في الإشهار التلفزيوني الوطني، ضمن كتاب صورة المرأة في الخطاب الإعلامي المغربي، المعهد العالي للإعلام والاتصال، المملكة المغربية، ط1، دت، ص ص 203-241.

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة

- أكدت الدراسات السابقة على أن الإعلانات استخدمت المرأة بشكل لافت في الترويج لموادها الإعلانية مما يزيد من أهمية التعرف على استخدام المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة سلبيًا أو إيجابيًا.

- تناولت الدراسات السابقة صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قنوات فضائية عامة بينما توجهت الدراسة التي بين أيدينا إلى التعرف على صورة المرأة في قناة ذات توجه إسلامي ممثلة هنا في قناة الرسالة الفضائية.

- ومع اختلاف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة من حيث القناة التي عرضت فيها الإعلانات إلا أنها استفادت منها في صياغة المشكلة البحثية وبناء بعض الفئات.

- **تحديد المفاهيم:** تضمنت الدراسة مجموعة من المفاهيم وهي:

1- الصورة:

***لغة:** ترد لفظة الصورة في كلام العرب بما يدل ظاهرها على معنى حقيقة الشيء وهيئته ومعنى صفته. يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، أو صورة الأمر كذا وكذا أي صفته¹.

وفي المعجم الوسيط: إن الصورة مشتقة من الفعل "صور" حمل له صورة مجسمة، صور الشخص أو الشيء أي رسمه، وصفه وصفا يكشف عن جزئياته وصور الشيء تكونت له فكرة عنه².

***اصطلاحاً:** أورد الباحثون تعريفات مختلفة حول الصورة أفرزتها منطلقات تخصصاتهم ومن هذه التعاريف ما أورده علي عجوة بأنها "مفهوم عقلي شائع بين أفراد

¹ - ابن منظور، المصدر السابق، ج4، دار صادر، بيروت، ط1، دت، ص253.

² - إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ج1، دار المعارف، القاهرة، دط، 1973م، ص548.

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة

جماعة معينة يشير إلى اتجاه هذه الجماعة الأساسي نحو شخص معين أو نظام ما أو طبقة معينة أو حس بعينه أو سلطة سياسية أو قومية معينة أو أي شيء آخر¹

بينما يعرفها ماكومبس (McCombs) بأنها "تعد مفاهيم عامة تتكون من عدد من المعتقدات أو الحقائق والآراء"².

كما عرفها توماس "Thoms" الصورة على أنها "مجموعة معاني لرموز اجتماعية مجردة تحظى بقبول عام"³.

2- الإعلان:

* لغة: ورد في لسان العرب لفظ "علن" من الإعلان والمُعلنة والإعلانُ المجاهرة نقول عَْلَنَ الأمرُ يَعْلُنُ عُلُونًا وَيَعْلُنُ وَعِلْنٌ يَعْلُنُ عَلَنًا وَعِلَانِيَةً فيهما إذا شاع وظهر⁴.

وجاء في قاموس معجم مقاييس اللغة مادة "علن" بأن العين واللام والنون أصلٌ صحيح يدلُّ على إظهار الشيء والإشارة إليه⁵.

ومن هذه التعاريف يتبين أن الإعلان يأخذ معنى الإظهار والمجاهرة والإشارة إلى الشيء .

¹ - علي عجوة، العلاقات العامة والصورة الذهنية، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1999م، ص4.

² - آمال كمال طه محمد، صورة العراق في التغطية الصحفية العربية والغربية في التسعينيات-دراسة مقارنة، دكتوراه غير منشورة، قسم الصحافة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 2001م، ص45.

³ - نجوان عبد المعبود محمد الأشول، الصورة الذهنية: التشكل والتغير، ماجستير غير منشور، قسم العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، القاهرة، 2010م، ص36،

⁴ - ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص288.

⁵ - ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج4، إتحاد كتاب العرب، القاهرة، دط، 2002م، ص89.

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة

***اصطلاحاً:** قدمت تعريفات مختلفة ومتنوعة بشأن الإعلان فقد عرف بأنه " مختلف نواحي النشاط التي تؤدي إلى نشر أو إذاعة الرسائل الإعلانية المرئية أو المسموعة على الجمهور لغرض حثه على شراء سلع أو خدمات أو من أجل سياقه من أجل التقبل الطيب لأفكار أو أشخاص أو منشآت معلن عنها"¹.

وعرفه أكستيفلد بأنه "عملية اتصال تهدف إلى التأثير على المشتري من خلال إجراءات وطرق ووسائل غير شخصية يقوم بها البائع، حيث يفصح المعلن عن شخصيته ويتم الاتصال من خلال وسائل الاتصال العامة"². وعرفه آخرون بأنه "نشاط اتصالي يهدف إلى الإعلام عن سلعة أو فكرة أو خدمة للترويج لها عبر وسائل الاتصال بال جماهير ومن المعروف أن الإعلان يكون مقابل معلوم وهدفه التأثير على المستهلك ودفعه للقيام بعمل أو سلوك مقصود ومحدد"³.

كما عرف بأنه "أحد الأشكال غير الشخصية لترويج المبيعات ويستخدم مجموعة الوسائل الإعلانية الرئيسية كالصحف بنوعيتها الجرائد والمجلات الإذاعة بنوعيتها الراديو والتلفزيون السينما والملصقات وإعلانات الطرق واللافتات المضيفة والإعلانات في وسائل نقل الركاب والبريد المباشر"⁴.

وتعرفه جمعية التسويق الأمريكية على "كونه وسائل غير شخصية لتقديم الأفكار

¹ - أحمد عادل راشد، الإعلان، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1981م، ص35.

² - طاهر حسن الطائي، محمد شاكر العسكري، الإعلان: مدخل تطبيقي، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2003م، ص17.

³ - عماد كامل، "تنميط صورة المرأة في الإعلانات التجارية، عن موقع:

www.odabasham.net/show، تاريخ الدخول: 2014/1/12

⁴ - محمد منير حجاب، الموسوعة الإعلامية، مج1، دار الفجر للنشر، القاهرة، 2003م، ص342.

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة

أو السلع أو الخدمات بواسطة جهة معلومة ومقابل أجر مدفوع"¹.

ويعد هذا التعريف الأكثر اتفاقاً بين الباحثين من وجوه²:

- أنه جهود غير شخصية حيث تم الاتصال بين المعلن والجمهور بطريق غير مباشر باستخدام وسائل الإعلان المختلفة كالصحف والراديو والتلفزيون.

- أن الإعلان يدفع عنه أجر محدد وهذا يميز الإعلان عن الدعاية التي قد لا يدفع عنها مقابل.

- أن الإعلان لا يقتصر على عرض وترويج السلع فقط وإنما يشمل كذلك ترويج الأفكار والخدمات .

- أن الإعلان يفصح فيه عن شخصية المعلن الذي يقوم بدفع ثمن الإعلان ويعتبر هو مصدره في كثير من الحالات.

*التعريف الإجرائي:

وتبعاً لهذه التعاريف عن الصورة والإعلان فإننا نقصد بصورة المرأة في الإعلان في هذه الدراسة هو: الانطباعات والتصورات التي يقدمها الإعلان عن المرأة من خلال استخدامها للترويج لمختلف السلع والخدمات والأفكار التوعوية البناءة من طرف معلن معلوم لقاء أجر بغية التأثير في المتلقي ودفعه إلى الإقبال على المادة الإعلانية.

ثانياً: الإجراءات المنهجية للدراسة:

- **المنهج المستخدم:** يصنف هذا البحث ضمن البحوث الوصفية التي من خصائصها أنها "لا تقف عند مجرد جمع البيانات والحقائق بل تتجه إلى تصنيفها وتحليلها وتفسيرها واستخلاص دلالاتها وتحديدتها بالصورة التي هي عليها كمياً وكيفياً بهدف

¹ - طاهر محسن الطالبي، شاعر العسكري، مرجع سابق، ص 18.

² - نفس المرجع والصفحة .

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة

الدراسات التي بوسعها الكشف عن صورة المرأة كما تعكسها الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية، بل وفي الوصول إلى نتائج علمية ودقيقة.

ويعد تحليل المضمون من أهم التقنيات التي تستخدم في دراسة محتوى وسائل الاتصال المختلفة مثل المحتوى الصحفي المقروء وكذا المواد المسموعة والمرئية في الإذاعة والتلفزيون. ومن بين التعريفات الحديثة التي قدمت بشأن أسلوب تحليل المحتوى تلك التي أوردها كلود كريندرف (Claud.K) حيث يرى أن تحليل المحتوى هو " أحد الأساليب البحثية التي تستخدم في تحليل المواد الإعلامية بهدف التوصل إلى الاستدلالات استنتاجات صحيحة ومطابقة في حالة إعادة البحث والتحليل"¹، كما عرف بأنه "جملة من تقنيات تحليل الاتصالات ترمي عبر أساليب منهجية وموضوعية لوصف محتوى الرسائل إلى الحصول على أدلة كمية أو غير كمية تتيح تفسير المعارف المتعلقة بشروط إنتاج وتلقي هذه الرسائل"².

ويجب الإشارة هنا أنه تم الاعتماد على استمارة تحليل المحتوى التي تضمنت المحاور المختلفة بالدراسة وتم إخضاعها للتحكيم من قبل أساتذة مختصين.³

– تحديد فئات ووحدات التحليل:

1- تحديد فئات التحليل: تعتبر خطوة تحديد فئات التحليل ضرورة منهجية

ملحة يستدعيها أسلوب تحليل المحتوى، وهي عملية تهتم بتحويل الكل إلى أجزاء ذات

¹ - يوسف تمار، تحليل المحتوى للباحثين والطلبة الجامعيين، طاكسيج كوم للدراسات والنشر، الجزائر، ط1، 2007م، ص.

² - منى بنت محمد بن علي البرعمي، تحليل المحتوى، إصدار جامعة السلطان قابوس، عمان، دط، 2011، ص 2.

³ - المحكمون هم: الدكتورة ليلي فيلاي من قسم الدعوة والإعلام والاتصال جامعة الأمير عبد القادر بدولة الجزائر، والدكتور نصير بوعلي جامعة الشارقة بالإمارات العربية المتحدة .

- صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة
- خصائص أو مواصفات يتم الاتفاق عليها مسبقاً، وبما أن فئات التحليل عادة ما ترتبط بجانبين مهمين وهما فئات المضمون (ماذا قيل؟) وفئات الشكل (كيف قيل؟) فقد اعتمدنا مجموعة من الفئات في إطار هذين المستويين وفق الآتي:
- أولاً: فئات المضمون (ماذا قيل؟):**
- فئة أنواع الإعلانات التي ظهرت فيها المرأة: وتتمثل هنا في: الإعلانات السلعية - إعلانات التوعية - الإعلانات الخدمية.
 - فئة اللباس الذي تظهر به المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة: و تم تقسيمها هنا إلى: حجاب - لباس مترج - غير محدد
 - فئة الأماكن التي تتواجد بها المرأة: وتم اعتماد الفئات الآتية: البيت - العمل - غير محدد.
 - فئة الفئة العمرية التي ظهرت بها المرأة في الإعلانات: و نقصد بها هنا محدد الذي يختار على أساسه ظهور المرأة في الإعلان وتم اعتماد الفئات الآتية: كبيرة السن - صغيرة السن - غير محدد.
- ثانياً: فئات الشكل (كيف قيل؟):** وقد تم الاعتماد على الفئات الآتية:
- فئة القوالب المستخدمة في الإعلانات: وفيها تم اعتماد القوالب الآتية: الحديث المباشر - القالب الدرامي.
 - فئة المستوى اللغوي المستخدم في الإعلانات: وفيها تم اعتماد الفئات الفرعية الآتية: العربية الفصحى - الجمع بين العربية والأجنبية - العامية.
- 2- تحديد وحدات التحليل:** تعتبر هذه العملية من الخطوات المنهجية التي يتطلبها تحليل المحتوى وعليه تم اعتماد الوحدات الآتية:

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية متزل غرابة

—

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة

النسبة	التكرار	نوع الإعلانات التي ظهرت فيها المرأة
54، 84%	7	اعلانات توعية
15، 39%	2	اعلانات خدمية
30، 77%	4	اعلانات سلعية
100%	13	المجموع

أبرزت عينة الدراسة حول نوع الإعلانات التي ظهرت فيها المرأة النتائج الآتية:

ظهرت المرأة في إعلانات التوعية في الترتيب الأول بنسبة 54، 84%، بينما ظهرت في الإعلانات السلعية بنسبة 30، 77% في الترتيب الثاني، في حين ظهرت على مستوى الإعلانات الخدمية في الترتيب الثالث بنسبة 15، 39% .

وتشير هذه النتائج إلى تطور ملموس حول استخدام المرأة على مستوى الإعلانات عينة الدراسة، فقد أظهرتها الإعلانات في صورة المرأة التي بوسعها أن تكون عنصراً فاعلاً يمكن أن يساهم في إشاعة الثقافة السليمة في المجالات المختلفة والتي بدت في تعليم القرآن للنساء، والحفاظ على الماء والتوعية حول سرطان الثدي وغيرها ...

ومع كل ذلك لم تخل نسبة معتبرة من الإعلانات التي لا تزال تقوم باستغلال المرأة في الترويج للسلع المختلفة والخط من قيمتها الإنسانية وهو واقع يفرضه منطق المعلن الذي يتحكم في المادة الإعلانية ما يجعله يتجاوز في كثير من الأحيان سياسة القناة لاعتبارات ربحية وتجارية بحتة .

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة

2- فئة صفة اللباس الذي ظهرت به المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة:

جدول رقم (2) يبين صفة اللباس الذي ظهرت به المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة

الرسالة:

نوعية اللباس الذي ظهرت به المرأة	التكرار	النسبة
حجاب	11	84، 61%
متبرجة	1	7، 69%
غير محدد	1	7، 69%
المجموع	13	100%

تشير النتائج المحصل عليها أن المرأة ظهرت بالحجاب بنسبة 84، 61% أما

ظهورها متبرجة فقد جاء بنسبة 7، 69%، ولم يتحدد لباسها بنسبة 7، 69% .

وبالنظر في هذه النتائج يتبين لنا نزعة غير مسبقة من القائمين على الإعلانات

عينة الدراسة في إظهار المرأة في صورة لم نعهدها في غالب الإعلانات التي تقدمها الفضائيات أو الوسائل الاتصالية الأخرى، فقد برزت المرأة بزي إسلامي محتشم ينبئ عن توجه نوعي في إبراز المرأة في صورة تصون عفتها وتحفظ كرامتها كآدمية وهي بالتالي تعطي صورة بديلة لتلك الإعلانات التي لا تتورع عن إبراز المرأة " كأداة بيعية وأسلوب نخاسة مشوه على الرغم من أن الإعلان يمكن تقديمه بطريقة تحترم آدمية المرأة"¹.

على أنه تجب الإشارة إلى نقطة مهمة وهو أن النسبة التي ظهرت فيها المرأة في زي متبرج حسب النتائج المتوصل إليها كان من نصيب المرأة العاملة وكأما يراد من هذا أن

¹ - محمد عبد الخالق مساهل، "متقفون وإعلاميون يطالبون بميثاق شرف إعلاني ويعارضون استخدام المرأة في الإثارة" جريدة المصري اليوم، 18 أفريل 2006م، ص 12.

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابية

الحجاب لا يليق بالمرأة العاملة في حين برزت المحجبة في البيت "وكان الصورة النمطية التقليدية للمرأة في المجتمع تتجسد فقط في المرأة المحجبة وهي أن مكانها هو المطبخ والتنظيف"، وأن المرأة الجميلة ذات الشعر الطويل لها الحق بأن تتجمل وتتعطر"¹، بل ويحق لها أن تظهر في أماكن العمل بما يليق ومظهرها الجذاب .

هذا التركيز لمثل هذه الصورة بين المحجبة في البيت والمتبرجة في أماكن العمل يعيدنا إلى إشكالية قديمة جديدة ترتبط بتلك النداءات التي ترتفع هنا وهناك لتنظر إلى الحجاب على أنه يمثل أحد العوائق التي تقف دون انطلاق المرأة أو إمكانية أن تقوم بأدوارها المختلفة خارج البيت وهو ما يتناقض مع الواقع الذي أثبت أن حجاب المرأة لم يكن يوماً عائقاً أما تحقيق ذاتيتها في الوظائف المختلفة في المجتمع .

3- فئة أماكن تواجد المرأة في الاعلانات المقدمة في قناة الرسالة

جدول رقم (3) أماكن تواجد المرأة في الاعلانات المقدمة في قناة الرسالة

أماكن تواجد المرأة	التكرار	النسبة
البيت	10	92, 76%
العمل	1	69, 7%
غير محدد	2	39, 15%
المجموع	13	100%

بالنظر في النتائج المحصل عليها يتبين أن الأماكن التي ظهرت فيها المرأة في الإعلانات كانت وفق النسب الآتية، يلاحظ أن البيت قد جاء في الترتيب الأول

¹ - ساندوسيريت، "صورة المرأة في الإعلانات التلفزيونية"، عن موقع:

sondosbirat.wordpress.com، تاريخ الدحول: 2013/12/23.

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة
بنسبة 76، 92% وجاء العمل في الترتيب الثاني بنسبة 15، 39% أما الأماكن غير المحددة
وهي التي برزت فيها المرأة بالصوت أو في مكان غير محدد المعالم فقد وردت في
الترتيب الثالث بنسبة 7، 69% .

ومن خلال هذه النتائج يتأكد لنا أن القائمين على هذه الاعلانات يصرون على
إظهار المرأة في البيت باعتباره المكان المناسب لها بل وفي أدوار تقليدية معروفة، فهي
جدة تحاط بتقدير الأبناء والأحفاد وأم مطالبة بالقيام بواجبها تجاه أبنائها وكزوجة تقوم
بتلبية احتياجات الزوج والضيوف بصورة لا تعكس الواقع الذي يشير إلى اندماج المرأة
في المجتمع وظهورها في كل قطاعات العمل المختلفة أستاذة وموظفة وطبيبة...، وهو
أمر يؤكد استغرابنا من ظهور المرأة في أماكن العمل بنسبة ضئيلة جدا بشكل لا يعكس
تطلعاتها .

4- فئة الفئات العمرية التي ظهرت بها المرأة:

جدول رقم (4) يبين توزيع عينة الدراسة حسب الفئات العمرية التي ظهرت بها المرأة

الفئات العمرية	التكرار	النسبة
كبيرة السن	2	15، 39%
صغيرة السن	10	76، 92%
غير محدد	1	7، 69%
المجموع	13	100%

تشير النتائج الموضحة أعلاه ما يلي: تصدرت المرأة الشابة في الإعلانات الترتيب
الأول بنسبة 76، 92% في حين جاء ظهور المرأة كبيرة السن في الترتيب الثاني بنسبة
15، 39% أما كونها غير محددة الملامح فقد جاءت بنسبة 7، 69%.

وتؤكد هذه النتائج ميل القائمين على الإعلانات إلى استخدام المرأة الشابة
بدرجة أولى كفاعل أساسي ومركزي في عملية الترويج للمواد الإخبارية والتركيز

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة

عليها أكثر من المادة المروج لها باعتبارها عنصر جاذب للمحتوى الإشهاري وهو ما أكدت عليه الكثير من الدراسات في أن استخدام الجانب الجسمي للمرأة في الإعلان يساعد في الترويج للسلع والمنتجات والتأكيد على أن وجود الوجه النسائي في الإعلان يمثل عنصر جذب قوي للمشاهد .

ثانياً: تحليل فئات الشكل (كيف قيل؟):

6- فئة المستوى اللغوي المستخدم في الإعلانات التي ظهرت فيها المرأة:

جدول رقم (6) يبين توزيع عينة الدراسة حسب المستوى اللغوي المستخدم

في الإعلانات التي ظهرت فيها المرأة

النسبة	التكرار	المستوى اللغوي المستخدم في الإعلانات
53، 85%	7	عربية فصحي
7، 69%	1	عربية + أجنبية
23، 07%	3	عامية
15، 39%	2	غير محدد
100%	13	المجموع

بالنظر في النتائج المحصل عليها نلاحظ ما يلي: جاءت اللغة العربية الفصحى في الترتيب الأول بنسبة 53، 85%، يليها في الترتيب الثاني العامية بنسبة 23، 07%، ثم المستوى غير المحدد بنسبة 15، 39%، وفي الأخير الجمع بين العربية والأجنبية بنسبة 7، 69%

إن مجيء اللغة العربية في الترتيب الأول أمر محمود ينم عن احترام فعلي من المعلن للغة القرآن وكذا سياسة القناة باعتبارها قناة إسلامية أخذت على عاتقها مبدأ الدفاع عن اللغة العربية، وتوجه يجعل الارتقاء بها أمراً مطلوباً حتى في المواد الإعلانية ومع كل هذا فلا نستهن بالنسب التي عرضت بها الاعلانات وبخاصة ما كان موجهاً بالعامية.

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة

7- فئة القالب الذي تم به عرض الإعلانات التي ظهرت فيها المرأة:

جدول رقم (7) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب القالب الذي عرضت به الإعلانات

النسبة	التكرار	فئة القالب المستخدم في الإعلان
92، 31%	12	دراما
7، 69%	1	حديث مباشر
100%	13	المجموع

أظهرت النتائج المبينة في الجدول سيادة القالب الدرامي على الإعلانات التي ظهرت فيها المرأة وذلك بنسبة 92، 30% في حين جاءت الحديث المباشر في عرض الإعلان بنسبة 7، 69%. ويمكن تفسير غلبة استخدام القالب الدرامي لضرورة بعض الاعتبارات التي يستلزمها الإعلان لإقناع المتلقي بالمادة المعلن عنها قد لا تتوفر في الحديث المباشر أو في غيره من القوالب الأخرى، إذ تعتبر الدراما انعكاسا للواقع مما يجعل عرض المادة الإعلانية ضمن هذا القالب أكثر تشخيصا وتمثلا لها في ذهن المشاهد الأمر الذي يجعله يقبل عليها بقناعة تامة.

الاستنتاجات:

- على الرغم من ظهور المرأة بشكل بارز على مستوى إعلانات التوعية في صورة تنبيء عن نقلة نوعية في استخدامها للترويج للمواد المعلن، فإنها ما تزال في كل ذلك عنصرا مطلوباً لتسويق السلع المختلفة والخط من قيمتها الإنسانية لاعتبارات ربحية وتجارية بحتة.

- أشارت الدراسة إلى التركيز على استخدام المرأة الشابة بدرجة أولى كفاعل أساسي ومركزي في عملية الترويج للمواد الإشهارية وعامل جاذب نحو المادة المعلن عنها.

صورة المرأة في الإعلانات المقدمة في قناة الرسالة الفضائية ----- د. زكية منزل غرابة

- أبدت الدراسة ظهورا لافتا للمرأة بزي إسلامي محتشم ينبئ عن توجه نوعي في إبراز المرأة في صورة تصون عفتها وتحفظ كرامتها مما يطرح هذا الملمح بديلا عن تلك الإعلانات التي تستغل جسد المرأة بشكل يمتهن أدميتها ويسيء إلى أنوثتها.

- برزت المرأة بنسب كبيرة في البيت تأكيدا على أنه المكان المناسب لها من حيث كونها زوجة وأم تقوم بواجباتها تجاه أفراد أسرتها واللافت في كل ذلك هو إبراز المرأة في هذه الأماكن على خلاف المترجمة التي أظهرتها الإعلانات على قلتها في صورة المرأة العاملة والجميلة .

- تصدرت اللغة العربية نسب الإعلانات التي عرضت على قناة الرسالة بشكل ينم عن احترام فعلي من المعلن للغة القرآن وكذا سياسة القناة باعتبارها قناة إسلامية.

- جاء القلب الدرامي بأعلى نسبة في عرض الإعلانات التي ظهرت فيها المرأة من منطلق بعض الاعتبارات التي يتطلبها الإعلان بغية التأثير في المتلقي بشكل قد لا يتوفر في غيره من القوالب الأخرى فقد تتطلب الدراما محاكاة الواقع بغية تقريب الفكرة الإعلامية من المشاهد.

خاتمة:

ألفت هذه الدراسة بظلالها على صورة المرأة كما تعكسها الإعلانات، وعلى الرغم من أن هذه الإعلانات قد قدمت عبر قناة ذات توجه إسلامي ممثلة في قناة الرسالة إلا أن صورتها في هذه الإعلانات لم ترق إلى المستوى المطلوب، فالمرأة وإن ظهرت في هيئة محتشمة إلا أن المسوقين للإعلانات يصرون على إبرازها عبر رسالة نمطية ترتبط عادة بالأماكن التقليدية لتي لم تخرج عن كونها امرأة داخل البيت تقوم بواجباتها تجاه أسرتها بشكل لا يعبر عن مكانتها في المجتمع، مما يجعلنا نؤكد هنا على سلطة المعلن التي تفرض نفسها لاعتبارات ربحية مجتة وتتجاوز سياسة القناة حتى وإن تبنت التوجهات الإسلامية التي تفرض احترام المرأة عبر جميع المضامين الاتصالية.

واقع أدب الطفل في الوطن العربي وتحديات العولمة

د. فائق حملي

جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي

الملخص:

في عصر العولمة اليوم يلاحظ الدارس أن الطفل العربي تتقاذفه تيارات فكرية متباينة، وتتزاحم على لسانه كلمات أجنبية مختلفة ، وتتجاذبه لهجات مختلفة موروثية، تسعى إلى تمزيق كيانه الفكري والنفسي، وإلى استلابه حضاريا، كل هذه العوامل مجتمعة، وغيرها أسهمت في ضياع اللغة الأم للطفل العربي، فوسم أداؤه اللغوي والأدبي بالقصور والاضطراب، واهتزت قناعاته الفكرية، تحت تأثير الدعاية الإعلامية الأجنبية المغربية والمغرضة في الوقت نفسه.

تأتي هذه المداخلة لتسلط الضوء على أسباب، ومظاهر التذبذب في الشخصية اللغوية لدى الطفل العربي في ظل تيار العولمة الجارف، وتقترح الحلول التي تطمح إلى إعادة بناء هذه الشخصية بناء متماسكا في إطار القيم الوطنية والقومية ، من خلال تقويم ما يقدم للطفل العربي من إنتاج أدبي عبر الكتاب المدرسي، وكذا ما تعرضه برامج الأطفال التلفزيونية، والوقوف على مدى استجاباتها لحاجاته الآتية، وتطلعاته المستقبلية، ومن ثم السعي إلى الرقي بأدب الأطفال شكلا ومضمونا.

Abstract:

Nouraday, in the globalization, the learner remarks that the arab child is faced to different intellectual tensions, he also uses different foreign words; and inherited dialects which are seeking for his intellectual and psychological split, also to takeover his civilization.

All these factors gathered and many others have contributed in the loss of the mother tongue of the arab-child.

Which made of his linguistic and literary performance turbulent and imperfect, the intellectual communications were also affected due to the foreign seductive and tendentious propaganda in the same time.

This interjection highlights the reasons and the manifestation of the linguistic personality decline of the arab world under the sweeping lide of globalization as it also suggests the solutions which aspire to relive coherently this personality with him the frame of the national and patriotic values via by an evaluation of what is given for the Arab-child as a literary production in the text book and also what show the television children programs and stand over their responses to his needs and future aspirations and then seek to sophisticate the children behaviour in form and substance.

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حميلي

مقدمة:

إن أدب الطفل فن مستقل لم يظهر في العالم إلا في القرن السابع عشر، فهو أدب مستحدث في أوروبا عرفته في عصر تقدمها وتطورها، أما في الوطن العربي، فإن أدب الطفل ظهر نتيجة الاحتكاك بالغرب عبر النقل والترجمة، ولهذا كانت أول بادرة لأدب الطفولة قد ظهرت إلى الوجود مع رواد الأدب في مصر أمثال الشاعر أحمد شوقي والهرابي وكامل كيلاني، ومن تبعهم في مختلف الأقطار العربية، حيث كثر في السنوات الأخيرة المؤلفون للطفل، مما تبعه ظهور العديد من العناوين والمجلات والكتب الخاصة بأدب الأطفال، إلا أن هذا الإنتاج يبقى إنتاجاً ضئيلاً ومحدوداً، فكثيراً ما كان بعيداً عن المقاييس المحددة لأدب الطفل شكلاً ومضموناً، ومن هنا برز هذا النقص الواضح في أدب الأطفال عندنا، فهناك تقصير واضح في حق ما يزيد على مئة وعشرين مليون طفل عربي*، فما ينتج من كتب لا يسد الساحة العربية، وما يعرّب فيها من فراغ استحوذت عليه العولمة بجيوشها الجارحة من إعلام وثقافة وسلع، تملأ على الطفل العربي حسه وسمعه، لذلك سارع الكثير من الدول العربية لتدارك الفراغ، وإزالة العقد التي تسببت في ضحالة أدب الأطفال من خلال دعوة الأدباء وعقد الملتقيات لزيادة الاهتمام بهذا الطفل، وإنقاذه من براثن العولمة.

أولاً: مفهوم أدب الطفل:

إن التساؤلات حول مفهوم أدب الأطفال إشكالية مازالت مطروحة، هل المقصود منه الأدب الذي يكتبه الأطفال أم الذي يكتب للأطفال؟ وهل هو جزء من أدب الكبار له خصائصه الفنية، التي تختلف عن خصائص أدب الكبار، أم هو أدب تعليمي غايته تربية؟ للإجابة نقول إن أدب الأطفال يتميز بنوعية جمهوره وطبيعته، الأمر الذي يجعل الفرق بينه وبين أدب الكبار يقوم على خصوصية المتلقي، وعلى

* قدر عدد الأطفال في العام العربي حسب آخر إحصائيات منظمة اليونسكو بأزيد من 120 مليون طفل.

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي
مراعاة اهتمامات وقدرات الطفل العقلية، واللغوية، والفنية، فأديب الكبار ليس نفسه أديب الأطفال، هذا الأخير يتوجب عليه معرفة قارئه الطفل بدقة، ومادام القارئ طفلاً له علمه، ومعجمه اللغوي، فالأديب مطالب بتعرف هذا العالم وهذا ليس بالأمر الهين¹.
إن تركيبتنا النفسية والبيولوجي والاجتماعي ينشأ من الطفولة، التي تمثل أهم المراحل التي يمر بها الإنسان في حياته، حيث يكون فيها الطفل أكثر استعداداً، وميلاً للتقبل والتعلم والابتكار².

لا يختلف أدب الأطفال عن أدب الكبار، فهو فن مادته اللغة، وطبيعته التخيل، يتجسد في أنساق فنية منسوجة من الأجناس الأدبية المألوفة، وبالتالي فهو يندرج ضمن مفهوم الأدب عموماً من حيث المادة، والطبيعة الفنية، غير أنه يتميز عن أدب الراشدين في مراعاة حاجات الطفل وقدراته العقلية، واللغوية والذوقية³.

ترى هدى محمد قناوي أن أدب الأطفال >> خبرة لغوية ممتعة وسارة لها شكل فني تساعد على إرهاب الحس الفني لدى الطفل، وتعمل على تنمية ذوقه الأدبي، ونموه المتكامل، وتسهم في بناء شخصيته وتحديد هويته، وتعليمه في الحياة<<⁴.

كما يمكن تعريف أدب الأطفال بأنه: >> خبرة لغوية في شكل فني، يبدعه الفنان، وبخاصة للأطفال فيما بين الثانية والثانية عشرة أو أكثر قليلاً، يعيشونه ويتفاعلون معه، فيمنحهم المتعة والتسلية، ويدخل على قلوبهم البهجة والمرح، وينمي فيهم الإحساس بالجمال وتذوقه، ويقوي تقديرهم للخير ومحبتة، ويطلق العنان

¹ - أحمد زلط، أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد المرواني، دار المعارف، مصر 1994م، ص 30.

² - عيسى الشماس، القصة الطفولية في سوريا، (دراسة تحليلية للقيم التربوية)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1996م، ص 22.

³ - هادي النعمان، ثقافة الطفل سلسلة عالم المعرفة، عدد 123، الكويت 1988م، ص 155.

⁴ - إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، مكتبة الدار العربية، القاهرة، ط1، ص 22-

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي
لخيالاتهم، وطافتهم الإبداعية، ويبنى فيهم الإنسان. كما يعرف أدب الأطفال بأنه
شكل من أشكال التعبير الأدبي، له قواعده ومناهجه، سواء منها ما يتصل بلغته
وتوافقها مع قاموس الطفل، ومع الحصيصة الأسلوبية للسن التي يؤلف لها، أم ما يتصل
بمضمونه ومناسبته لكل مرحلة من مراحل الطفولة، أم ما يتصل بقضايا الذوق، وطرائق
التكنيك في صوغ القصة، أو في فن الحكاية للقصة المسموعة¹.

ويعرف أدب الأطفال بأنه في مجموعه هو: >> الآثار الفنية التي تصور أفكاراً
وأحاسيس وأخيلة تتفق ومدارك الأطفال، وتتخذ أشكال القصة والمسرحية والمقالة
والأغنية².

والقول عن الأدب بأنه "الآثار الفنية التي تصور أفكاراً وأحاسيس وأخيلة" قد
ينطبق على الأدب عامة - الموجه للصغار والكبار على السواء - ولكن القول بوجوب
ملائمة تلك الآثار الفنية لممارك الأطفال، أو ضرورة ملائمة مضامين تلك الآثار مع
"قدرات الأطفال العقلية والخيالية والعاطفية"، هذا التحديد يشير إلى اختلاف أدب
الأطفال، وتمييزه عن أدب الكبار بسبب اختلاف جمهور المتلقين الصغار واختلاف
خصائصهم.

وكتبت الأدبية الناقدة (ليئة غولديرغ) عن أدب الأطفال بشيء من التفصيل، مضيئة عناصر
ومقومات أخرى فهي تعرف أدب الأطفال بأنه: >> ذلك النوع من الأدب - نثراً أو شعراً - الذي
يلاءم في مضمونه وأسلوبه إدراك الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة حتى الثالثة عشرة تقريباً،
أما أسلوب هذا الأدب فيكون سهلاً واضحاً حالياً من التعقيد، وحشد المشاكل، ولا يتجاوز المفاهيم

¹ - يحيى رافع، تأثير ألف ليلة وليلة على أدب الأطفال العربي، دار الهدى للطباعة والنشر، حيفا
2001م، ص 18.

² - أبو فنة محمود، القصة الواقعية للأطفال في أدب سليم خوري، دار الهدى للطباعة والنشر، حيفا
2001م، ص 25.

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي

المفهومة للطفل حسب نموه وقدرة استيعابه^{1<}.

وكما أن هنالك اختلافاً في تحديد مفهوم أدب الأطفال، فإن هنالك أيضاً اختلافاً حول تحديد مرحلة الطفولة، وحول تقسيماتها المختلفة، فمن الباحثين من ينتهي بها عند الثانية عشرة، ومنهم من يمدّها حتى سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة، ومنهم من يصل بها إلى أكثر من ذلك. ويرى بعض المشتغلين بأدب الأطفال أن لهذا الأدب معنيين:

معنى خاص ويقصد به الإنتاج العقلي الموجه للطفل في شتى فروع المعرفة، ومعنى عام ويقصد به الكلام الجميل، الذي يحدث في نفس الطفل متعة فنية، ويسهم في إثراء فكره، وقد تحققت فيه مقوماته الخاصة من رعاية لقاموس الطفل، وتوافق مع حصيلته اللغوية والأسلوبية المناسبة لسنه، واتصال مضمونه بمرحلة الطفولة التي يلائمها²، ولذلك فإن لهذا النوع من الأدب خصائص وجب أن يراعيها الكتاب ويتبنونها، فما هي خصائص أدب الأطفال من حيث المضمون والشكل؟.

1- خصائص مضمون أدب الطفل:

ينبغي أن يراعى في مضامين أدب الأطفال جملة من الاعتبارات:

- التناسب العقلي: يتوجب على من يكتب للأطفال المعرفة بالخصائص العمرية للطفل، وبخاصة أن جمهور الأطفال غير متجانسين فهناك فروق بينهم في اللغة والقدرة على التدوق، مردّها إلى عوامل فاعلة في أطوار نموهم من بيئة وثقافة، كما أن لكل مرحلة من مراحل النمو خصائص معينة، تميز الأطفال من النواحي النفسية، والعقلية، والوجدانية، وهذا ما يعين على التصرف في المضامين التي يميل إليها الأطفال، وتناسب أفكارهم واهتماماتهم، ففي مرحلة الطفولة المبكرة (ثلاث سنوات إلى خمس سنوات)، وهي مرحلة الخيال الإيهامي يكون خيال الطفل فيها حاداً، فهو يتخيل الجماد كائناً

¹ - هدى نعمان الهيبي، أدب الأطفال فلسفته. فنونه. وسائطه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة

1986م، ص 34.

² - عيسى الشماس، القصة الطفولية في سوريا، المرجع السابق، ص 22.

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي
حيا، هذا النوع من الخيال توهمي يجعل الطفل يحب القصص والتمثيلات، التي يتكلم فيها الحيوان والجماد، بالإضافة إلى شغفه بالقصص الخرافية، أما في مرحلة الخيال الحر (من ست سنوات إلى تسع سنوات) يتجه الطفل فيها إلى الابتعاد عن خيال التوهم، وتستغل القصص التي تقدم النماذج الخلقية النبيلة، والمبادئ الاجتماعية المحمودة، في فن المغامرة، ومن (تسع سنوات إلى اثني عشر سنة) يزيد إدراك الطفل للأمور الواقعية، فيميل إلى قصص الأبطال والمخاطرة¹.

- التناسب التربوي: إن العملية التربوية هي عملية نمو وتوازن يكتسب الطفل خلالها الصفة الاجتماعية تدريجيا، انطلاقا من المفاهيم التربوية، والأخلاقية، التي يسعى هذا الأدب إلى غرسها في نفوس الأطفال، ويتجلى هذا من خلال المضامين التربوية الهادفة.

يرى بعض المربين المهتمين بأدب الأطفال، أن الكتابة للأطفال هي نوع من التربية، وأن كاتب الأطفال هو بالدرجة الأولى مرب قبل أن يكون مؤلفا يحقق الأهداف التربوية في إطار قواعد التربية السليمة، وفي ضوء أصول علم النفس الطفل².
يقول: (ميخائيل لوكوف)³ >> أن نربي أطفالنا رجال المستقبل هذا يعني أننا نربي المستقبل نفسه، ففي هذه المرحلة يبذر الخير³ <<.

- الاعتبارات الفنية: يقصد بها القواعد الأساسية في فن الكتابة، سواء أكان الإنتاج قصة، أم مسرحية أم شعرا، تستغل فيها وسائل كالصورة والصوت، واللون، والرسم، لتحقيق الغاية الفنية، وهي تنمية الحس الجمالي، والتذوق الفني لدى الطفل،

¹ - سمر روعي الفيصل، ثقافة الطفل العربي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، سوريا 1987م، ص 134.

² - أحمد نجيب، المضمون في أدب الأطفال، دار الفكر العربي، بيروت (د.ت)، ص 31.

³ - ميخائيل لوكوف سيرغي، كل شيء يبتدئ من الطفولة، دار التقدم، موسكو 1971م، ص 13.
نقلا عن القصة الطفولية في سوريا.

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي
ويجب أن تتفق الاعتبارات الفنية مع مستوى الأطفال الذين يكتب لهم، ودرجة نموهم الأدبي، فالطفل بحكم مستواه العمري والعقلي أكثر احتياجا للوسائل الفنية التي تضيء له القضايا، وتقرب له المفاهيم، وتساعد على صقل مواهبه وتنميتها¹، وبالتالي فغاية الكتابة للأطفال ليست تربية فحسب، وإنما هي فنية، فالأديب لا يكتب للطفل ليرشده، ويلقنه العلوم فقط، وإنما ليضيف لهذا الطفل بعدا جماليا يعمل على تربية ذوقه، وتنشيط خياله وتهذيبه.

هناك وجهة نظر أخرى ترى أن أدب الأطفال ينقسم إلى قسمين:

✓ أدب يكتبه الكبار للصغار يراعون فيه مستويات التلقي عند الطفل، واهتماماته اليومية، فهو بهذه الصفة أدب تعليمي مهما اختلفت أجناسه الأدبية، إلا أنه قد ينحرف هذا النوع من الأدب فيتحول إلى خطر على الأطفال، إذا ما اختار بعض كتابه استغلال الأطفال، واستدراجهم بمختلف الحيل من أجل استثمار اهتماماتهم الطفولية تجاريا²، كما هو ملاحظ في بعضنتاجات الأدبية في السوق الوطنية والعربية.

✓ أدب الأطفال هو الذي ينبع من ذواتهم، ومن أحاسيسهم ومشاعرهم العميقة المرفهة، ويكتبونه بأقلامهم الخاصة نثرا أو شعرا .

2- الأشكال الفنية لأدب الأطفال:

هناك عدة أجناس أدبية موجهة للطفل من أشهرها وأشيعها: القصة، الشعر، المسرحية.

¹ - أبو رضا سعد، النص الأدبي للأطفال أهدافه ومصادره وسماته، منشأة المعارف الإسكندرية 1995،

ص 16 .

² - المرجع نفسه، ص 12 .

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي

أ- القصة:

القصة هي جنس أدبي نثري موجه إلى الطفل ملائم لعالمه يتضمن حكاية شائقة واضحة الأفعال، ولغتها مستمدة من معجم الطفل، تبتعد عن المفردات الصعبة، والتراكيب المجازية، تطرح قيمة ضمنية وتعبر عن مغزى تربوي مستمد من عالم نفس الطفل، ويعتبر علماء النفس والتربية أن القصة أكثر الطرق التربوية ملائمة للطفل، حيث تؤثر في وجدانه وقدراته الإدراكية، يؤكد المختصون في عالم الطفولة أن 60% من كتب الأطفال يجب أن تكون قصصا، فالقصص المسموعة تعود الطفل حسن الاستماع وآدابه، وتؤثر فيه تأثيرا يمتد مدى حياته، وللقصة قدرة على الاستجابة لحاجات الطفل ورغباته من خلال بنيتها السردية. يقول: (إيريك بارن)[>] أن سيناريو انتصار البطل في القصة يخلق الانتصار الذاتي لدى الطفل على المعوقات في حياته اليومية^{<1}.

وللقصة موضوعات مختلفة منها: الموضوع الخيالي وينسجم هذا الموضوع مع نفسية الطفل إذ يعد الخيال عنصرا هاما في حياته، إذ تشبع القصص الخيالية حاجة الطفل إلى الإبداع والمعرفة، ومن أشهر أنواع هذا النوع من القصص في العالم العربي قصص أحمد نجيب في مجموعاته القصصية (رحلة إلى القمر) وقصص عبد التواب يوسف (الأربعة الذين سرقوا الزمن)، أما في الجزائر فنجد قصة الكرة العجيبة للكاتب خضر بدور، التي تدور حول الأجسام الغريبة المعروفة بالأطباق الطائرة.

ويرى في هذا الصدد بعض المهتمين بأدب الأطفال أنه لا يجب المبالغة في القصص الخيالية التي قد تحول الطفل إلى رجل خرافي بعيد عن واقعه اليومي²، وهناك نوع من القصص يتمحور حول الموضوعات الدينية التي تستوحي الدين الإسلامي، ومن رواد هذا النوع من القصص كامل كيلاني في مجموعاته القصصية (من حياة

¹ - سعيد أحمد حسن، ثقافة الأطفال واقع وطموح، مؤسسة المعارف، بيروت 1995م، ص 125.

² - أحمد مذكور علي، تدريس فنون اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 201.

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حميلي
الرسول صلى الله عليه وسلم) ونجد في الجزائر قصص الأنبياء للأستاذ حسن رمضان
فحلة، وهي قصص تناسب المرحلة العمرية (تسعة، اثنا عشر سنة) وقد اعتمد فيها
على الأسلوب الحوارى القائم على السؤال والجواب، وتسعى هذه القصص >> إلى
ترسيخ القيم المهمة، وهي قيم تستغرق زمنا طويلا، ولهذا يبدأ التربويون بالطفل،
ويعدونه أساسا للتغيير الاجتماعى¹، أما النوع الآخر من القصص فهي القصص
الفكاهية، التي تستهوي الطفل، إذ تبعده عن الأجواء الأكاديمية الجادة، وتتفق مع
طبيعته المنطلقة، فلا شك أن الأطفال يحبون المرح والضحك، ولا بد أن يفسح في أدب
الأطفال المجال للفكاهة ليتعلموا ويستمتعوا.

يقول الجاحظ عن أهمية الضحك بالنسبة للأطفال >> الضحك في أصل الطباع،
وفي أساس التركيب لأن الضحك أول خير يظهر من الصبي وبه تطيب نفسه وينبت
شحمه، ويكثر دمه، الذي هو علة سروره ومادة قوته².

وتعد قصص جحا - الشخصية الفكاهية - المحبوبة لدى الأطفال، من أفضل
القصص المحببة لدى الأطفال، ولذلك تظن كامل كيلاني إلى أهمية الضحك في تعليم
الأطفال، ولهذا استغل شخصية جحا في سلسلة (قصص جحا) وجعل منه قاصا يقص
على أصدقائه طرائفه، وهذا النوع من القصص الفكاهي قليل في الأدب الجزائري، ومع
ذلك نجد بعض القصص المستلهمة من التراث الشعبي الجزائري، تتناول شخصية
حديدون كشخصية فكاهية، ومنها سلسلة (تأمل وضحك مع حديدوان) لمحمد
المبارك وغيرها من القصص الفكاهية³.

¹ - سمر روجي الفيصل، القيم السائدة في صحافة الأطفال السورية، سوريا 1980م، ص 100.

² - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، كتاب البخلاء، دار بيروت للطباعة والنشر، 1980م،
ص 18.

³ - العيد جلوي، النص الأدبي للأطفال في الجزائر دراسة تاريخية فنية، دار هوم، الجزائر 2003م، ص

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي

- المقومات الفنية للقصة المكتوبة للأطفال:

- الشخصيات: قد تكون إنسانا أو حيوانا تؤدي دورا في القصة، وقد أثبتت

الدراسات النفسية أن الطفل يسهل عليه تقمص شخصية الحيوان أكثر من الإنسان.

- من سماتها الوضوح والدقة والتشويق.

- وضوح الرسوم مع التركيز على الجوانب الملموسة المرئية، التي تتفق مع

أسلوب الطفل في التفكير، والتشويق يتطلب اختيار الشخصيات التي تستهوي الطفل كي تحقق التعاطف معه، وينبغي أن تكون شخصية البطل قوية تمتلك خصائص جسمية ممتازة، ومزايا نفيسة بارزة، ومن ثم يحاول الطفل تقمصها.

- السرد: ينبغي أن يشمل على عنصر التكرار، لأن الطفل يميل إلى التكرار في

سلوكه، وينبغي أن تقدم الأحداث في شكل تسلسلي زمني، حتى يستوعبه عقل الطفل، أما الحوار فيستحسن أن يكون حوارا خارجيا مسموعا، ولهذا، فالحوار الداخلي مستبعد، لأنه يعبر عن حركة ذهنية بعيدة عن الحركة الخارجية الملموسة، التي تستقطب اهتمام الطفل وانتباهه، بالإضافة إلى ذلك يجب مراعاة البساطة في البناء السردى، والابتعاد عن التعقيد في الأحداث

ب- جنس الشعر:

يجب أن يكون الشعر الموجه للأطفال منسجما مع قدرتهم على الفهم والتذوق،

فتكون المعاني حسية يستطيع الطفل إدراكها، وأن تكون أيضا ذات مغزى¹. هذا من ناحية المضمون، أما من ناحية الشكل فالشعر قد يتمثل في صورة أغنية أو محفوظة أو نشيد أو مسرحية شعرية، ويغلب أن يعتمد الأداء في هذه الأشكال على الأطفال أنفسهم، ففي الشعر إيقاع موسيقي، والأطفال يميلون إلى الكلام الموسيقي منذ نعومة أظافرهم، وأحسن دليل على ذلك استجابة الرضيع لأغاني الأم فيكون الإحساس، وتنشأ الرابطة الوجدانية نتيجة هذا الفن الجميل، باعتباره أقرب ألوان الأدب إلى عملية

¹ - سعيد أحمد حسن، المرجع السابق، ص 85.

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي
التذوق¹، فهو أكثر الأنواع الأدبية جاذبية للأطفال يعمل على تحقيق التمازج النوعي
بين القيم التربوية، والقيم الجمالية، غايته تنمية الذاكرة، وتحسين مستوى اللغة،
وتشكيل الذوق وغرس القيم، ولكي يحب الطفل لغته ولكي يحب وطنه، ولكي يحب
الناس والزهور والربيع والحياة، ينبغي أن يتعلم النشيد >اكتبوا شعرا جميلا
حقيقيا<²، بهذه الكلمات قدم سليمان العيسى كتابه (كلمات خضر سنة 2005)

فالشعر يحقق التواصل في عالم الأطفال، حيث يرى الشاعر السوري سليمان
العيسى أن أجمل هدية تقدم للطفل ليست حلوى أو لعبة، وإنما هي الكلمة المعبرة من
خلال الأغاني والأناشيد³ لهذا أولى الشعراء عناية كبيرة لشعر الأطفال بعدّه وسيلة
تربوية تعليمية بالدرجة الأولى، فكان أحمد شوقي ومحمد المبراهيم من الأوائل الذين
نظموا فيه، كما اهتم شعراء الحركة الإصلاحية في الجزائر بالشعر قبل الاستقلال،
باعتباره الفن الأنسب للواقع الجزائري في تلك الفترة، وفي ظل هذه البيئة نشأ شعر
الطفولة، فظهر الشاعر الجزائري محمد العابد الجليلي (1890-1967) في مجموعته
الشعرية بعنوان الأناشيد المدرسية، وبعد ذلك واصل شعراء الجزائر اهتمامهم بشريحة
الأطفال بعد الاستقلال فظهرت مجموعة من الشعراء، من أهمهم محمد الأخضر
السائي ومصطفى الغماري والشافعي السنوسي وغيرهم⁴.

أما مضامين شعر الأطفال فله دور كبير في عملية بناء الأجيال فما يكسبه
الطفل في سنوات عمره الأولى من معلومات واتجاهات، وقيم مؤثرة في تكوين

² - المرجع نفسه، ص 86.

² - سليمان العيسى، ديوان كلمات خضر، مقدمة الديوان، سوريا.

³ - عبد العزيز المقالح، الوجه الضائع، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1985، ص 94.

⁴ - محمد الطيب العلوي، محمد العابد الجليلي ورائد الأناشيد المدرسية للأطفال، مجلة الثقافة،

الجزائر 1995م، ص 129.

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حميلي
شخصيته وأفكاره بالدرجة الأولى يصعب تغييرها فيما بعد¹، ولأجل تفعيل العناية
بالطفل اتجه شعراء الأطفال إلى تناول كل الموضوعات المتصلة بعالم الطفل، لأنه يحتاج
إلى التوجيه في شتى مناحي الحياة، وكان للوطن نصيب وافر من العناية.

لقد تناول شعر الأطفال الكثير من الموضوعات خاصة منها التاريخية، التي لها
صلة بالوطن العربي، فتحدث الشعراء عن بطولات الشهداء، حتى يقربوا صورة المثل
العليا في التضحية، وعززوا حب الوطن والإيمان بالله والقيم الروحية، فثبتوا معنى الإيمان
في قلوب الأطفال ومن أمثلة ذلك يقول: في هذا الصدد الشاعر الجزائري بوزيد حرز
الله في ديوانه (علمتني الحياة) من قصيدته >> الشباب الطموح <<².

يا وجه الخير بأيامي	وطني يا مبعث أحلامي
يا روح الخالق في رئتي	يا آي الوحي بإسلامي
الطهر ثراك لذي الدنيا	تأنيك بثوب الإحرام

لو رحنا نعدد المضامين التي طرقها شعراء الأطفال، لوجدناها قد مست كل
الموضوعات المتصلة بالأسرة والمجتمع والوطن والتاريخ، والحرف والطبيعة، وكل ما من
شأنه أن يسهم في تربية الطفل، وفي تفتيق مواهبه العلمية، وتنمية إحساسه بالجمال
وتربية ذوقه الفني.

3- الفروق بين أدب الصغار وأدب الكبار:

- أدب الكبار تبذعه القرائح. وفي ظل مطالب الحياة، تتم عملية الإبداع، دون
شروط سابقة وتوجهات خاصة، أما أدب الأطفال، فإنه يصاغ في ظل شروط سابقة
تنطوي على التوجيه وبث التوجهات في المتلقين، وهو يصور حياة لا تضبطها قواعد
وتقاليد بقدر يصور ما يحيط بها من متع وآمال، وطموحات وأحلام وردية، كما أن

¹ - عبد الحميد هيمة، واقع شعر الأطفال في الجزائر، أعمال الملتقى المغاربي الأول حول أدب
الطفل، سوق أهراس، الجزائر 2003م، ص 33.

² - بوزيد حرز الله، ديوان علمتني بلادي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 11.

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي
المبدع لا يعيش تجربة بشرية كاملة، وإنما يعيش موقفا تربويا، ويتسلح برؤية إنسانية
أخلاقية، وهذه الرؤية تحسن النظر لما حولها من أشياء.

- تقوم عملية الإبداع للطفل على خصوصيات الأدب بعامة، وهذا الأدب
يخاطب الجميع، حيث درجات التأثير قد تختلف بين الكبار والصغار، ومن هنا يتسم
أدب الأطفال بخصوصيات تضبط المبدعين في هذا المجال، وتجعلهم في حالة وعي
بالمراحل، التي يمر بها الأطفال، ومن هذه الخصوصيات، أن أدب الأطفال أصبح جنسا
أديبا خاصا، له أسسه، ومقوماته المتصلة بطبيعة مادته اللغوية، وتراكيبه الأسلوبية،
ومضامينه، وأشكاله الفنية، وأنواعه الأدبية، بعكس أدب الكبار الذي تبدعه قرائح، هي
التي تمتلك علمها اللغوي، والفكري، وتجربتها الحياتية الخاصة.

- يحتاج أدب الأطفال إلى مهارة عميقة في فهم نفسياتهم وأحوالهم، على عكس
أدب الكبار الذي يعكس في غالبه أحوال كاتبه النفسية، وأحواله المزاجية، وتمتد
الفروق إلى الأسلوب، فبينما نجد أن أدب الأطفال يحتاج إلى أسلوب سهل بسيط،
ويتمتع بمزايا خاصة، نجد أدب الكبار مصحوبا عند تناوله بكثير من التكلف، ذلك أن
أدب الأطفال يتجه إلى متلق ذي خصائص جسمية ونفسية وعقلية خاصة، وهي
خصائص تختلف عن الخصائص التي يعرفها الكبار عن أنفسهم، ومن ثم فإن على الرغم
من تبسيطه فقد يكون أكثر تكلفا من أدب الكبار، لأن صفة البساطة قد تتحقق -
فقط - إذا التقى الكاتب مباشرة مع طفولته الكامنة، وعقله الباطن، واستطاع أن يحيا
تلك الطفولة عن طريق إبداعه القصصي والشعري¹.

- أدب الأطفال - في أكثر صوره - محاولة لتبسيط أدب الكبار والتبسيط
تفعيل، ومن معانيه التكلف - لهذا فلا نجزم بأن أدب الأطفال أدب بسيط غير متكلف
على عكس أدب الكبار، ثم إن مصطلح البساطة يجب أن تكون له معايير محددة تتصل

¹ - سمير عبد الوهاب أحمد، أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، دار المسيرة للنشر
والتوزيع، ط 01، 1426 هـ - 2006م، ص 44.

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي
بالنوع الأدبي، فبساطة القصة تتصل بالمفردات والتراكيب، وبناء العبارة، وبناء الشخصية، والأحداث والعقدة، وهي معايير لا بد أن تستنبط عن طريق تحليل بعض القصص، واستنباط ذلك منها، كما نرى الفرق واضحا فيما تناوله موضوعات كل منهما، فالأول يمارس أسلوب التهئية، والإعداد والوقاية، بينما يتخذ الثاني جانب العلاج والمواجهة المدروسة وعلى الرغم من الاختلافات بين الجانبين، فإنهما يتلقيان في اتحاد الشكل والمضمون في كل منهما.

- أدب الصغار أدب خيالي، ينمو بداخله حين التوجهات الإيجابية، والأدب الذي يقدم للكبار يعبر عن ذاتنا تجاه الوجود والمصير.

- يتضح الخلاف أكثر بين أدب الأطفال وأدب الكبار في عملية النقد، فعملية النقد والتحليل والتوجيه الأدبي، حيث القيم النقدية والجمالية والنظرية الأدبية لكل من الأدبين، لا تلتقي على سواء ويترتب على هذا أن المعايير، التي على أساسها نقد ونحكم على أدب الأطفال، تختلف عن مثيلتها بالنسبة لأدب الأطفال.

- أدب الكبار في معظمه أدب على الورق، يقرأ كثيرا ويستمتع قليلا ويشاهد أحيانا، أما أدب الأطفال فهو مشاهدة بصرية (قراءة أو فرجة) وتلقاه الأذان كثيرا، وهو في كل الأحوال مرتبط - من حيث علاقته - بمثليته.

- أدب الأطفال له تميزه وخصوصيته، بينما أدب الكبار له حرته واستمرارته¹

ثانيا: لغة الطفل وأدبه في الواقع العربي المشهود:

1- لغة الطفل العربي والعولمة:

العولمة تيار اقتصادي، وثقافي وإعلامي جارف يعبر القارات، ويتخطى الحدود، يقتحم علينا بيوتنا دون استئذان، عبر الفضائيات التي انتشرت انتشار الفطريات في الغابات، هذا السيل الغامر يحمل معه في كل ثانية كما هائلا من ألوان الفتنة البصرية والصوتية، من صور وأفلام وإشهار، وكلها مشوش للعقول، ومهيمن على القلوب،

¹ - المرجع نفسه، ص 45.

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي

تستبطن خطابات متناقضة تصدم الطفل العربي في عقله، وفي وجدانه، فترك تفكيره، وتشتت اهتماماته، لذلك لا غرابة إذا لاحظنا أن الطفل العربي اليوم في عصر العولمة يعيش ممزق النفس مضطرب الفكر، تتقاذفه تيارات ثقافية شتى، وتجري على لسانه لغة مزجاة، لغة المدرسة الرسمية، ولهجات محلية، ولغات أجنبية، ونصيب اللغة العربية ضئيل لا يجاوز أسوار المدرسة، وللأسف الشديد فالطفل العربي في وقتنا الراهن لا يلقى الاهتمام الكافي لتعلمه اللغة العربية، فالبئة التي يعيشها محاصرة بين لهجات متعددة، وأمية منتشرة، ووسائل إعلام متنوعة، وألعاب إلكترونية يقضي معها الطفل أكثر ساعات يومه، مما يؤدي إلى اكتساب لغته قبل دخوله المدرسة، ولذلك فإن للأسرة مسؤولية كبيرة في تنمية حصيلة الطفل اللغوية، فكلما زادت حصيلة الطفل اللغوية، زاد رصيده الفكري والثقافي، وتطورت معلوماته، ونمت شخصيته، وتفاعلت مشاعره مع الآخرين، وزادت ثقته بنفسه، وقدرته على التكيف مع محيطه الاجتماعي، فتقصر أغلب الأسر العربية في العناية بلغة الطفل أدى إلى مواجهته اليوم صداماً مع لغته، حيث يبدأ يعاني من اضطرابات لغوية في سن مبكرة جداً، ففي ظل العولمة التي تحاصره في منزله بوسائل إعلامها المتنوعة، وتحاصره خارج المنزل بمنتجاتها، وفي مواقع كثيرة من حياته، أصبحت ملامح شخصية الطفل العربي ولغته مرهونة بهذا الطوفان الهائل الذي تحمله العولمة إليه من خير وشر، ويمكن حصر التأثيرات السلبية للعولمة على لغة الطفل العربي في النقاط الآتية:

- هيمنة اللغة الأجنبية على عالم التجارة، وعالم الثقافة والإعلام، وعلى عالم التدريس، سبب فقدان الطفل العربي قدرته على التواصل باللغة العربية في محيطه الاجتماعي، وبالتالي انقطعت صلته بتراث أمته وحضارتها، ولذلك بدأت الدول العربية تشعر بالقلق على مستقبل أجيالها الصاعدة، فراحت تعقد المؤتمرات والندوات حول ما يتعلق بالطفل في لغته وأدبه وثقافته لتدق ناقوس الخطر، كما هو ملاحظ من ازدياد اهتمامها بهذا الملف في وقتنا الراهن. وما زاد الطين بلة أن من يرطن عندنا بلغة الأجنبي

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي
تعد رطانتها في نظر العامة مؤشراً على التحضر، وعلامة على الانفتاح والتمدن، وفي المقابل من يحاول التحدث باللغة العربية يعد إنساناً متأخراً عن ركب العصر، هذا إن لم يوصف بالتخلف والتحجر، ولا ننسى أن وسائل الإعلام العربية أسهمت في تقزيم العربية، فكثيراً ما تصور أفلامنا معلم اللغة في صورة الإنسان البائس، والمغفل، الذي يثير الشفقة والسخرية في آن واحد.

- التناقض اللغوي الذي يحياه الطفل العربي بين لغة المدرسة، ولغة الشارع، قلل من ممارسة الطفل للغته الفصحى، وانعكس ذلك على طلاقة لسانه، وتدني تعبيره الكتابي، فتولد لديه إحساس أن الفصحى عملة لا قيمة لها في سوق التعامل الاجتماعي والثقافي.

- وسائل الإعلام المتنوعة والمتناقضة شحنت عقل الطفل العربي بثقافة غريبة عن محيطه الاجتماعي، من خلال ما تعرضه من برامج وسلع هدفها الترويج لثقافة الاستهلاك، والكسل العقلي وزرع روح الإتكالية، كل ذلك أفقد الطفل العربي ثقته بنفسه وبلغته، ودفع به إلى العيش في ثقافة الأخر بفكره ووجدانه مسلوب الإرادة والشخصية.

- تخلي الأسرة عن دورها في تلقين الطفل العربي لغته الفصحى، بخاصة في سنوات عمره الأولى، وانشغالها بالرعاية الصحية، والغذائية على حساب التنشئة اللغوية والفكرية، أدى ذلك أيضاً إلى التذبذب البين في لغة الطفل، وفي سلوكه، وعادات تعامله مع لغته الفصحى في مشواره الدراسي اللاحق¹.

2- واقع أدب الطفل العربي والعولمة:

واجه أدب الطفل تحديات لا تقل خطورة عن التحديات، التي واجهت اللغة العربية، باعتبار أن الأدب مادته اللغة، وأداته في التواصل والإبداع، فما واقع أدب الأطفال في عالمنا العربي المشهود؟ وما مستقبله المنشود؟

¹ - عزيزة بنت عبد الله الطائي، لغة الطفل والعولمة، منتدى مكتوب، 2009 م. stardoll.maktoob.

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي
إذا ما ألقينا نظرة فاحصة على ما يقدم للطفل العربي من أدب بشق أشكاله الفنية، فإننا نجد دون شك أن هناك جهوداً طيبة تبذل في سبيل النهوض بأدب الطفل من خلال ما ينشر من كتب ومجلات، وما يبيته الإعلام من أفلام ومسلسلات خاصة بعالم الطفل، لكن تبقى هذه الجهود ضئيلة لا تقوى على التصدي لما يواجهه الطفل العربي من ثقافة غربية، فرضتها القنوات الفضائية عبر أفلام الكرتون المدبلجة، التي تحمل معها السم في العسل، وتغذي عقل الطفل بقيم غربية ومحتثة عن ثقافته القومية وحضارة أمته العربية، لذلك لا يجد الطفل العربي اليوم بديلاً له عن الفضائيات التي باتت تشكل حجر الزاوية في صياغة مفاهيمه وأفكاره ومعارفه المختلفة¹.

إن ما ينشر في الأسواق العربية، وتعج به المكتبات من إنتاج في أدب الأطفال لا يشفي الغليل، ففي الغالب أن هذا النوع من الإبداع الأدبي لا يمثل ما نتطلع إليه من أدب يغذي به عقول أطفالنا ونصون به شخصيتهم من الانحراف الفكري والسلوكي، فالغالبية العظمى من الكتب المختصة في أدب الطفل لا تتبع الأسس النفسية، والفنية للمرحلة العمرية، التي تناسب عقل الطفل ومستوى إدراكه، والناشرون العرب لا يهتمون إلا بالربح السريع، كما أن أكثريةهم تعاني من قلة الوعي بأدب الطفل ومستلزماته الفنية، فنرى في المحصلة ساحة يزداد فيها الغث على السمين، فما معنى أن نجد كتب التلوين والرسم قد زادت بصورة مضخمة؟ وماذا تفيد المغامرات البوليسية التي لا تحمل إلا الفكر المغذي للعنف؟ وهل ستظل أغلب القصص المستوحاة في أدبنا لا تخرج عن دائرة الأدب المترجم أو الأدب الوهمي المسروق من ألف ليلة وليلة؟.

إن أغلب الناشرين العرب يلعبون على الأوتار الحساسة للأطفال، ويستغلون كلمة أدب الطفل، ليلبسوها لكل كتاب بغض النظر عن الجنس الأدبي الذي ينضوي تحته، كالقصة، أو الشعر، أو المسرح، أو مجرد حكايات منقولة من التاريخ دون مراعاة لمرحلة عمرية معينة، فالمتتبع لكتابات الأطفال في العالم العربي، يلاحظ أن هذه

¹ - محمد فتحي بشير، أدب الطفل بين العربي والغربي، مجلة السياسة، www.murasei.org

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي

الكتابات لا تراعي المستوى اللغوي لطفل في الثامنة من عمره، ولا تفرق بينه، وبين سن الطفل في الخامسة عشر، فالكثير مما يكتب للأطفال تغلب عليه القيم المستوردة، والشخصيات التاريخية والرمزية الأجنبية، دون مراقبة أو تدقيق فيما تلقنه للطفل العربي، مما قد يكون له أثر سلبي على وعيه بمحيطه وتاريخه وحضارته، وقد ساد خلال السنوات الأخيرة لدى كثير من الناشرين، واستقر في أذهانهم أن الكتابة للطفل الهدف منها الأول هو الترويح والتسلية عن النفس، ومساعدته على توسيع خياله الإبداعي، بينما وضعت مهمة التربية والتنشئة اللغوية جانبا، بدعوة أن مرحلة الطفولة تتمحور حول غاية واحدة هي اللعب والترويح¹.

إن التحدي الكبير المطروح على المجتمعات العربية في عصر العولمة والشبكة العنكبوتية، هو تحد متعدد المستويات، لكن أدب الطفل يبقى أهم المستويات، ولكي يمكننا التصدي للثقافة المسطحة وحضارة التسلية، والاستهلاك المميت، التي تقترحها العولمة الرأسمالية على العالم العربي، ينبغي زيادة العناية بأدب الطفل على كل الأصعدة الإعلامية والأدبية والرسمية.

فأدب الطفل العربي اليوم ما زال عالمة على ما تقدمه المائدة الغربية ترجمة أو استلهاما، والاعتقاد السائد هو أن التقدم، الذي حققه أدب الطفل في الغرب يبرر النقل عنه، أو استلهام تقنياته دون النظر إلى حاجات الطفل العربي الراهنة في أبعادها النفسية والعقلية، والمحيط الثقافي الذي يتحرك فيه، ومن ثم تصبح عملية النقل خطرا على وجدان الطفل العربي، حيث تركز لديه الشعور بالتبعية والدونية من ناحية، وتغرس لديه عادة التفكير من داخل ثقافة الطفل الغربي، ونمط عيشه من ناحية ثانية، وتنمي فيه الشعور بالعجز والولوع بتقليد النموذج الغربي الذي يحظى بالإعجاب والتقدير، فينشأ الطفل العربي غريبا في تفكيره وسلوكه، يعيش بجسمه في عالم، وبوجدانه وفكره في

¹ - إدريس الكنوري، أدب الطفل المسلم بين التحديات والدور المفقود، منتديات رواد الأدب

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي
عالم الآخر المهيمن، فمشكلة النموذج الحضاري في أدب الطفل العربي، هي من أبرز
المشاكل التي ينبغي التصدي لها، يكفي أن نقول إن قيم المواطنة والعروبة تكاد تكون
شاحبة في أدب الطفل العربي تاركة مكانها لزحف قيم البطولة المستوردة من الغرب.
فالإنتاج العربي الموجه لأدب الطفل لم يتمكن من أن يخلق نماذج أبطال تجذب
شخصية الطفل العربي، وتغريه بالافتداء بها في حياته، لأنها في الأغلب شخصيات
مستلهمة من التاريخ، منقطعة عن محيطه الاجتماعي والثقافي الراهن، ولا تلي حاجاته
اليومية، وتطلعاته المستقبلية، ولا تجيب عن أسئلته الملحة¹.

إن تكريس الخدمات الثقافية العامة للكبار أفقد الطفل العربي القدرة على
الإحساس الجمالي والاستثارة الوجدانية، وهذا لا يقلل من الأهمية الفائقة للمحالات
التربوية والصحية والنفسية والرياضية، والوسائل الإعلامية بالنسبة للتشكيل الوجداني
والمعرفي للطفل، لكنه يجب الاحتفال بأهم وأخطر تلك الجوانب ألا وهو الأدب. لا
جدال في أن الأدوار التي يمكن أن تلعبها مجالات الأطفال العربية بمثابة مشعل هداية تنير
عقل الطفل، وتستثير وجدانه، كذلك البرامج الهادفة والمتعة في الإذاعة والتلفزة.
إن معظم الكبار من الراشدين لا يفهمون "الثقافة" في معانيها الشائكة المتعددة،
وما زلنا نقدم للأطفال نتاج هذا المفهوم المركب من النتاج المعرفي والتاريخي والعلمي
الإعلامي على أنه ثقافة أطفال تارة، وأدب أطفال تارة أخرى.

كما أن للثقافة أثرها في توجيه نمو الأطفال المختلفة كالنمو العقلي، والانفعالي،
والحركي والاجتماعي، وهذا التأثير لا يتخذ نسبا معينة، بل يتباين إلى حد كبير، فالبيئة
الثقافية لا تؤثر في النمو الجسمي إلا في نطاق محدود، في حين تؤثر تأثيرا كبيرا في النمو
الانفعالي والاجتماعي².

¹ - المرجع نفسه، الموقع نفسه.

² - أحمد زلط، أدب الطفولة، أصوله. مفاهيمه. رواه، الشركة العربية للنشر والتوزيع، ط01،

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي
ولئن تمكن الرعيل الأول من المبدعين العرب من التربع على عرش الإنتاج الأدبي
في مجال الطفل، وظل إنتاجهم يستقطب الفلسفة التربوية العربية في بعديها العربي
والقومي ردحا من الزمن، فإن من بدايات السبعينيات انطلقت حملة التغريب
والاختراق الثقافي تكتسح الساحة الأدبية العربية حاملة معها العولمة بثقافة تربوية
 واجتماعية، متصارعة ومتناقضة في مجموعها مع هوية الطفل العربي، الأمر الذي أحدث
شرخا كبيرا في شخصيته.

فما السبيل الذي نستشرف به النهوض بأدب الطفل العربي؟

ثالثا: استشر فات النهوض بأدب الطفل العربي

للنهوض بلغة الطفل العربي، وبأدبه في المستقبل المنشود، ينبغي أن نسارع إلى
الاسترشاد بالمقترحات التي نصت عليها العديد من المؤتمرات العربية، التي تناولت لغة
الطفل وأدبه وثقافته ونعمل على تفعيلها في واقعنا على كل الأصعدة الرسمية والثقافية
والإعلامية، ويمكن إجمال ذلك في ما يأتي:

- تعزيز انتشار استعمال اللغة العربية في حقول الحياة المختلفة على كل
المستويات الرسمية والثقافية، والإعلامية في عالمنا العربي أسوة باللغات العالمية الحية
الأخرى.

- الإعداد لحملة وطنية تثقيفية داعية إلى تعليم الأطفال اللغة العربية خلال
سنواتهم الأولى وترديد المفردات العربية السهلة المناسبة واستعمالها في تراكيب يفهمها
الطفل.

- إدراك أهمية اللغة العربية الفصحى، ودورها في مجالات التنمية، والثقافة
والفكر، واستعادة مكانتها وجعلها لغة العلم والمعرفة والتقدم.

- تعليم اللغة العربية الفصحى للأطفال بالفطرة قبل سن السادسة، وتعميمها في
رياض الأطفال وبين المعلمات وفي البيت والشارع.

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي

- تطوير الآليات والأساليب المتبعة في تدريس اللغة العربية، وتنفيذ الوسائل الحديثة عند تدريسها.

- تقنين الساعات الطويلة التي يقضيها الطفل أمام التلفاز مع توفير البدائل بممارسة أوجه النشاط المتع، كالرياضة والكتابة والقراءة والرسم.

- إعادة النظر في البرامج المرئية والمسموعة المقدمة للطفل لضمان تقديمها بلغة عربية صحيحة مبسطة، وسلسلة تحفزهم نحو توظيف مهارات الاتصال اللغوي كالقراءة والتحدث والاستماع والكتابة.

- توجيه العناية لإصدارات الأطفال المتجددة، والثرية بالأجناس الأدبية، التي تستحوذ على اهتمام الطفل وتنمي خياله، وتوسع آفاق فكره.

- الاهتمام بالمراكز والمؤسسات التي تنمي أوجه الثقافة، وتعزيز المهارات اللغوية بإنشاء المكتبات الخاصة والعامة.

- تصميم البرامج التعليمية المحوسبة المقروءة والمسموعة، التي تهدف إلى تنمية المهارات اللغوية وإثراء حصيلة الطفل اللغوية.

- توفير معاجم متخصصة إلكترونية مقروءة ومسموعة، تساعد على تعلم المهارات اللغوية وفق منهج مشوق، ومدرّس ولغة سليمة مبسطة.

- العمل على إنجاز مشروع قاموس معاصر، وموحد لمفردات اللغة العربية يتضمن المصطلحات التعليمية الحديثة.

- القيام بدراسات تعالج قضايا صعوبات تعلم اللغة العربية لدى الأطفال الناطقين بها.

- إلزام الإعلاميين التحدث بالعربية الفصحى على الأقل في برامج الأطفال.

- توجيه برامج إذاعية وتلفزيونية لتعليم اللغة العربية لتفعيل الحوار مع أولادنا في المهجر، ولتعليمهم أصول اللغة، ومناقشة القضايا الثقافية والتراثية بصفة مستمرة.

- واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي
- مطالبة الدول العربية سن تشريع يمنع استخدام غير اللغة العربية في الإعلانات بجميع أشكالها، وإعادة النظر في كل الإعلانات التي تقدمها التلفزيونات العربية، وخاصة الموجهة للطفل، وأن يتم تقديمها بلغة عربية صحيحة، وأن تكون مبسطة وسلسلة في الوقت نفسه.
 - إنشاء مسابقات للقراءة والكتابة باللغة الفصحى، من خلال وسائل الإعلام على مستوى الدول لتشجيع الأطفال على النطق والكتابة بها، والاستماع إليها¹.
 - الاهتمام بكتاب ومؤلفي أدب الأطفال العربي للارتقاء بهذا الأدب وجعله منافسا عالميا.
 - تشجيع الدراسات التي تعنى بأدب الطفل العربي ولغته ودعمها.
 - تشجيع البحث العلمي الرصين في لغة الطفل وأدبه.
 - تيسير وتسهيل عرض كنوز التراث العربي للأطفال من خلال الأعمال الفنية.
 - الاستفادة من المشروعات والنشاطات، التي تدعم لغة الطفل في بعض الدول العربية، ونشرها في أرجاء الوطن العربي، ومن ذلك مشروع مهرجان القراءة للجميع.
 - وفي مجال الترجمة أوصت المؤتمرات العربية بضرورة تجسير الترجمة بين العربية واللغات الأخرى على نحو متوازن، يؤدي في النهاية إلى إدخال المصطلح العربي إلى لغة الآخر بلفظه ومعناه، بوصفه معبرا عن الخصوصية الثقافية.
 - تطوير المناهج التربوية العربية، بحيث تستوعب جميع الأطفال في سن المدرسة وتزودهم بالمعارف والمهارات اللازمة للتفوق في عصر العولمة، والاهتمام بمعلمي العربية عامة، ومعلمي الأطفال خاصة ماديا وأديبا.

¹ - عزيمة بنت عبد الله الطائي، المرجع السابق، منتدى مكتوب، 2009 م. stardoll.maktoob.

- واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي
- إعداد المعلمين في جميع المواد، وفي جميع مراحل التعليم العام، إعدادا جيدا في حقل اللغة العربية.
- تأسيس مراكز للتدريب على المحادثة بالفصحى في كل بلد عربي، وفي المهاجر على وجه الخصوص، على أن تعتمد أسلوب الإتقان الوظيفي للغة، أي إتقان استعمال اللغة بدلا من التركيز على دراسة القواعد المجردة.
- وضع مخطط علمي لمنهج متكامل لتعليم اللغة العربية في المدرسة الابتدائية العربية يبدأ بمرحلة ما قبل هذه المدرسة وينتهي بالصف السادس.
- وضع خطة عاجلة لتزويد المؤسسات التعليمية العربية بأجهزة الحاسب الآلي، وتطوير أساليب تعليم اللغة العربية السليمة من خلالها للطلاب غير القادرين على اقتنائها.
- دعوة المجالس العربية إلى القيام ببحوث تتناول الرصيد اللغوي الوظيفي لكل مرحلة من مراحل الطفولة، أو التشجيع على إجراء هذه البحوث ودعمها ماديا وأديبا، فالرصيد اللغوي الوظيفي هو الأساس الذي يبنى عليه إعداد المناهج المدرسية وتصنيف معاجم الأطفال.
- تشجيع الإنتاج التعليمي والترفيهي الموجه للأطفال عن طريق وسائل الإعلام المرئية والمسموعة على الأداء باللغة العربية المسيرة، مع الحرص على عرض تلك المواد بطريقة جذابة وشائقة.
- التوصية للجهات المعنية بفرض نوع من الرقابة اللغوية على المنتجات الثقافية المصورة والمذاعة والمطلوبة للطفل العربي، دعما للغة العربية.
- إنشاء قنوات مخصصة كليا للأطفال على أن يكون التناول فيها بالعربية¹.

¹ - عن توصيات المؤتمر العالمي المنعقد بالقاهرة، 17 فبراير 2007، لغة الطفل في عصر العولمة،

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي

خلاصة القول:

يتبين لنا مما سبق أن أدب الطفل قد انتعش نسبيا في السنوات الماضية، بيد أنه في السنوات الأخيرة عرف تعثرا كبيرا وترديا بسبب تراجع الإنتاج الفني والأدبي الموجه للطفل لأسباب مادية ومالية وإدارية وسياسية، دون أن ننسى غياب التحفيز المعنوي والاعتباري للمبدعين لانحياز الوضع الثقافي في بعض أقطار الوطن العربي لعوامل حزبية وإيديولوجية وانتشار منطق التجارة في المشهد الثقافي في الوطن العربي، مما أثر سلبا على الوضع الثقافي والإبداعي بصفة عامة، ولعلنا لا نجد من عبر عن واقع أدب الأطفال في الوطن العربي وتطلعاته أفضل من شاعر الأطفال السوري سليمان العيسى في قوله >> فأدب الأطفال عندنا لا يزال دون الاهتمام المطلوب هذا الجزء من واقعنا العربي المؤلم لا ينكره أحد، وأعتقد أن إخواننا المبدعين على امتداد وطننا العربي الكبير يحملون القسط الأكبر من المسؤولية عن هذا التقصير، فالمبدعون هم الذين يخلقون الوعي الاجتماعي وليس العكس، ولكن لماذا نلقي اللوم كله على الأفراد، وندع المؤسسات ووزارات الثقافة والإعلام وما شابه في معزل ومنأى عن هذا اللوم؟ أتمنى أن ينال أطفالنا من هذه المؤسسات والوزارات بعض ما تناله الدعاية والإعلانات، وعندئذ سيكون الأطفال وأدبهم في خير¹.

¹ - سليمان العيسى، حوار صحفي، مجلة العربي، العدد 451، جوان 1996م.

واقع أدب الطفل في الوطن العربي ----- د. فاتح حمبلي